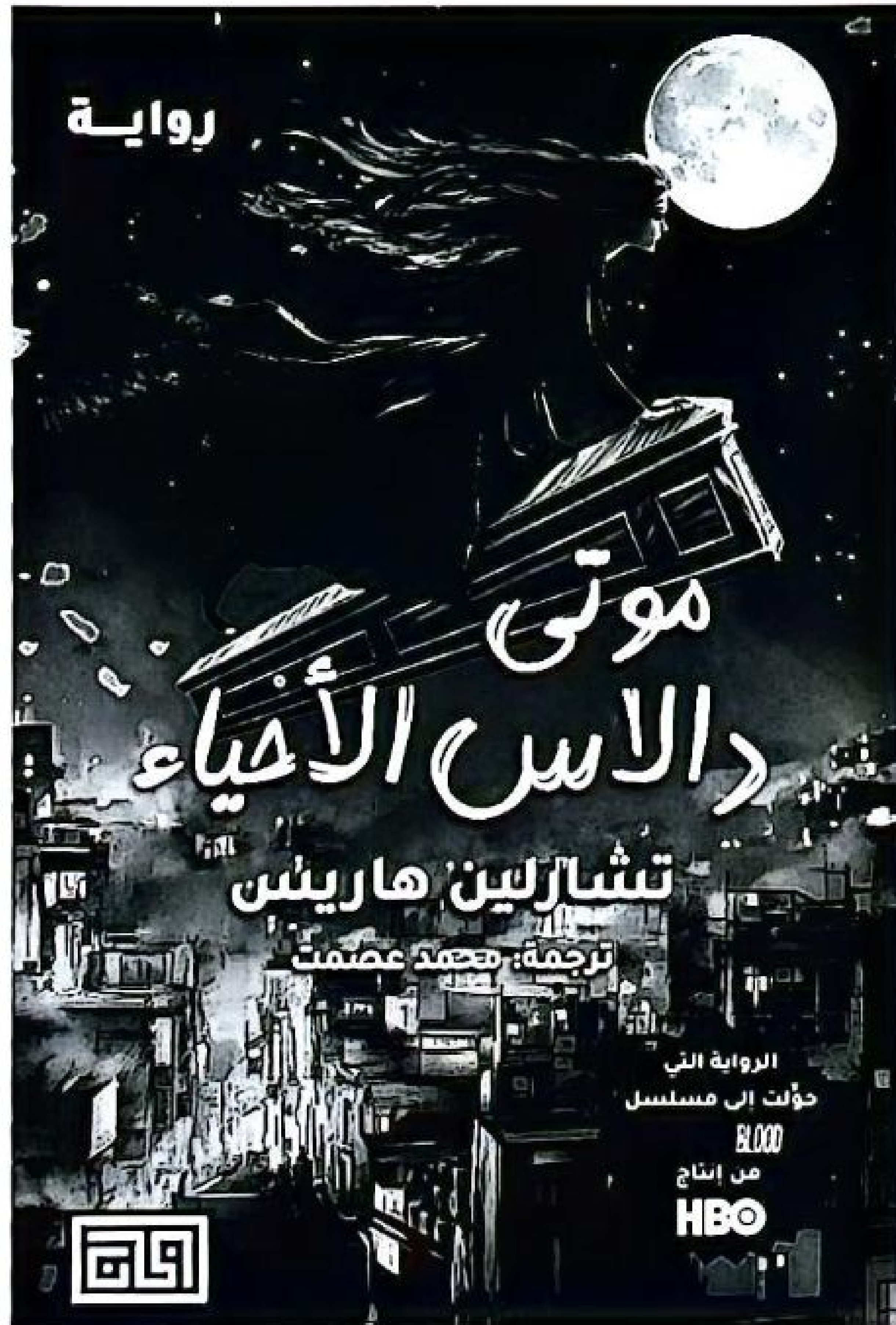

رواية
موتى
دالاس الأحياء
تشارلين هاريس
ترجمة: محمد عصمت
الرواية التي
حوّلت إلى مسلسل
BLOOD
من إنتاج
HBO

BY: HAMDAN


@ART_OF_BOOK





@ART_OF_BOOK

Author: Charlaine Harris

Living Dead in Dallas

Sookie Stackhouse #2

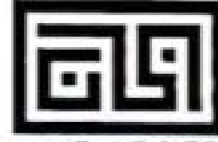
Translated from English by:
Mohammad Ismat

Book Design:
Sarwar Murad

ترجمها عن الإنجليزية:
محمد عصمت

الإخراج الفني:
سرور مراد

الطبعة الأولى | مايو 2025
ISBN: 978-9921-712-96-4
رقم الإيداع بالمكتبة الوطنية - دولة الكويت:
0814-2025



+965 99462291 / +965 61088000
@DarAlkhan_kw
info@daralkhan.com





رواية

موتى دالاس الأحياء

سوكي ستاكهاوس #2

تشارلين هاريس

ترجمة

محمد عصمت



أهدي هذا الكتاب إلى كل الذين أخبروني أنهم استمتعوا بـ "ميِّت حتى حلول الظلام".

شكرًا جزيلًا على تشجيعكم.



جزيل الشكر إلى باتسي آشر من (Remember the Alibi) في سان أنطونيو بتكساس؛ وكلوي جرين من دالاس؛ والأصدقاء المتعاونين عبر الإنترنت، الذين تعرَّفتُ عليهم في موقِع (dorothyL)، والذين أجابوا على جميع أسئلتي بسرعة وحماس. يا إلهي، لديَّ أعظم وظيفة في العالَم.



الفصل الأول

كان آندي بيلفلور ثملًا كالظربان، وهذا لم يكن من شيمه أبدًا. صدِّقوني، فأنا أعرف جميع السكارى في بون تيمبِس. إذ عرَّفني العمل في حانة سام ميرلوت، لسنواتٍ عديدة، عليهم جميعًا. لكن آندي بيلفلور، ابن البلدة والمُحقِّق ضمن شرطة بون تيمبِس الصغيرة، لم يثمَل في حانة ميرلوت من قبل. وشعرتُ بالفضول لمعرفة سبب كون هذه الليلة استثناءً.

لم نكن، أنا وآندي، صديقين بأي شكلٍ من الأشكال، لذا لم أستطع سؤاله بشكلٍ مُباشر. لكنني امتلكتُ بعض الوسائل الأخرى، والتي قرَّرتُ استخدامها. ورغم محاولتي الحد من استخدام إعاقتي، أو موهبتي، أو أيًا كان ما تريد تسميتها به، لمعرفة الأشياء التي قد تؤثِّر عليَّ أو على من يهمّني، إلا أن الفضول المطلق ينتصر أحيانًا.

أخفضتُ أسوار حصوني وقرأت ما يدور في ذهن آندي، وشعرتُ بالأسف فورًا.

كان آندي قد اعتقل رجلًا في الصباح بتُهمة الاختطاف. كان قد استدرَج جارته، الطفلة البالغة من العمر عشر سنوات إلى قلب الغابة، حيث اغتصبها. ورغم أن الفتاة ترقد في المستشفى، والرجُل في السجن، إلا أن الضرر الذي لَحِق بها لا يمكن إصلاحه. غمرني حزنٌ عميق ورغبتُ في

البكاء. فقد كانت جريمة تُلامِس عن كثب جروحًا من ماضيّ. ولكم أحببتُ آندي بسبب حزنه العميق.

قلتُ له: "أعطِني مفاتيحك يا آندي".

رفع وجهه العريض نحوي، وقد ظهرَت عليه علامات عدم الاستيعاب. وبعد عدة لحظات، تسرَّبَت فيها كلماتي ببطءٍ إلى دماغه المشوَّش، بدأ آندي يتحسَّس جيب سرواله الكاكي قبل أن يعطيني ميدالية مفاتيحه الثقيلة. وضعتُ كأسًا آخر من البوربون والكولا على البار أمامه، وقلت له: "هذا على حِسابي".

ثم ذهبتُ إلى الهاتف في نهاية الحانة لأتَّصِل ببورشيا، شقيقة آندي. إذ عاش الأخوان بليفلور في منزلٍ أبيض كبير مُتهالِك، مكوَّن من طابقين، يعود إلى حقبة ما قبل الحرب الأهليَّة، والذي كان يومًا تحفة معماريَّة رائعة، في أجمل شوارع أرقى منطقة في بون تيمبِس. على طريق ماغنوليا كريك، أطلَّت جميع المنازل على ذلك الجزء من المتنزَّه الذي يمر عبره جدول مائي، وتُزيِّنه جسور مُزخرفة مُخصَّصة للمشاة فقط؛ ناهيك عن الطريق الذي يمتد على كلا الجانبين. كان هناك عددٌ قليل من المنازل القديمة الأخرى على طريق ماغنوليا كريك، لكنها كانت جميعًا في حالةٍ أفضل من منزل بليفلور، الشهير بـ "بيل ريف". والذي كان عبئًا أكبر من أن تتحمَّله بورشيا المحامية وآندي الشُرطي، إذ إن المال اللازم للاعتناء بمثل هذا المنزل وأراضيه كان قد نفد منذ

زمنٍ بعيد. لكن جدّتهما، كارولين، رفضَت بعنادٍ بيع المنزل.

أجابت بورشيا مع الرئة الثانية.

قلت، وقد اضطررتُ لرفع صوتي بسبب ضوضاء الحانة: "بورشيا، أنا سوكي ستاكهاوس".

"لا بد وأنكِ في العمل".

"نعم. آندي هنا، وهو ثمِلٌ للغاية، لذا أخذتُ مفاتيحه. هل يمكنكِ القدوم لأخذه؟".

وعدتني قائلة: "بالتأكيد، سأحضر خلال عشر دقائق. هل أفرَط آندي في الشرب؟ هذا نادر".

قال آندي فجأةً بشكلٍ غير متوقَّع: "يا لكِ من فتاةٍ لطيفةٍ يا سوكي".

كان قد أنهى الشراب الذي قدَّمته له. أبعدتُ الكأس عن ناظريه، وتمنَّيتُ ألا يطلب المزيد. قلت له: "شكرًا يا آندي. لا بأس بك أيضًا".

"أين حبيبكِ؟".

سُمِعَ صوتٌ هادئ: "ها أنا ذا". وظهر بيل كومبتون خلف آندي مُباشرة. ابتسمتُ له من فوق رأس آندي المُنكّس. كان طول بيل يُقارِب السِت أقدام، بشعرٍ وعينين بُنيّتين داكنتين. كما امتلك كتفين عريضين، وذراعين مفتولين لرجلٍ اعتاد العمل اليدوي لسنوات. إذ عَمِل بيل في مزرعةٍ مع والده، ثم عمل لحسابه الخاص، قبل أن يلتحق بالحرب كجندي.

وأقصد بذلك الحرب الأهليَّة.

ناداه رالف زوج تشارليز توتن: "أهلًا يا مـ. بـ.". ورفع بيل يده بتحيَّةٍ عابرة. ثم حيَّاه جيسون، شقيقي، بنبرةٍ مهذَّبةٍ للغاية: "مساء الخير يا مصَّاص الدماء بيل". كان جيسون، الذي لم يُرحِّب ببيل بين أحضان عائلتنا الصغيرة، قد فتح صفحةً جديدة تمامًا. وبطريقةٍ ما، وجدتُ نفسي أنتظر بفارِغ الصبر لأرى ما إن كان هذا التغيير الإيجابي في سلوكه أمرًا دائمًا.

استدار آندي على مقعده ليواجِه بيل، وقال بلهجةٍ مُتَّزِنة: "لا بأس بك بالنسبة لمصَّاص دماء يا بيل". رفعتُ تقديري لمستوى ثمالة آندي، إذ أنه لم يكن مُتحمِّسًا أبدًا لفكرة قبول مصَّاصي الدماء في المجتمع الأمريكي السائِد.

أجابه بيل بجفاف: "شكرًا، وأنت لستَ سيِّئًا للغاية بالنسبة لشخصٍ من آل بليفلور". ثم اتَّكأ على البار ليُقبِّلني. شعرتُ بشفتيه باردتين كصوته. عليكِ الاعتياد على ذلك، مثلما تضعين رأسكِ على صدره ولا تسمعين نبضات قلب في الداخل.

قال بصوته الخفيض: "مساء الخير يا حبيبتي". أعطيته كوبًا من الدم الاصطناعي الذي طوَّره اليابانيون، فصيلة "ب – سالِب"، فشربه بجرعةٍ واحدة ولعق شفتيه. وتورَّدت بشرته على الفور.

سألته: "كيف جرى اجتماعك يا عزيزي؟". إذ كان

في شرِفبورت السواد الأعظم من الليل.

"سأخبركِ لاحقًا".

تمنَّيتُ أن تكون قصَّته المتعلقة بالعمل أقل إزعاجًا من قصَّة آندي. قلت وأنا أومئ برأسي نحو الباب: "حسنًا، سأكون مُمتنَّة إذا ساعدتُ بورشيا في إيصال آندي إلى سيارتها. ها هي قادمة الآن".

ولأول مرة، لم ترتدِ بورشيا تنورتها المعتادة مع البلوزة والسترة والجاكيت والجوارب الطويلة والحذاء ذي الكعب المنخفض الذي شكّل زيَّها المهني. بل كانت قد غيَّرت ملابسها إلى بنطال جينز أزرق وبلوزة قديمة من طراز "صوفي نيوكومب". كانت بورشيا قويَّة البنية كشقيقها، لكنها امتلكت شعرًا كستنائيًا طويلًا وكثيفًا. وكان الاهتمام بجمال شعرها هو الإشارة الوحيدة التي تدل على أن بورشيا لم تستسلم بعد. شقَّت طريقها بعزمٍ عبر الحشد الصاخب.

قالت وهي تُقيِّم حالة شقيقها: "حسنًا، إنه ثملٌ تمامًا". حاولت بورشيا تجاهل وجُود بيل، الذي جعلها تشعر بكثيرٍ من التوتُّر. تابعت حديثها قائلة: "هذا لا يحدث كثيرًا، ولكنه إن قرَّر أن يثمل، فإنه يُتقِن الأمر حقًّا".

قلت: "يمكن لِبيل حمله إلى سيارتكِ يا بورشيا". إذ كان آندي أطول وأضخم من بورشيا، وبدا جليًا أنه كان عبئًا ثقيلًا للغاية على شقيقته.

أجابتني: "أعتقد أنني أستطيع التعامل معه". قالتها بحزمٍ دون أن تنظر نحو بيل، الذي رفع حاجبيه ونظر إلي متعجبًا.

لذا تركتها تضع ذراعها حوله وتحاول رفعه عن المقعد. لكن آندي ظلَّ جالسًا. تلفَّتت بورشيا حولها بحثًا عن سام ميرلوت، مالك الحانة، الذي كان قويًا للغاية، رغم صِغَر حجمه ونحافته الواضحة. قلت: "يُقيم سام حفل ذكرى سنويَّة في النادي الريفي، من الأفضل أن تدعي بيل يساعدكِ".

قالت المحامية بجمودٍ دون أن تُحرِّك عينيها عن خشب البار المصقول: "حسنًا، شكرًا جزيلًا".

تمكن بيل من رفع آندي وتحريكه نحو الباب خلال ثوانٍ معدودة، رغم أن ساقي آندي مالتا للتحوُّل إلى هُلام. نهض رالف توتن بسرعة ليفتح الباب، فتمكن بيل من إخراج آندي مباشرةً إلى موقف السيارات.

قالت بورشيا: "شكرًا يا سوكي. والآن، هل دفع حسابه؟".

أومأتُ برأسي.

قالت: "حسنًا". وضربت بيدها على البار في إشارة إلى أنها ستغادر. وتوجَّب عليها الاستماع إلى سيلٍ من النصائح، حسنة النيَّة، وهي تتبع بيل خارج الباب الأمامي لحانة ميرلوت.

وهكذا، بقيت سيارة "بويك" القديمة، الخاصَّة

بالمُحقِّق آندي بليفلور، في موقف سيارات حانة ميرلوت طوال الليل وحتى اليوم التالي. سيُقسِم آندي لاحقًا أنها كانت فارغة تمامًا عندما خرج منها ليدخل الحانة، وسيشهد أيضًا أنه كان مشغولًا للغاية بصراعاته الداخلية حتى إنه نسي قفل السيارة.

وفي وقتٍ ما، بين الساعة الثامنة مساءً، حين وصل آندي إلى حانة ميرلوت، والساعة العاشرة من صباح اليوم التالي، عندما وصلتُ للمساعدة في فتح الحانة، ظهر في سيارة آندي راكبٌ جديد.

وسيجلب هذا الراكب إحراجًا كبيرًا للشُرطي.

لأنه كان ميتًا.

***

لم يُفترَض بي أن أكون موجودة هناك على الإطلاق. إذ كنت قد عملتُ في الورديَّة المُتأخِّرة الليلة الماضية، وكان من المفترض أن أعمل في نفس الوردية تلك الليلة أيضًا. لكن بيل طلب مني تبديل ورديتي مع أحد زملائي، لأنه احتاج مني مرافقته إلى شرِفبورت، ولم يمانع سام ذلك. سألتُ صديقتي آرلين إن كانت تستطيع العمل في ورديتي، إذ كان من المُقرَّر أن تحصل على يوم إجازة، لكنها لطالما أرادت كسب البقشيش، الأفضل، الذي نحصل عليه في الليل، ووافقت على القدوم في الخامسة مساءً.

بحسب المنطِق، توجَّب على آندي استلام سيارته

ذلك الصباح، لكنه كان مُثقلًا بصداع ما بعد الثمالة، حتى إنه لم يستطع إقناع بورشيا بتوصيله إلى حانة ميرلوت، التي كانت بعيدة عن مركز الشرطة. أخبرته أنها ستأتي لتأخذه من العمل عند الظهيرة، لتناول الغداء في الحانة، ومن ثم يمكنه بعد ذلك استرداد سيارته.

لذا، أخذ انكشاف أمر سيارة البويك، وراكبها الصامت، وقتًا أطول بكثيرٍ مما ينبغي.

كنت قد نمتُ حوالي ست ساعات الليلة الماضية، لذا شعرتُ أنني بخير إلى حدٍ ما. حيث يمكن لمواعدة مصّاص دماء أن تُخِلَّ بتوازنك إن كنت شخصًا نهاريًا بطبيعتك، مثلي. كنت قد ساعدتُ في إغلاق الحانة، ثم غادرت إلى المنزل مع بيل بحلول الساعة الواحدة. دخلنا إلى حوض الاستحمام الساخِن الخاص ببيل، ثم قمنا بأشياء أخرى، لكنني بعد الثانية بقليلٍ كنت قد خلدتُ إلى النوم، ولم أستيقظ حتى قُرابة التاسعة. حينها كان بيل قد استقرَّ في مرقده تحت الأرض منذ وقتٍ طويل.

شربتُ الكثير من الماء وعصير البُرتقال، وتناولتُ مُكمّلات الفيتامينات المتعددة والحديد على الإفطار، فقد كان هذا هو نظامي الغذائي المُعتاد منذ دخول بيل إلى حياتي، إذ جلب معه، إلى جانب الحُب والمغامرة والإثارة، التهديد المستمر بفقر الدم. كان الطقس قد ازداد برودة، الحمد لله، لذا جلستُ في شرفة بيل الأمامية مُرتدية سترة

صوفية وسروالًا أسود، وهو الزي الذي اعتدنا ارتداءه، في حانة ميرلوت، عندما يصبح الجو باردًا للغاية على ارتداء السراويل القصيرة. بينما طُرِّزَت كلمة "حانة ميرلوت" على الجهة اليسرى من صدر قميصي الجولف الأبيض.

عندما كنت أتصفَّح الجريدة الصباحية، أدركتُ بجزءٍ من عقلي حقيقة أن العشب لم يعد ينمو بالسرعة نفسها. وبدا أن بعض أوراق الشجر قد بدأت تتغيَّر. قد يصبح حضور مباراة كرة القدم في المدرسة الثانوية، يوم الجمعة المُقبِل، أمرًا مقبولًا إلى حدٍ ما.

يكره الصيف مغادرة لويزيانا، حتى في شمالها. ويبدأ الخريف بطريقةٍ مترددة للغاية، وكأنه قد يتراجع في أي لحظة، ويسمح لحرارة يوليو الخانِقة بتولِّي الأمور. لكنني كنت في حالة تأهُّب، واستطعتُ رصد بوادر الخريف هذا الصباح. إذ يعني الخريف والشتاء ليالي أطول، ومزيدًا من الوقت مع بيل، وساعات نوم أكثر.

لذا كنت مبتهجة عندما ذهبتُ إلى العمل. وعندما رأيتُ سيارة البويك تقف وحيدةً أمام الحانة، تذكَّرتُ ثمالة آندي المفاجئة في الليلة السابقة. ولا بد لي من الاعتراف بأنني ابتسمتُ حينما فكَّرتُ في شعوره اليوم. وبينما كنت على وشك القيادة، إلى الخلف، لركن سيارتي مع سيارات بقية الموظفين، لاحظتُ أن باب الراكب الخلفي لسيارة آندي كان

مفتوحًا قليلًا. ألن يُبقي هذا مصباح سيارته الداخلي مُضاءً؟ بالتأكيد، وبالتالي سينفد شحن بطّاريته، وسيغضب، وسيضطر لدخول الحانة لاستدعاء شاحنة السحب، أو سيطلب من أحدهم مساعدته. لذا صففتُ سيارتي وترجلتُ منها، تاركةً المُحرِّك يعمل. وهو ما اتضح أنه خطأ ساذج.

دفعتُ الباب لأغلقه، لكنه لم يتحرَّك إلا بوصة واحدة. لذا ضغطتُ بجسدي عليه مُعتقِدةً أنه سينغلق ليمكنني المضي قدمًا في طريقي. لكن مرة أخرى، لم ينغلقْ الباب. وبنفاد صبر، فتحته بقوة لمعرفة ما الذي يُعيقه. هبَّت موجة من رائحةٍ كريهة لتملأ موقف السيارات، رائحة مروَعة للغاية. تملّكني الرعبُ، لأن الرائحة لم تكن غريبةً عني. نظرتُ إلى المقعد الخلفي للسيارة، ويدي تغطي فمي، رغم أن ذلك لم يُخفِّف من الرائحة بشكلٍ كبير.

همست: "يا إلهي، اللعنة". فقد رَقَدَ لافاييت، الطبَّاخ الدائم في مطبخ ميرلوت، في المقعد الخلفي، عاريًا. وكانت قدمه البُنيَّةِ النحيلة، التي طُلِيَت أظافرها باللون القرمزي الداكن، هي ما منع الباب من الانغلاق، وجُثَّته هي سبب تلك الرائحة الكريهة.

تراجعتُ على عجل، ثم هرعتُ إلى سيارتي، وانطلقتُ مُسرعةً إلى خلف الحانة، وضغطتُ على بوق السيارة. خرج سام مهرولًا من باب الموظفين، ومئزر مربوط حول خصره. أطفأت سيارتي وترجّلتُ

منها بسرعة حتى إنني لم أدرك ما فعلته، وتشبّثتُ بسام واعتصرته بقوة شديدة.

همس سام في أذني: "ما الأمر؟". تراجعتُ قليلًا لأتمكن من النظر إليه، ولم أضطر لرفع نظري كثيرًا، لأن سام رجل قصير القامة نوعًا ما، ولمع شعره الذهبي المحمر تحت شمس الصباح، بينما اتسعت عيناه الزرقاوان الصافيتان بقلقٍ وتوجّس.

قلت: "إنه لافاييت". وبدأتُ بالبكاء. كان ذلك أمرًا ساذجًا وسخيفًا وغير مُجدٍ على الإطلاق، لكنني لم أستطع التحكُّم في نفسي. تابعتُ حديثي: "لقد مات، في سيارة آندي بليفلور".

ضمَّني سام بقوة وجذبني إليه مرة أخرى، وقال بهدوء: "أنا آسف لأنكِ رأيتِ ذلك يا سوكي. سنتصل بالشرطة. يا لكَ من مسكينٍ يا لافاييت".

أن تكون طاهيًا في حانة ميرلوت أمرٌ لا يتطلَّب مهارات طهو استثنائيَّة، فسام لا يُقدِّم سوى بعض الشطائر والبطاطا المقليَّة. لذا فإن نسبة تغيير الطُهاة مرتفعة. لكن لافاييت استمرَّ في العمل لفترةٍ أطول من غيره، الأمر الذي أدهشني.

كان لافاييت مِثليًا، بل يمكنني القول إنه شديد المثليَّة، بأظافره الطويلة وزينته. إن الناس في شمال لويزيانا أقل تسامحًا مع ذلك مقارنةً بسكان نيو أورلينز، لذا أتوقَّع أن لافاييت، وهو رجل من ذوي البشرة السمراء، قد واجه صعوبة مضاعفة.

ورغم، أو ربما بسبب، تلك الصعوبات، كان مرحًا، ولعوبًا بطريقةٍ مُسليَّة، وذكيًا، وفي الواقع طاهيًا جيدا. كما كان لديه صلصة خاصَّة للهامبرجر، لذا اعتاد الناس طلب شطائره بشكلٍ مُنتظم.

سألث سام: "هل لديه عائلة هنا؟". افترقنا بحذرٍ ودخلنا إلى المبنى، إلى مكتبه.

قال سام: "كان لديه ابن عم". ثم ضغطَ بأصابعه على "٩١١". وقال لموظَّف الطوارئ: "الرجاء الحضور إلى حانة ميرلوت، على طريق الأبرشيَّة رقم أربعة وثلاثين. هناك جثَّة رجُل داخل سيارة. نعم، في موقف السيارات، أمام المبنى. وأيضًا، قد ترغب في تنبيه آندي بليفلور، فهي سيارته".

كان بإمكاني سماع الهمهمة الصادرة من الخط.

دخلت دانييل جراي وهولي كليري، النادلتان اللتان تعملان في الورديَّة الصباحيَّة، من الباب الخلفي وهما تضحكان. كلتاهما امرأتان مُطلَّقتان في منتصف العشرينيات من عمرهما، كما كانتا صديقتين منذ الطفولة، وتبدوان سعِيدتين بعملهما طالما أنهما معًا. كان لدى هولي ابن في الخامسة من عمره في روضة الأطفال، بينما حظيَت دانييل بابنة، في السابعة من عمرها، وطفل أصغر من أن يذهب إلى المدرسة، يُقيمان مع والدتها عندما تأتي دانييل للعمل بالحانة. لم أكن لأقترب كثيرًا من هاتين المرأتين - اللتين كانتا من عمري تقريبًا - لأنهما

كانتا حريصتين على الاكتفاء بعضهما ببعض.

سألَتني دانييل عندما رأت وجهي: "ما الأمر؟". وبدا القلق على وجهها النحيل، المليء بالنمش، فورًا.

سألت هولي: "لماذا تقف سيارة آندي بالخارج؟". وتذكَّرتُ أنها واعدت آندي بليفلور لفترة. امتلكت هولي شعرًا أشقر قصيرًا ينسدل حول وجهها مثل بتلات الأقحوان الذابلة، وأجمل بشرة رأيتها في حياتي. تابعت: "هل قضى ليلته فيها؟".

قلت: "لا، لكن شخصًا آخر فعل ذلك".

"مَن؟".

"لافاييت بداخلها".

قالت هولي، التي لطالما تمتَّعت بالصراحة الجارحة: "هل سمح آندي لمثليٍّ أسود بالنوم في سيارته؟".

بينما سألت دانييل، التي كانت الأذكى: "ماذا حدث له؟".

قال سام: "لا نعرف، لكن الشرطة في الطريق".

قالت دانييل ببطءٍ وحذر: "هل تقصد.. أنه ميِّت".

أجبتها: "نعم، هذا بالضبط ما أقصده".

وضعت هولي يديها على فخذيها وقالت: "حسنًا، من المُقرَّر أن نفتح الحانة بعد ساعة. ماذا سنفعل

حيال ذلك؟ إذا سمحت لنا الشرطة بفتح الحانة، فمن سيطبخ لنا؟ سيأتي الزبائن إلى هنا، وسيرغبون في تناول الغداء".

قال سام: "من الأفضل أن نستعِد، تحسُبًا لأي طارئ. رغم أنني أعتقد أننا لن نتمكن من فتح الحانة حتى فترة ما بعد الظهيرة". ثم دخل إلى مكتبه ليبدأ الاتصال بالطُهاة البُدلاء.

كان من الغريب أن نبدأ في إجراءات التحضير للافتتاح، وكأنَ لافاييت سيظهر في أي لحظة، ليقص علينا حكاية عن حفلةٍ حضرها، كما فعل قبل بضعة أيام. دوت صفّارات الإنذار على طريق المقاطعة، الذي يمر أمام حانة ميرلوت، وتدافعت السيارات عبر موقف سام المرصوف بالحصى. وبحلول الوقت الذي أنهينا فيه إنزال الكراسي، وترتيب الطاولات، ولفّ أدوات تناول الطعام الفضيَّة الإضافية في المناديل لتكون جاهزة للاستعمال، جاءت الشرطة.

تقع حانة ميرلوت خارج حدود المدينة، لذا فإن مأمور المقاطعة، السيد بود ديربورن، هو المسؤول. بود ديربورن، الذي كان صديقًا مُقرَّبًا لوالدي، قد أصبح الآن أشيب الشعر، بوجهٍ مسطَّح، يشبه الكلب البشري، وعينين بنيتين داكنتين. وعندما دخل من باب الحانة الأمامي، لاحظتُ أنه ارتدى حذاءً ثقيلًا وقبعة فريق "القدّيسين". يبدو أنهم قد استدعوه من العمل في مزرعته.

كما جاء بصُحبته المُحقِّق آلسي بِك، المُحقِّق الوحيد من أصول إفريقية في شرطة المقاطعة. كان لون بشرة آلسي أسود داكنًا حتى إن قميصه الأبيض بدا مُتلألئًا بالتباين. عُقِدَت ربطة عُنقه بدقَّة، وهُندِمَت بدلته تمامًا، كما بدا حذاؤه براقًا ولامعًا.

كان بود وآلسي يديران شؤون المقاطعة معًا، أو على الأقل بعض الجوانب الأكثر أهميَّة التي تبقيها قيد العمل. كان لمايك سبنسر، مدير دار الجنازات وطبيب المقاطعة الشرعي، تأثير كبير في الشؤون المحليَّة أيضًا، كما كان صديقًا مُقرَّبًا لبود. كنت على استعدادٍ للمُراهنة أن مايك كان بالفعل في موقف السيارات، يعلن وفاة لافاييت المسكين.

قال بود ديربورن: "من الذي وجد الجثَّة؟".

أجبته: "أنا". والتفت بود وآلسي قليلًا لينظرا نحوي.

سأله بود: "هل يمكننا استخدام مكتبك يا سام لكنه لم ينتظر رد سام، بل أومأ برأسِه ليُشير إليَّ بالدخول.

قال رئيسي بنبرةٍ جافَّة: "بالطبع، تفضَّلوا". ثم سألني: "هل يناسبكِ الأمر يا سوكي؟".

أجبته: "لا بأس يا سام". لكنني لم أكن متأكدة تمامًا من مدى صحة ذلك، لكن لم يكن هناك شيء يمكن لسام القيام به دون التورُّط في مشاكل، ولن

يجدي ذلك نفعًا على أي حال. ورغم أن بود أشار لي بالجلوس، إلا إنني هززتُ رأسي بالرفض بينما جلس هو وآلسي على كراسي المكتب. جلس بود، بالطبع، على كرسي سام الكبير، بينما اكتفى آلسي بالكرسي الإضافي الأصغر، الذي احتوى على قليلٍ من الحشو.

قال بود: "هلّا أخبرتِنا عن آخر مرة رأيتِ فيها لافاييت على قيد الحياة".

فكّرتُ في الأمر قليلًا ثم قلت: "لم يكن يعمل الليلة الماضية، بل أنتوني هو مَن حلّ محله، أنتوني بوليفار".

رفع آلسي حاجبيه بدهشةٍ وقال: "من هذا؟ لم أتعرَّف على الاسم".

"إنه أحد أصدقاء بيل. مرَّ بالبلدة، وكان بحاجةٍ إلى وظيفة، ويمتلك القدر الكافي من الخبرة". فقد عمل في أحد المطاعم خلال فترة الكساد الكبير.

"هل تقصدين أن طبَّاخ حانة ميرلوت كان مصَّاص دماء؟".

سألته: "ما المشكلة؟". وشعرتُ بفمي يلتوي، وحاجبيَّ يتجهَّمان، وعرفتُ أن علامات الغضب قد بدأت تظهر على وجهي. حاولتُ جاهدةً ألا أقرأ أفكارهم، وبذلتُ قصارى جهدي للبقاء خارج الموضوع تمامًا، لكن الأمر لم يكن سهلًا. كان بود ديربورن على ما يرام، لكن آلسي شعَّ بالأفكار كما تشع المنارة بضوئها. والآن، أرسل موجات من

الاشمئزاز والخوف.

في الأشهر التي سبقت لقائي ببيل، حين اكتشفت مدى تقديره لإعاقتي تلك – أو موهبتي كما يصفها – كنت قد بذلتُ قصارى جهدي لإقناع نفسي والآخرين بأنني لا أستطيع حقًّا "قراءة" الأفكار. ولكن منذ أن حرَّرني بيل من السجن الصغير الذي زججتُ نفسي خلف أسواره، بدأتُ أتدرَّب وأجرِّب؛ بتشجيعٍ منه. فبالنسبة له، صغتُ في كلمات كل ما شعرتُ به طوال سنوات. يُرسل بعض الناس إشارات واضحة وقويَّة، مثل آلسي. في حين يتقلَّب معظم الناس بين الوضوح والغموض؛ مثل بود ديربورن. إذ اعتمد الأمر كثيرًا على مدى قوَّة عواطفهم، أو مدى صفاء أذهانهم، وربما حتى على حالة الطقس. فبعض الناس غامضون للغاية، حتى يكاد يكون من المستحيل تقريبًا معرفة ما يدور في عقولهم. وربما كان كل ما يمكنني فعله هو استشعار مزاجهم العام، وهذا كل شيء.

كنت قد اعترفتُ بأن لمسي للناس في أثناء محاولتي قراءة أفكارهم، يجعل الصورة أوضح – كأنك انتقلت من مشاهدة التلفاز بهوائي قديم، إلى القنوات عالية الدقَّة. كما اكتشفتُ أنني إن "أرسلتُ" للشخص صورًا مُريحة، فسيمكنني التسلُّل إلى عقله بسهولة، كما يتدفَّق الماء.

ولم يكن هناك شيء أرغب فيه أقل من التدفُّق داخل عقل آلسي بِك. ومع ذلك، وبشكلٍ لا إراديّ

تمامًا، حصلتُ على صورةٍ واضحةٍ لعقله المليء بالخرافات، وردّة فعله العميقة بعد اكتشافه حقيقة عمل مصّاص دماء في حانة ميرلوت، واشمئزازه عندما اكتشف أنني المرأة التي سمع عنها، بأنها تواعد مصّاص دماء، وقناعته الراسخة بأن لافاييت المثلي الذي يجاهر بميوله الجنسيّة كان عارًا على مجتمع السود. كما كان مقتنعًا بأن أحدهم يريد الإيقاع بآندي بليفلور، بوضع جثّة مثليّ أسود في سيارته. وتساءَل عمّا إن كان لافاييت مصابًا بالإيدز، وهل يمكن للفيروس التسرّب إلى مقعد سيارة آندي بطريقةٍ ما والبقاء هناك. لو كانت السيارة ملكه، لباعها بلا أدنى شك.

لو لمستُ آلسي، لعرفتُ أيضًا رقم هاتفه ومقاس حمّالة صدر زوجته.

نظر إليّ بود ديربورن بطريقةٍ غريبة، فسألته: "معذرةً، هل قلتُ شيئًا؟".

"نعم. كنت أتساءَل إن كنت قد رأيتِ لافاييت هنا خلال المساء. هل جاء ليحتسي شرابًا؟".

قلت: "لم أرَه هنا قط". والآن، بعد التفكير في الأمر، أدركتُ أنني ما رأيت لافاييت يشرب قط. وللمرة الأولى، لاحظتُ أنه على الرغم من أن جمهور الغداء كان متنوّعًا، إلا أن روّاد الحانة في الليل كانوا في الغالب من البيض.

"أين اعتاد قضاء وقت فراغه؟"

قلت: "ليس لديَّ أدنى فكرة". إذ اعتاد لافاييت أن يحكي قصصه بأسماء مستعارة لحماية الأبرياء. أو بالأحرى، لحماية المذنبين.

"متى رأيته للمرة الأخيرة؟".

"ميتًا، في السيارة".

هزَّ بود رأسه بإحباط، وقال: "أقصد وهو على قيد الحياة يا سوكي".

قلت: "هممم، أظن.. قبل ثلاثة أيام. كان لا يزال هنا عندما وصلْت لبدء ورديتي، وتبادلنا التحية. ثم أخبرني عن حفلةٍ حضرها". حاولتُ تذكُّر كلماته بالضبط، ثم تابعت: "قال إنه كان في منزل يعجُّ بكافة أنواع المغامرات الجنسيَّة".

حدَّق الرجُلان في وجهي.

قلت: "حسنًا، هذا ما قاله! لا أعرف مقدار الحقيقة في ذلك". استطعتُ فقط رؤية وجه لافاييت وهو يخبرني بتلك القصَّة، والطريقة الماكرة التي ظلَّ يضع بها إصبعه على شفتيه ليشير إليَّ بأنه لن يخبرني بأي أسماء أو أماكن.

بدا بود ديربورن مذهولًا وهو يسألني: "ألم تعتقدي أن أحدًا يجب أن يعلم بذلك؟".

"لقد كانت حفلة خاصَّة. لماذا يجب أن أخبر أي شخص عنها؟".

لكن مقاطعتهما لم تكن معتادة على هذا النوع من

الحفلات. حدَّق كلا الرجلين في وجهي، ثم زمَّ بود شفتيه وقال: "هل أخبركِ لافاييت بأي شيء عن تعاطيهم للمخدرات في هذا الحفل؟".

"لا، لا أتذكَّر شيئًا من هذا القبيل".

"هل كانت هذه الحفلة في منزل شخص أبيض، أم شخص أسود؟".

أجبته: "أبيض". ثم تمنَّيث لو أنني ادَّعيث الجهل.

لكن لافاييت كان معجبًا حقًّا بالمنزل، ليس لأنه كان كبيرًا أو فخمًا. لماذا أعجِب به إلى هذا الحد؟ لم أكن متأكدة تمامًا مما قد يعتبره لافاييت مُثيرًا للإعجاب، خاصَّة وأنه نشأ فقيرًا وظلَّ كذلك. لكنني كنت واثقة من أنه تحدَّث عن منزل شخص أبيض، لأنه قال: "كل الصور على الجدران، بيضاء كالزنابق ومبتسمة كالتماسيح". بالتأكيد لم أذكر هذا التعليق للشرطة، ولم يسألوني المزيد.

عندما غادرتُ مكتب سام، بعد أن شرحتُ لهم سبب وجود سيارة آندي في موقف السيارات في المقام الأول، عدتُ للوقوف خلف البار. لم أكن أرغب في مشاهدة ما يجري في موقف السيارات، ولم يكن هناك أي زبائن لأخدمهم، لأن الشرطة كانت قد أغلقت مداخل الموقف.

كان سام يعيد ترتيب الزجاجات خلف البار، وينفض الغبار في أثناء ذلك. بينما جلست هولي ودانييل على طاولة في قسم المدخنين لتتمكن

الأخيرة من تدخين سيجارة.

سألني سام: "كيف جرى الأمر؟".

"لم يكن هناك الكثير. لم يعجبهم ما سمعوه عن عمل أنتوني هنا، ولم يعجبهم ما أخبرتهم به عن الحفلة التي تفاخر لافاييت بالذهاب إليها مؤخرًا. هل سمعته يخبرني عن الأمر؟ تلك الحفلة الجماعيّة؟".

"نعم، لقد قال لي شيئًا عن ذلك أيضًا. يبدو أنها كانت ليلة كبيرة بالنسبة له، إذا كانت قد حدثت بالفعل".

"هل تعتقد أن لافاييت اختلق الأمر؟".

قال: "لا أعتقد أن هناك الكثير من الحفلات مختلطة الأعراق ومزدوجة الميول الجنسيّة في بون تيمبس".

أجبته بحدّة: "لكن ذلك لأن أحدًا لم يدعُك إلى أحد تلك الحفلات". وتساءلتُ عمّا إن كنت أعرف حقًّا ما يحدث في بلدتنا الصغيرة. فمن بين جميع الناس في بون تيمبس، توجّب عليّ أن أكون الشخص الذي يعرف خفايا مدينتنا، فالمعلومات كانت متاحة لي بسهولةٍ إلى حدٍ ما، إن اخترتُ البحث عنها. ثم تابعت حديثي: "على الأقل، هذا ما أفترضه، صحيح؟".

ابتسم سام قليلًا وهو ينفض الغبار عن زجاجة

ويسكي، وقال: "صحيح".

"يبدو أن دعوتي قد ضاعت في البريد أيضًا".

"هل تعتقدين أن لافاييت عاد إلى هنا الليلة الماضية ليتحدَّث معكِ أو معي عن تلك الحفلة؟".

هززتُ كتفي بلا مبالاة، وقلت: "ربما كان قد رتَّب لقاءً مع شخص ما في موقف السيارات. ففي النهاية، يعرف الجميع أين تقع حانة ميرلوت. هل حصل على راتبه؟". إذ كنا في نهاية الأسبوع، حيث يدفع لنا سام عادةً.

"لا، ربما قد جاء من أجل ذلك، لكنني كنت سأعطيه راتبه في العمل في اليوم التالي. اليوم".

"أتساءل من الذي دعاه إلى تلك الحفلة".

"سؤال وجيه".

"أنت لا تعتقد أنه كان غبيًا بما يكفي ليحاول ابتزاز أحدهم، أليس كذلك؟".

فرك سام سطح البار الخشبي المُزيَّف بقطعة قماش نظيفة. كان البار يلمع بالفعل، لكنه كان يحب إبقاء يديه مشغولتين، كما لاحظت. فكَّر في الأمر قليلًا، ثم قال: "لا أعتقد ذلك، لا، لقد اختاروا الشخص الخاطئ. أنتِ تعرفين مدى طيش لافاييت. إذ لم يكتفِ فقط بإخبارنا بحضوره مثل هذه الحفلة - وأراهن على أنه لم يكن من المفترض به أن يفعل - بل ربما أراد التمادي في الحديث عنها أكثر مما

قد يرتاح له مشاركون آخرون".

"مثل.. البقاء على تواصل مع الحاضرين؟ أو غمزة لعوب في العلن؟".

"شيء من هذا القبيل".

قلت: "أعتقد أنك إن مارست الجنس مع أحدهم، أو شاهدته وهو يمارس الجنس، فربما تشعر بنوعٍ من المساواة معه". لم أكن واثقة من ذلك، نظرًا لقلّة خبرتي في هذا المجال، لكن سام أومأ برأسه موافقًا.

قال: "أراد لافاييت أن يقبل به الآخرون كما هو أكثر من أي شيء آخر". وتحتّم عليّ موافقته الرأي.



الفصل الثاني

فتحنا الحانة مجددًا في الساعة الرابعة والنصف، وبحلول ذلك الوقت كنا جميعًا قد بلغنا أقصى درجات الملل. شعرتُ بالخجل من ذلك، لأننا في النهاية كنا هناك بسبب وفاة رجل نعرفه، ولكن لا يمكن إنكار أنه بعد ترتيب المخزن وتنظيف مكتب سام ولعب عدّة جولات من لعبة "البوري(1)" (فاز سام بخمسة دولارات وبعض الفكّة) كنا جميعًا مستعدين لرؤية شخص جديد. وعندما دخل تيري بليفلور، ابن عم آندي والنادل البديل أو الطبَّاخ البديل في حانة ميرلوت، من الباب الخلفي، كان ظهوره موضع ترحيب.

أظن أن تيري كان في أواخر الخمسينيات من عمره. كما كان أحد المحاربين القدامى في فيتنام، وأسير حرب لمدة عام ونصف العام. عانى تيري من بعض الندوب الواضحة على وجهه، وأخبرتني صديقتي آرلين أن الندوب على جسده كانت أشد بكثير. كان تيري أصهَب، رغم أن شيبه بدأ يزداد تدريجيًا مع مرور كل شهر، على ما يبدو.

لطالما كننتُ مودّة خاصّة لتيري، الذي بذل قصارى جهده ليعاملني بلطف، إلا عندما يمر بإحدى نوبات الاكتئاب. عرف الجميع أنه لا يجب إغضاب تيري بليفلور عندما يمر بإحدى تلك النوبات. كانت أيام اكتئابه تأتي دائمًا بعد كوابيس مروّعة، كما شهد

جيرانه، الذين سمعوا صِراخه في تلك الليالي.

لم أقرأ أبدًا أفكار تيري، أبدًا أبدًا.

بدا تيري بخيرٍ اليوم. إذ استرخى كتفاه، ولم تتحرَّك عيناه بقلقٍ من جانبٍ إلى آخر. سألني وهو يربت على ذراعي بتعاطُف: "هل أنتِ بخيرٍ يا عزيزتي؟".

"شكرًا يا تيري. أنا بخير، أشعُر بالحزن على لافاييت فحسب".

قال: "نعم، لم يكن سيئًا للغاية". ومن شخصٍ كتيري، كان ذلك أعلى درجات الثناء. تابع حديثه قائلًا: "لقد أدى عمله، واعتاد القدوم دائمًا في الوقت المُحدَّد. نظَّف المطبخ بشكلٍ جيِّد، ولم يتفوَّه بكلمةٍ سيئةٍ قط". كان الوصول لهذا المستوى من الكفاءة أسمى طموح تيري، استكمَل حديثه: "ثم مات في سيارة آندي البويك".

قلت: "أخشى أن تكون سيارة آندي قد..". بحثتُ عن أقل العبارات قسوة.

قال تيري حريصًا على إغلاق هذا الموضوع: "قال إنها قابلة للتنظيف".

"هل أخبرك بما حدث للافاييت؟".

أجابني: "قال آندي إن عنقه يبدو كأنه قد كُسِرَ. وكانت هناك بعض الأدلة على أنه تم العبث به". وَمَضت عينا تيري البنيتان بعيدًا، كاشفتين عن

انزعاجه. إذ تعني جملة "العبث به" شيئًا عنيفًا وجنسيًا بالنسبة لتيري.

"يا إلهي، كم هذا مروّع!".

وقفَت دانييل وهولي خلفي، بينما توقَّف سام في طريقه إلى سلة المهملات في الخلف، حاملًا كيسًا آخر من القمامة التي نظّفها من مكتبه.

"لم يكن يبدو.. أعني، لم تكن السيارة تبدو..".

"ملطخة؟".

"نعم".

"يعتقِد آندي أنه قُتِل في مكان آخر".

قالت هولي: "يا للهول، توقَّفا عن الحديث عن هذا الأمر، إنه أكثر مما أحتمل".

نظر تيري خلفي إلى المرأتين. لم يَكِنّ الكثير من الود لهولي أو دانييل، رغم أنني لم أعرف السبب ولم أبذل أي جهد لمعرفة ذلك. حاولت ترك الناس وشأنهم، خاصّة بعدما أصبحث أتحكّم بشكلٍ أفضل في قدراتي. سمعت المرأتين تبتعدان، بعد أن ثبّت تيري نظراته عليهما لبضع ثوانٍ.

سألني: "هل جاءت بورشيا وأخذت آندي الليلة الماضية؟".

"نعم، لقد اتّصلتُ بها. لم يكن يستطع القيادة، رغم أنني أراهن أنه يتمنّى لو تركته يقود". عرفتُ أنني

لن أكون قط على قائِمة المُفضَّلين لدى آندي بليفلور.

"هل واجهَت صعوبة في إيصاله إلى سيارتها؟".

"ساعدها بيل".

"بيل مصّاص الدماء؟ حبيبكِ؟".

"نعم".

قال تيري، وكأنه نسيَ أنني لا أزال واقفة أمامه: "آمل ألا يكون قد أخافها".

شعرتُ بوجهي يتجهَّم، وقلت: "لا يوجد سبب على وجه الأرض يجعل بيل يُرهِب بورشيا بليفلور". واخترقَت طريقتي في الكلام غيمة الأفكار التي غرق فيها تيري.

أجابني تيري: "بورشيا ليست بالقوَّة التي يظنها الجميع. أما أنتِ، من ناحيةٍ أخرى، فحلوة كالكعكة من الخارج، وقويَّة كالثور من الداخل".

"لا أعرف ما إن كان عليّ الشعور بالإطراء أم ضربُك على أنفك".

قال: "هاكِ! كم من النساء – أو الرجال، إن شئتِ – سيجرؤون على قول مثل هذا الشيء لرجُلٍ مجنون مثلي؟". ثم ابتسم ابتسامة شاحِبة. لم أكن أعرف مدى وعي تيري بسُمعته السيِّئة، حتى هذه اللحظة.

وقفتُ على أطراف أصابعي لأقبِّله على خدِّه المُشوَّه؛ لأثبت له أنني لا أخشاه. لكن ما إن درتُ

على عقبي، حتى أدركتُ أن ذلك لم يكن صحيحًا تمامًا. ففي ظروف معينة، لم أكن لأتوخى الحذر الشديد من هذا الرجُل المُحطَّم، بل كنت لأرتعِد منه خوفًا في الواقع.

ربط تيري خيوط أحد مآزر الطُهاة البيضاء وبدأ في تجهيز المطبخ. أما بقيّتنا، فعدنا إلى وضعيَّة العمل. لم يكن أمامي وقت طويل لخدمة الطاولات، إذ كنت سأغادر في السادسة مساءً لأستعد للذهاب إلى شرِفبورت مع بيل. لقد كرهتُ أن يتكبَّد سام عناء دفع أجر لي مقابل الوقت الذي قضيته في التسكُّع في ميرلوت اليوم في انتظار العمل؛ لكن ترتيب المخزن وتنظيف مكتب سام لا بد أن يُحسَبا لي.

وبمجرد أن فتحت الشرطة موقف السيارات، بدأ الناس بالتدفُّق بكثافةٍ كما هو الحال في بلدةٍ صغيرةٍ مثل بون تيمبس. كان آندي وبورشيا من بين أوائل الحاضرين، ورأيتُ تيري ينظر من نافذة المطبخ باتجاه أبناء عمومته. لوَّحا له، فرفع الملعقة لتحيَّتهما. تساءلتُ عن مدى قُرب تيري من أبناء عمومته. لم يكن ابن عم من الدرجة الأولى، كنت متأكدة من ذلك. بالطبع، هنا في هذه البلدة، يمكنك مناداة أي شخص بابن عمك أو خالتك أو خالك رغم أنه قريبك من بعيد أو لا تجمعك به أي صلة قرابة على الإطلاق. بعد وفاة والديَّ عندما جرف فيضان مفاجئ سيارتهما من فوق الجسر، حاولَت صديقة

والدتي المُقرّبة القدوم إلى منزل جدّتي كل أسبوع أو أسبوعين ومعها هدية صغيرة من أجلي؛ واعتدتُ مناداتها بخالتي باتي طوال حياتي.

أجبتُ على جميع أسئلة الزبائن عندما أتيح لي الوقت، وقدّمتُ شطائر الهامبرجر والسلطات وشرائح صدور الدجاج – والبيرة – حتى شعرتُ بالدوار. وعندما نظرتُ إلى الساعة، كان الوقت قد حان لمغادرتي. وفي حمّام السيدات، وجدتُ بديلتي، وصديقتي آرلين. صُفِّفَ شعرها الأحمر الناري (بدرجتين أكثر احمرارًا هذا الشهر) في مجموعةٍ مُتقنةٍ من الضفائر خلف رأسها، وكشف بنطالها الضيّق للعالم أنها قد فقدَت سبعة أرطال من وزنها. تزوّجت آرلين أربع مرّات، وكانت تبحث عن الزواج الخامس.

تحدّثنا عن جريمة القتل لبضع دقائق، وأطلعتها على وضع طاولاتي، قبل أن ألتقط حقيبتي من مكتب سام وأغادر مُسرِعة من الباب الخلفي. لم يكن الظلام قد حلّ بعد عندما وصلتُ إلىِ منزلي، الذي يقع على بعد ربع ميل في قلب الغابة، قبالة طريق الأبرشية الذي نادرًا ما يسلكه أحد. إنه منزل قديم، يعود تاريخ أجزاء منه إلى أكثر من مئة وأربعين عامًا، ولكنه قد غُيِّرَ ورُمِّمَ مرارًا حتى لم نعد نعتبره من منازل ما قبل الحرب الأهليَّة. إنه مُجرَّد منزل مزرعة قديم على أي حال. لقد ورثث هذا المنزل عن جدّتي، آديل هيل ستاكهاوس، وأعتز به. تحدّث بيل

عن انتقالي للعيش معه في منزله، الذي يقع على تلّة بالقرب من المقبرة المقابلة لمنزلي، لكنني تردّدت في ترك أرضي.

خلعت زي النادلة وفتحت خزانة ملابسي.

سيريدني بيل أن أتأنّق قليلًا، طالما أننا ذاهبان إلى شرِفبورت لأمرٍ يتعلّق بمصّاصي الدماء. لم أتمكن من فهم ذلك تمامًا، فهو لا يريد أن يحاوِل أي شخص آخر مغازلتي، لكنه لطالما أرادني أن أبدو جميلة للغاية عندما نذهب إلى فانجتازيا، وهي حانة يملكها مصّاصو الدماء، وتُقدِّم خدماتها بشكلٍ رئيسي للسيّاح.

يا للرجال!

لم أتمكن من اتخاذ قرار بشأن ما أرتديه، فقرَّرتُ دخول الحمّام. لطالما أصابني التفكير في فانجتازيا بالتوتُّر الشديد. لأن مصّاصي الدماء الذين يمتلكون المكان كانوا جزءًا من هيكل سُلطة مصّاصي الدماء، وبمجرد اكتشافهم لموهبتي الفريدة، أصبحتُ هدفًا مرغوبًا لهم. وحده دخول بيل الحازم إلى نظام الحُكم الذاتي لمصّاصي الدماء هو الذي أبقاني في أمان؛ أي أنني بقيت أعيش حيث أردت، وأعمل في وظيفتي التي اخترتها. ولكن في مقابل تلك الحماية، كنت مُجبرة على الحضور متى استُدعيت، واستخدام قدرتي على قراءة الأفكار لصالحهم. تلك الإجراءات كانت أخف وطأة من خياراتهم

السابقة (التعذيب والإرهاب) وهي التدابير التي يحتاجها مصّاصو الدماء الذين يرغبون في الاندماج في المجتمع البشري. وما إن بدأت المياه الساخنة تتدفّق على جسدي حتى شعرتُ بتحسُّنٍ، واسترخيتُ تحت ضرباتها الدافئة على ظهري.

"هل يمكنني الانضمام إليك؟".

قلت: "اللعنة يا بيل!". خفق قلبي بسرعة جنونيّة، اتكأتُ على جدار الحمّام لالتقاط أنفاسي.

"آسف يا عزيزتي. ألم تسمعي باب الحمّام يُفتَح؟".

"لا، اللعنة. لماذا لا يمكنك فقط أن تُنادي: حبيبتي، لقد عُدت! أو شيء من هذا القبيل؟".

قال مُجدّدًا: "آسف". لكنه لم يبدُ جادًا للغاية، أضاف: "هل تحتاجين لمن يُدلّك ظهركِ؟".

همستُ بغضب: "لا، شُكرًا. لستُ في مزاجٍ رائقٍ للتدليك الآن".

ابتسم بيل ابتسامة عريضة (بما يكفي لأتمكن من رؤية أن أنيابه قد تراجَعَت) وسَحَبَ ستارة الحمّام ليغلقها.

عندما خرجتُ من الحمّام، والمنشفة ملفوفة حولي بطريقةٍ لا تخلو من الحشمة، رأيته مُستلقيًا على فراشي، وحذاؤه مُرتَّب بعنايةٍ على السجادة الصغيرة بجانب الكومود الصغير. ارتدى بيل قميصًا أزرق داكنًا بأكمام طويلة وسروالًا بلون كاكي،

وجوارب مُطابِقة للقميص، وحذاءً لامعًا. ومشَّط شعره البُني الداكن إلى الخلف، وأضفى عليه سالفاه الطويلان مظهرًا قديمًا.

في الواقع، إنه كذلك، لكنهما أقدم بكثير مما قد يتخيَّله معظم الناس.

امتلك حاجِبين مقوَّسين بشدَّة وأنفًا بارزًا. وكان فمه من النوع الذي تراه في تماثيل الإغريق، على الأقل تلك التي رأيتها في الصور. لقد توفيَ بعد خمس سنوات من نهاية الحرب الأهليَّة (أو كما اعتادَت جدَّتي تسميتها: حرب العدوان الشمالي).

سألته: "ما الخطَّة لهذه الليلة؟ عمل أم متعة؟".

قال بيل: "لطالما كان وجودي معكِ متعة".

سألته: "لماذا سنذهب إلى شرِفبورت؟". لأنني أميِّز الإجابات المراوِغة حين أسمعها.

"لقد استُدعينا".

"ومَن الذي استدعانا؟".

"إريك، بالطبع".

والآن، بعد ترشُّح بيل وقبوله منصِب مُحقِّق المنطقة الخامسة، أصبح تحت إمرة إريك وفي حمايته. وهذا يعني، كما شَرَح لي بيل، أن أي شخص يُهاجِم بيل سيتعيَّن عليه مواجهة إريك أيضًا، وهذا يعني أن ممتلكات بيل قد أصبحت مُقدَّسة بالنسبة لإريك. وهذا يشملني. لم أكن

مسرورة بكوني ضمن ممتلكات بيل، لكن هذا كان أفضل من بعض البدائل الأخرى.

نظرتُ في المرآة بامتعاض.

"لقد عقدتِ صفقةً مع إريك يا سوكي".

اعترفتُ قائلة: "نعم، لقد فعلت".

"عليكِ الالتزام بها إذن".

"هذا ما أنوي فعله".

اقترح بيل قائلًا: "ارتدي سروال الجينز الأزرق الضيّق الذي يُربَط من الجانبين".

لم يكن السروال جينز أصلًا، بل كان من قماش مطّاطي بعض الشيء. لطالما أحبَّ بيل رؤيتي في ذلك السروال مُنخفِض الخصر. تساءلتُ أكثر من مرة إن كان لديه خيال جنسي يتعلّق ببريتني سبيرز. وبما أنني كنت على درايةٍ تامةٍ بأنني أبدو جميلة في ذلك السروال، فقد ارتديته، مع قميص قصير الأكمام باللونين الأزرق الداكن والأبيض، وفتحت أزراره حتى حوالي بوصتين أسفل حمّالة صدري. فقط لأظهِر بعض الاستقلاليّة (ففي النهاية، من الأفضل أن يتذكّر أنني امرأة لها إرادتها الخاصّة)، صفَّفتُ شعري على شكل ذيل حصان عالٍ، وثبّتُّ فيونكة زرقاء فوق الرباط المطّاطي، ووضعتُ القليل من الزينة. نظر بيل إلى ساعته مرة أو مرّتين، لكنني لم أتعجّل. إذا كان قلقًا للغاية بشأن

كيفيَّة إبهاري لأصدقائه من مصَّاصي الدماء، فعليه انتظاري قليلًا.

بمجرد أن انطلقنا بالسيارة ، متوجِّهين غربًا نحو شرِفبورت، قال بيل: "لقد بدأتُ مشروعًا تجاريًا جديدًا اليوم".

بصراحة، تساءلتُ منذ فترة عن مصدَر أموال بيل. إذ لم يبدُ ثريًا يومًا؛ ولم يبدُ فقيرًا كذلك. لكنه لم يكن يعمل أيضًا؛ إلا في الليالي التي لم نقضِها معًا.

وأدركتُ بشيءٍ من القلق، أن أي مصَّاص دماء ذا شأن يمكنه أن يصبح ثريًا بسهولة؛ فبإمكانه، في نهاية المطاف، السيطرة على عقول البشر إلى حدٍ ما، فليس من الصعب إقناعهم بالتخلِّي عن المال أو تقديم نصائح في الأسهم أو فرص الاستثمار. وحتى يكتسب مصَّاصو الدماء الحق القانوني في الوجود، لم يكن عليهم دفع الضرائب. ففي النهاية، اضطرَّت حكومة الولايات المُتحِدة الأمريكيَّة للاعتراف بعدم قدرتها على فرض ضرائب على الموتى. لكن إن أعطيتهم حقوقهم، كما اعتقد الكونجرس، وأعطيتهم حق التصويت، عندها يمكنك إلزامهم بدفع الضرائب.

عندما أتقن اليابانيُّون تصنيع الدم الاصطناعي الذي مكَّن مصَّاصي الدماء من "البقاء" دون الحاجة إلى شرب الدماء البشرية، أصبح بإمكان مصَّاصي الدماء الخروج من توابيتهم. ليقولوا: "انظروا، نحن

لسنا مُضطرِّين إلى إيذاء البشر لنعيش، ولا نشكل تهديدًا".

لكنني عرفتُ أن أكثر ما يُثير بيل حقًّا هو الشرب من دمائي. قد يكون لديه نظام غذائي ثابِت يعتمد على (ترو بلود(2)) "وهو الاسم التجاري الأكثر شُهرة للدم الاصطناعي"، لكن عضّ عُنقي كان لا يُقارَن بشيءٍ آخر. كان بإمكانه شرب بعض الزجاجات المُعبَّأة من فصيلة (أ- موجب) أمام حانة كاملة مليئة بالناس، ولكن إن خطَّط لشرب قطرة واحدة من دماء سوكي ستاكهاوس، فمِن الأفضل أن نكون على انفراد، لأن التأثير كان مُختلِفًا تمامًا. لم يشعر بيل بأي نوع من الإثارة الجنسيَّة وهو يشرب كأسًا من (ترو بلود).

سألته: "ما هذا المشروع الجديد إذن؟".

"لقد اشتريتُ المركز التجاري المُجاوِر للطريق السريع، حيث يقع محل (لا لوري)".

"من الذي كان يملكه؟".

"في الأصل، كانت الأرض ملكًا لعائلة بليفلور. لكنهم سمحوا لسِد مات لانكستر بإبرام صفقة تطوير لصالِحهم".

عَمِل سِد مات لانكستر كمُحامٍ لشقيقي من قبل، وكان موجودًا منذ زمن بعيد، وله نفوذ أكثر بكثيرٍ من بورشيا.

"هذا جيد لعائلة بليفلور، إذ أنهم يحاولون بيع تلك الأرض منذ سنوات. لأنهم بحاجةٍ ماسّةٍ للمال. هل اشتريت الأرض والمركز التجاري؟ كم تبلغ مساحة الأرض؟".

قال بيل بنبرةٍ عمليّةٍ لم أسمعها منه من قبل: "مُجرّد فدّان واحد، لكنه في موقعٍ جيد".

"هل ذلك نفس الشارِع الذي يوجد فيه مطعم "لا لوري"، وصالون التجميل، ومحل تارا للملابس؟".

باستثناء النادي الريفي، كان مطعم "لا لوري" هو المكان الوحيد في منطقة بون تيمبِس الذي يتظاهَر ببعض الفخامة، إنه المكان الذي تأخُذ إليه زوجتك في ذكرى زواجكما الخامسة والعشرين، أو مديرك عندما ترغب في ترقية، أو فتاة تودُّ إبهارها حقًّا. ومع ذلك، سمعتُ أنه لا يُدِر الكثير من المال.

لم يكن لديّ أدنى فكرة عن كيفية إدارة الأعمال أو التعاملات التجارية، فقد سبقتُ الفقر بخطوة أو خطوتين بالكاد طوال حياتي. ولو لم يُحالِف الحظ والداي في العثور على بعض النفطَ في أرضهما وادّخار كل المال الذي جنياه قبل أن ينضب، لعانيتُ أنا وجيسون وجدّتي من ويلات الفقر. لقد أوشكنا مرّتين على الأقل على بيع منزل والديّ، فقط للحفاظ على منزل جدّتي ودفع الضرائب، بينما تولّت مسؤولية تربيتنا.

سألته: "إذن كيف تجري الأمور؟ أنت تملك المبنى

الذي يضم تلك الأعمال التجارية الثلاثة، وهُم يدفعون لك الإيجار؟".

أومأ بيل برأسه، ثم قال: "والآن، إن أردتِ تصفيف شعركِ، فاذهبي إلى صالون (كليب آند كيرل)".

لم أذهب إلى مُصفِّف الشعر سوى مرة واحدة في حياتي. وإن تقصَّفت أطراف شعري، كنت أذهب عادةً إلى مقطورة آرلين لتقصها بشكلٍ متساوٍ".

سألته بحيرة: "هل تظن أن شعري يحتاج إلى بعض العناية؟".

قال بشكلٍ مُطمئِن: "لا، إنه جميل. لكن إن أردتِ الذهاب، فلديهم أيضًا خدمات مثل.. مُنتجات العناية بالشعر وتجميل الأظافر". نطق جملة "مُنتجات العناية بالشعر" وكأنه يتحدَّث بلغةٍ أجنبيَّة؛ حتى إنني بالكاد كبحتُ جماح ابتسامتي.

ثم تابع حديثه قائلًا: "ويمكنك اصطِحاب أي شخص تريدينه إلى مطعم (لا لوري)، ولن تضطري إلى الدفع".

استدرتُ في مقعدي لأحدِّق فيه بدهشة.

"وتارا كذلك تعلَم أنكِ إن ذهبتِ إلى متجرها، فستضع أي ملابس تشترينها على حسابي".

شعرتُ بنفسي أستشيط غضبًا، وبالكاد تمكنتُ من السيطرة عليه. أما بيل، لسوء حظه، فلم يُلاحِظ ذلك. قلت بصوتٍ مُتَّزِن، فخورةً بقدرتي

على التحكّم في أعصابي: "إذن بعبارةٍ أخرى، إنهم يعرفون كيف يُدلّلون عشيقة المدير".

بدا أن بيل قد أدرَك أنه ارتكب خطأ، فقال مُحاولًا التدارك: "بحقكِ يا سوكي..". لكنني لم أكن مُستعِدّة لسماع أي أعذار. فقد ضرب كبريائي في مقتل، واستفزّني بشدّة. أنا لا أفقد أعصابي كثيرًا، لكن عندما يحدث ذلك، فإنني أتقِن الأمر تمامًا.

"لماذا لا تُرسِل لي بعض الزهور اللعينة مثل أي صديق حميم آخر؟ أو بعض الحلوى؟ أنا أحب الحلوى! اشترِ لي بطاقة تهنِئة من هولمارك فحسب، لماذا لا تفعل؟ أو قطّة صغيرة؟ أو وشاحًا؟".

قال بحذر: "كنت أنوي إهداءكِ شيئًا".

"لقد جعلتني أشعُر بأنني امرأة مُعالة. ومن المؤكّد أنك أعطيتَ للناس الذين يعملون في تلك الأماكن انطباعًا بأنني كذلك".

وبقدر ما استطعتُ أن أرى في ضوء لوحة القيادة الخافِت، فقد بدا بيل وكأنه يحاول استيعاب الفرق بين الأمرين. كنا قد تجاوزنا مُنعطَف بُحيرة ميموزا للتو، واستطعتُ رؤية الغابة الكثيفة على جانب البُحيرة في ضوء مصابيح السيارة الأمامية.

ولدهشتي التامّة، توقّفت السيارة فجأة بعد أن أصدَرَت صوتًا مُتقطّعًا. اعتبرتها إشارة.

لو عرف بيل ما كنت على وشك القيام به، لأغلق

الأبواب من فوره، لأنه بدا مذهولًا عندما اندفعتُ خارج السيارة مُسرعةً نحو الغابة على جانب الطريق.

"عودي إلى هنا حالًا يا سوكي!".

يستشيط بيل غضبًا الآن. ويا إلهي، لقد استغرقه الأمر وقتًا طويلًا بما فيه الكِفاية.

أشرت له بإصبعي بإشارةٍ بذيئة وأنا في طريقي إلى الغابة.

كنت أعرف أن بيل لو أرادني في السيارة ، لوجدتني فيها، لأنه أقوى وأسرَع مني بعشرين مرة. وبعد بضع ثوانٍ من السير في الظلام، تمنَّيتُ أن يلحَق بي، ولكن كبريائي وخزني، وعرفتُ أنني فعلتُ الصواب. بدا بيل مُرتبكًا قليلًا بشأن طبيعة علاقتنا، وأردتُ منه استيعاب الأمر بشكلٍ جيد. بإمكانه أن يُلملِم شتات نفسه البائِسة ويذهب إلى شرِفبورت ليشرَح سبب غيابي لرئيسه، إريك. يا إلهي، سيُلقِّنه هذا درسًا.

ناداني بيل من مكانه: "سأذهب إلى أقرب محطَّة خدمات لأحضِر ميكانيكيًا يا سوكي".

تمتمتُ بصوتٍ هامس: "حظًا موفقًا". هل يعتقِد أنه سيجِد محطَّة خدمات بها ميكانيكي يعمل بدوامٍ كامل، مفتوحة في هذا الوقت من الليل؟ بدا وكأنه يُفكِّر بعقليَّة الخمسينيَّات أو أي حقبةٍ أخرى.

قال بيل: "أنتِ تتصرّفين كالأطفال يا سوكي، يمكنني القدوم لإحضاركِ، لكنني لن أضيع الوقت في ذلك. عندما تهدئين، عودي إلى السيارة وأغلقيها. أنا ذاهِب الآن". يتمتّع بيل ببعض الكِبرياء بدوره.

ومما أثار ارتياحي وهدّأ من روع قلقي، أنني سمعتُ وقع خطوات خافِتة على طول الطريق، مما يعني أن بيل قد بدأ يركض بسرعة مصّاص دماء. لقد رحل بالفعل.

ربما اعتقد أنه من يُلقّنني درسًا، بينما كان الأمر عكس ذلك تمامًا. كرّرتُ ذلك لنفسي عدّة مرّات. في النهاية، سيعود بعد بضع دقائق. أنا واثِقة من ذلك. كل ما كان عليّ فعله هو التأكّد من ألا أتوه في الغابة حتى لا أسقط في البُحيرة.

كان الظلام حالِكًا بين أشجار الصنوبر، ورغم أن القمر لم يكن بدرًا، إلا أن السماء كانت صافية، وكانت ظلال الأشجار شديدة القتامة، مما جعل تباينها مع الوهج البارد والبعيد للأماكن المفتوحة أكثر حدّة.

سرتُ عائِدة نحو الطريق، ثم أخذتُ نفسًا عميقًا وبدأت أواصِل المسير باتجاه بون تيمبِس، في الاتجاه المعاكس لبيل. تساءلتُ عن عدد الأميال التي تفصِلنا عن بون تيمبِس قبل أن يبدأ بيل حديثنا. طمأنتُ نفسي بأنها لم تكن بالكثيرة،

وهنأتُ نفسي على ارتدائي حذاءً رياضيًا وليس صندلًا بكعبٍ عالٍ. لم أحضِر معي سترة، وبدأ الجلد المكشوف بين قميصي القصير وبنطالي الجينز الأزرق المُنخفِض يقشعّر. بدأتُ أركض بخفّة على حافّة الطريق. لم تكن هناك أي مصابيح إنارة في الشارِع، لذا لولا ضوء القمر، لوجدتُ نفسي في وضعٍ سيء.

وتمامًا عندما تذكّرتُ فيه أن هناك من قَتَل لافاييت، سمعتُ خطوات أقدام في الغابة موازية لمساري.

توقّفت، فتوقّفت الحركة بين الأشجار أيضًا.

كنت أفضّل أن أعرف الآن، لذا ناديت: "حسنًا، مَن هناك؟ إن كنت ستأكلني، فدعنا ننتهي من الأمر فحسب".

خرجَت امرأة من بين الأشجار، وبصُحبتها خنزير بري ضخم. لمعَت أنيابه في الظلام، وفي يدها اليسرى حَملت عصا من نوعٍ ما، وفي نهايتها شيء يشبه الخصلة.

تمتمتُ لنفسي: "رائِع.. رائِع جدًا". كانت المرأة مُخيفة؛ تمامًا مثل خنزيرها البري. كنت متأكدةً أنها ليست مصّاصة دماء، لأنني شعرتُ بنشاطٍ في عقلها؛ لكنها كانت بلا شك كائِنًا خارقًا للطبيعة، لذا لم تكن تُرسِل إشارات ذهنيّة واضحة. ومع ذلك، استطعتُ قراءة فحوى أفكارها على أي حال؛ وهكذا عرفتُ

أنها كانت مُستمتِعة.

لا يمكن أن يُبشِّر هذا بالخير.

تمنَّيث أن يكون الخنزير البري في حالةٍ وديَّة. فنادرًا ما شوهِدَت تلك المخلوقات حول بون تيمبِس، رغم أن الصيَّادين اعتادوا رصدها بين الحين والآخر، ونادرًا ما استطاعوا اصطيادها. كان ذلك حدثًا يستحِق تصدُّر الصُحف. لكن هذا الخنزير تمتَّع برائحة كريهةٍ ومُميَّزة.

لم أكن متأكدةً ممَن يجب أن أخاطِب أولًا. فبعد كل شيء، قد لا يكون الخنزير البري مُجرَّد حيوان حقيقي على الإطلاق، بل قد يكون متحوِّلًا. إذ إن هذا أحد الأمور الذي تعلَّمتها في الأشهر القليلة الماضيَة. إن كان مصَّاصو الدماء، الذين لطالما اعتبرناهُم مُجرَّد خيال مُثير، موجودين بالفعل، فكذلك هي الأشياء الأخرى التي لطالما اعتبرناها خيالًا مُثيرًا بنفس القدر.

شعرتُ بالتوتُّر حقًّا، لذا ابتسمت.

كان شعرها طويلًا مُتشابكًا، غير واضح اللون في الضوء الخافِت، ولم تكن ترتدي شيئًا تقريبًا. أعني بذلك أنها ارتدت ثوبًا بسيطًا قصيرًا، ومُهترِئًا ومُلطَّخًا بالبُقع. كما كانت حافيَة القدمين. ابتسمَت لي. وبدلًا من الصراخ، اتسعت ابتسامتي أكثر.

قالت: "ليس لديَّ أي نيَّة لأكلكِ".

"يُسعدني سماع ذلك، لكن ماذا عن صديقكِ؟".

قالت: "تقصدين الخنزيرة". كما لو كانت قد لاحظَت وجودها للتو، مدَّت المرأة يدها، وداعبَت رقبة الخنزيرة البريَّة كما كنت لأفعل مع كلب أليف. تحرَّكت أنيابها الحادَّة صعودًا وهبوطًا. تابعَت حديثها بلامُبالاة: "ستفعل كل ما أطلُبه منها".

لم أكن بحاجةٍ إلى مُترجِمٍ لأفهَم التهديد الكامِن في حديثها. وحاولتُ التصرُّف بنفس القدر من اللامُبالاة بينما تلفَّت حولي لأنظر إلى المساحة المفتوحة التي وقفتُ فيها، على أمل العثور على شجرةٍ يمكنني تسلُّقها إن دعت الحاجة لذلك. لكن كل الأشجار القريبة بما يكفي لأصِل إليها في الوقت المناسب خلت جذوعها من الأغصان؛ كما كانت جميعًا من أشجار الصنوبر الجرداء التي تُزرَع بالملايين في منطِقتنا من أجل أخشابها، ولا تبدأ فروعها إلا على ارتفاع خمسة عشر قدمًا تقريبًا.

أدركتُ حينها ما كان ينبغي عليَّ التفكير فيه منذ البداية؛ إذ لم يكن توقُّف سيارة بيل هنا من قبيل المُصادفة. وربما حتى الشجار الذي دار بيننا لم يكن محض مُصادفة.

سألتها: "هل أردتِ التحدُّث معي عن شيءٍ ما؟". وعندما التفتُّ لمواجهتها؛ وجدتُ أنها قد اقتربَت مني عدَّة خطوات. استطعتُ رؤية وجهها بشكلٍ أوضَح قليلًا الآن، ولم أشعُر بأي نوع من الطمأنينة

على الإطلاق. رأيث بُقعة غامِضة حول فمها، وعندما فتحت فمها لتتحدَّث، استطعتُ رؤية أن أطراف أسنانها قد اسودَّت، وهو ما يعني أن الآنسة الغامِضة قد أكلَت حيوانًا نيئًا. لذا تابعتُ بتوتُّر: "أرى أنكِ قد تناولتِ عشاءكِ بالفعل". ثم لُمتُ نفسي شر لوم.

قالت: "أنتِ حيوان بيل الأليف؟".

أجبتها: "نعم". ورغم اعتراضي الشديد على الوصف، إلا أنني لم أكن في موقفٍ يسمح لي بالاحتجاج. تابعتُ حديثي: "وسيغضب بشدَّة لو حدث لي أي مكروه".

قالت بلامُبالاة: "وكأن غضب مصَّاص الدماء يهمني".

"معذِرةً يا سيِّدتي، لكن من أنتِ؟ إن لم تُمانعي سؤالي".

ابتسمَت مُجدَّدًا، فارتجفت. ثم قالت: "لا، على الإطلاق. أنا ميناد(3)".

كان ذلك مُصطلحًا إغريقيًا. لم أكن أعرف معناه بالضبط، لكنها مخلوقات أنثويَّة، وبريَّة، وتعيش في أحضان الطبيعة، إن كان انطباعي صحيحًا.

قلت بابتسامةٍ عريضة: "هذا مُثير للاهتمام جدًا، وأنتِ هنا الليلة من أجل..".

قالت وهي تقترِب أكثر: "أريد إيصال رسالة إلى إريك نورثمان". هذه المرة، استطعتُ رؤيتها تفعل

ذلك بوضوح. قبعَت الخنزيرة الصغيرة بجانبها؛ وكأنها مُرتبِطة بها. كانت الرائحة لا توصَف. واستطعتُ رؤية ذيلها الصغير المشعث وهو يتحرَّك ذهابًا وإيابًا بطريقةٍ سريعة ومتوتِّرة.

نظرتُ إليها، وسألتها: "وما هي الرسالة؟". ثم استدرتُ لأركض بأسرَع ما يمكنني. لو لم أكن قد تناولتُ بعضًا من دماء مصّاصي الدماء في بداية الصيف، لما استطعتُ الاستدارة في الوقت المناسب، ولتلقيتُ الضربة على وجهي وصدري بدلًا من ظهري. شعرتُ وكأن شخصًا قويًا للغاية قد استخدَم أداة حادَّة وثقيلة، وغرس أشواكها في جلدي، فمزَّقت ظهري وهي تشق طريقها عبره.

لم أتمكن من البقاء واقفةً على قدميّ، فوقعتُ إلى الأمام وسقطتُ على بطني. سمعتُ ضحكاتها من خلفي، وصوت الخنزيرة تقبع، ثم أدركتُ فجأة أنها قد رحلَت. استلقيتُ هناك أبكي لدقيقةٍ أو اثنتين. وحاولتُ ألا أصرخ، لكنني وجدتُ نفسي ألهث كامرأة في المخاض، في محاولة للسيطرة على الألم. إذ آلمني ظهري بشدَّة.

استشطتُ غضبًا، بقدر ما تبقى لِي من طاقة. فقد كنت مُجرَّد لوحة إعلانات حيَّة لتلك العاهِرة، تلك الميناد، أيًا ما كانت بحق الجحيم. وبينما زحفتُ، على الأغصان والأرض الوعِرة، بين إبر الصنوبر والغبار، ازداد غضبي أكثر فأكثر. ارتجفتُ من الألم والغضب، وأنا أجر نفسي بصعوبة، حتى شعرتُ

أنني لم أغد أستحِق القتل، فقد كنت في حالة يُرثى لها. بدأتُ الزحف عائِدةً نحو السيارة ، محاولة التوجُه إلى المكان الأكثر احتمالًا لأن يجِدني بيل فيه، لكن عندما أوشكتُ على الوصول، تردَدتُ في البقاء في العراء.

افترضتُ أن الوصول إلى الطريق يعني الحصول على المُساعدة، لكن بالطبع، لم يكن الأمر كذلك. فقد اكتشفتُ قبل بضع دقائق أن ليس كل من نُقابِله بالصُدفة؛ يكون في مزاجٍ جيد للمساعدة. ماذا لو قابلتُ شيئًا آخر، شيئًا جائِعًا؟ قد تجذِب رائحة دمي حيوانًا مُفترسًا في هذه اللحظة؛ إذ يُقال إن سمكة القرش قادِرة على اكتشاف أدق جزيئات الدم في الماء، ومصَّاص الدماء هو بالتأكيد نظيرها البري.

لذا زحفتُ إلى داخل خط الأشجار، بدلًا من البقاء بجانب الطريق حيث أكون مرئيَّة. لم يبدُ هذا مكانًا لائِقًا أو ذا معنى للموت. لم نكن هنا في ألامو(4) أو ثيرموبيلاي(5). بل هي مُجرَّد بُقعة من النباتات بجانب طريق في شمال لويزيانا. ربما أنا مُستلقيَة في أحضان لبلاب سام. لكنني على الأرجَح لن أعيش طويلًا بما يكفي لأُصاب بطفحٍ جلدي.

توقَّعتُ في كل لحظة أن يبدأ الألم في التلاشي، لكنه ازداد سوءًا. لم أستطع منع الدموع من الانهمار على وجنتيّ. ونجحتُ في ألا أجهش بالبكاء بصوتٍ عال، كيلا أجذِب المزيد من الانتباه، لكن كان من

المستحيل أن أتحلَى بالصمت التام.

ركّزتُ بشدّة على التزام الصمت حتى إنني كدتُ أفوّت رؤية بيل. الذي سار على طول الطريق يُطالِع الغابة، واستطعتُ مُلاحظة أنه كان مُستعِدًا لأي خطر؛ من طريقة سيره. لقد عرف بيل أن هناك خطبًا ما.

همست: "بيل!". لكن مع سمعه الخارِق كمصّاص دماء، بدا الأمر أشبه بالصراخ.

وقف على الفور، ومَسَح الظلال بعينيه. قلت له: "أنا هنا". وكتمتُ تنهيدة ألم بصعوبة، قبل أن أضيف: "توخَّ الحذر". فقد أكون مُجرَّد فخ.

وفي ضوء القمر، استطعتُ رؤية أن وجهه كان خاليًا من المشاعِر، لكنني عرفتُ أنه كان يزن الاحتمالات، تمامًا مثلما أفعل. كان على أحدنا أن يتحرَّك، وأدركتُ أنني إن خرجتُ إلى ضوء القمر، فعلى الأقل، سيتمكن بيل من رؤية الأمور بوضوحٍ أكثر إن تعرَّض لأي هجوم.

مددتُ يدي، وأمسكتُ بالعشب، وسحبتُ نفسي. لم أستطع حتى النهوض على رُكبتيَّ، لذا كان هذا التقدُّم هو أفضل ما أستطيع. دفعتُ بقدميَّ قليلًا، رغم أن مُجرَّد استخدام عضلات ظهري كان مؤلمًا للغاية. لم أرغب في النظر إلى بيل في أثناء تقدُّمي نحوه، لأنني لم أرغب في أن أضعَف أمام منظَر غضبه، الذي كان أشبه بشيءٍ ملموسٍ.

سألني بهدوء: "ما الذي فَعَل هذا بكِ يا سوكي؟".

قلت، وأنا أبذل قصارى جهدي للتماسُك: "خُذني إلى السيارة. أرجوك، أخرجني من هنا. إن أحدثتُ الكثير من الضوضاء، فقد تعود". ارتجف جسدي بأكمله من هذه الفكرة، ثم أضفتُ محاولة الحفاظ على هدوئي: "خُذني إلى إريك. لقد قالت إن هذه رسالة لإريك نورثمان".

جثا بيل بجانبي، وقال: "يجب أن أحملكِ". لا، اللعنة.

بدأت أقول: "لا بد من وجود طريقة أخرى". لكنني عرفتُ أنه لا توجَد أي طريقة أخرى. إذ يعرف بيل أفضل من أن يتردَّد. وقبل أن أتمكن من استيعاب الألم بالكامل، وَضَع ذراعه تحت جسدي ودسَّ يده الأخرى عند خاصرتي، وفي لحظة، رفعني وجعلني أتكئ على كتِفه.

صرختُ بصوتٍ عالٍ. ثم حاولتُ ألا أنتحِب بعد ذلك، حتى يتمكن بيل من التركيز والاستماع لأي هجوم مُحتمَل، لكنني لم أنجَح في ذلك بشكلٍ جيد. بدأ بيل يركض على طول الطريق، عائِدًا إلى السيارة . التي كان مُحرِّكها يعمل بسلاسةٍ بالفعل. فتح بيل الباب الخلفي، وحاول وضعي برفقٍ وسرعةٍ على المقعد الخلفي للكاديلاك. كان من المستحيل ألا يُسبِّب لي ذلك المزيد من الألم، لكنه حاول.

قلت له: "لقد كانت هي". حاولت ترتيب أفكاري، قبل أن أضيف: "لقد كانت هي التي جعلَت السيارة تتوقَّف وأجبرتني على الخروج منها". أبقيتُ عقلي مُنفتحًا حول ما إن كانت قد تسبَّبَت في بدء الشِجار من الأساس.

قال بيل: "سنتحدَّث عن ذلك بعد قليل". ثم انطلق بسرعة جنونيَّةٍ نحو شرِفبورت، بينما خمشت بأظافري جلد المقاعِد في محاولةٍ يائسةٍ للسيطرة على نفسي.

كل ما أتذكَّره عن تلك الرحلة هو أنها بدت وكأنها استغرقَت ما يبدو كعامين كاملين.

أوصَلني بيل إلى الباب الخلفي لفانجتازيا بطريقةٍ ما، وركله لجذب الانتباه.

قالت بام بعدائيَّة: "ما الأمر؟". كانت مصَّاصة دماء شقراء جميلة؛ قابلتها عدَّة مرَّات من قبل، وأعرف أنها تمتاز بشخصيةٍ عمليةٍ وفطنةٍ كبيرةٍ في إدارة الأعمال. سألت بيل: "ماذا حدث؟ إنها تنزِف! هذا لذيذ!".

قال بيل بصرامة: "أحضري إريك إلى هنا".

أجابته: "إنه ينتظر بالداخل..". لكن بيل اندفع بجانبها مباشرةً وأنا أرتدُّ على كتفه مثل فريسة دامية. كنت في حالةٍ من الإرهاق حتى إنني لم أعُد أكترِث حتى لو حملني إلى ساحة الرقص في مُقدِّمة الحانة، ولكن بدلًا من ذلك، اقتحم بيل مكتب إريك

وهو يحملني ويستشيط غضبًا.

صرخ بيل بغضب: "هذا بسببك". تأوهتُ ألمًا وأنا أرتعِد عندما هزَّني وكأنه يريد لفت انتباه إريك إليَّ. لا أرى كيف يمكن لإريك أن ينظر لأي شيءٍ آخر، بما أنني كنت امرأة ناضِجة، وربما الوحيدة التي تنزِف في مكتبه.

تمنَّيتُ لو فقدتُ الوعي، لو أفقِد إدراكي تمامًا. لكن هذا لم يحدث. بل تهدَّلتُ على كتف بيل وتألَّمتُ فحسب. وتمتمتُ: "اذهب إلى الجحيم".

"ماذا قلت يا حبيبتي؟".

"اذهب إلى الجحيم".

قال إريك: "يجب أن نضعها على بطنها على الأريكة".

سمعتُ من يقول: "حسنًا، دعني..". وشعرتُ بيدين أخريين تُمسِكان بساقيَّ، فيما عدَّل بيل من وضعيته من تحتي، ووضعاني بعنايةٍ على الأريكة العريضة التي اشتراها إريك حديثًا لمكتبه. والتي تمتَّعَت بتلك الرائحة الجديدة، وصُنِعَت من الجلد. شعرتُ بالارتياح، وأنا أحدِّق فيها من مسافة نصف بوصة، لأنه لم يخترَ قماشا للتنجيد.

سمعته يقول: "استدعي الطبيب يا بام".

ثم سمعتُ خطوات أقدام تُغادِر الغرفة، ورأيتُ إريك ينحني ليرى وجهي. كانت انحناءته ملحوظة،

إذ أنه كان طويل القامة وعريض المنكَبين، يبدو بالضبط كمُحارب فايكنج سابِق.

سألني: "ماذا حدث لكِ؟".

حدَّقتُ به، واستشطتُ غضبًا حتى إنني بالكاد استطعتُ التحدُث. وهمستُ تقريبًا: "أنا رسالة موجَّهة إليك. لقد جعلَت هذه المرأة في الغابة سيارة بيل تتوقَّف، وربما جعلتنا نتشاجَر أيضًا، ثم اقتربَت مني ومعها تلك الخنزيرة".

قال بدهشة: "خنزيرة؟". ولم يكن ليشعر بالدهشة أكثر لو كنت قد قلت إنها وضعت طائِر كناري في أنفها.

"نعم، خنزيرة.. خنزيرة بريَّة. وقالت إنها أرادت إرسال رسالة لك، ولحُسن الحظ أنني استدرتُ في الوقت المناسب لأمنعها من الوصول إلى وجهي، لكنها ضربتني في ظهري، ثم غادرت".

قال بيل وهو يشد قبضتيه بجانب فخذيه بينما بدأ يتجوَّل في المكتب: "وجهكِ! كانت تستهدِف وجهك!". ثم سأله بقلق: "ما خطبها يا إريك؟ إن جروحها ليست عميقة لهذه الدرجة".

قال إريك بلطف: "كيف بدت هذه المرأة يا سوكي؟".

ألصق وجهه بوجهي حتى لامَس شعره الذهبي الكثيف وجهي.

"سأخبرك كيف بدت؛ بدت مجنونة. وأطلقَت عليك اسم إريك نورثمان".

قال: "هذا هو الاسم الذي أستخدِمه في التعاملات مع البشر. عندما تقولين إنها بدت مجنونة، ماذا تقصُدين تحديدًا؟".

"كانت ملابسها مُمزَّقة، بينما لطَّخت الدماء فمها وأسنانها، وكأنها قد أكلَت شيئًا نيِّئًا للتو. وحملت شيئًا يشبه العصا، مع شيء ما في نهايته. كما كان شعرها طويلًا ومُتشابكًا.. بالمُناسبة، إن شعري مُلتصِق بظهري". وشهقت ألمًا.

قال إريك: "نعم، أرى ذلك". ثم بدأ في محاولة فصل شعري الطويل عن جروحي، حيث تخثَّر الدم فجعل شعري يلتصِق بجلدي.

دخلت بام مع تلك الطبيبة. إن كنت قد تمنَّيتُ أن يكون إريك قد أحضر طبيبةً عاديةً، من النوع الذي يستخدم السمَّاعة وخافِض لسان، لانتهى بي الأمر بخيبة أمل أخرى. كانت تلك الطبيبة قزمة، حتى إنها لم تضطر للانحناء لتنظُر في عينيَّ. حام بيل حولنا، وهو يرتعِد من شدَّة التوتُّر، بينما فحصَت تلك الطبيبة جروحي. ارتدَت سروالًا أبيض وسترة بيضاء، تمامًا مثل أطباء المُستشفيات؛ حسنًا.. تمامًا كما اعتاد الأطباء قبل أن يبدأوا في ارتداء تلك الملابس الخضراء أو الزرقاء أو أي لون غريب آخر يجدونه في طريقهم. احتلَّ أنفها مساحةً كبيرةً من

وجهها، وكانت بشرتها زيتونيّة اللون، في حين كان شعرها بُنيًا ذهبيًا وخشنًا، وكثيفًا ومتموّجًا للغاية. وقد قصّته بشكلٍ قصيرٍ نسبيًا. ذكّرتني بالهوبيت، بل ربما كانت هوبيت. لقد تعرّضَت مفاهيمي عن الواقع لعدّة صدمات في الأشهر القليلة الماضية.

سألتها بصعوبة، رغم أن الأمر استغرقني بعض الوقت لأستجمِع شتات نفسي بما يكفي: "أي نوع من الأطباء أنتِ؟".

قالت بصوتٍ عميقٍ بشكلٍ مُدهش: "من النوع الذي يُشفي الجراح، لقد سُمّمتِ".

تمتمت: "لهذا السبب أواصِل التفكير في أنني سأموت".

قالت: "ستموتين، وقريبًا جدًا".

"شكرًا جزيلًا يا دكتورة. ما الذي يُمكنكِ فعله حيال ذلك؟".

"لا نملك الكثير من الخيارات. لقد سُمّمتِ. هل سمعتِ من قبل عن تنانين الكومودو؟ تعج أفواهها بالبكتيريا. حسنًا، إن جروح الميناد تحمِل نفس مستوى السميّة. بعد قيام التنين بعضّكِ، يتعقّبكِ لساعات، مُنتظرًا حتى تقتلك البكتيريا. بالنسبة للميناد، فالموت المؤجّل يُزيد من متعة الأمر. لكن بالنسبة لتنانين الكومودو، فمن يدري؟".

سألتها وأنا أجزّ على أسناني: "شكرًا على تلك

الرحلة الشيِّقة لناشيونال جيوجرافيك يا دكتورة، والآن، ماذا يمكنكِ أن تفعلي؟".

قالت: "يمكنني مُعالجة الجروح الخارجية؛ لكن دمكِ قد تلوَّث، ويجب إزالته واستبداله كله. وهذه هي مُهِمَّة مصَّاصي الدماء". وبدت الدكتورة مسرورة للغاية بفكرة تعاوُن الجميع معًا. لمُعالجتي.

التفتت إلى مصَّاصي الدماء المجتمعين، وقالت: "إن تناوَل أحدكم فقط دمها المسموم وحده، فلن يكون بخير، بسبب عُنصر السحر الذي تُضفيه الميناد. أما عضَّة تنين الكومودو، فلن تُمثِّل لكم أي مشكلة". ثم ضحِكَت بشدَّة.

لقد كرهتها، وانهمرَت الدموع على وجهي من شدَّة الألم. تابعَت حديثها قائلة: "لذا، وعندما أنتهي، ستتناوبون واحدًا تلو الآخر، لشرب القليل من الدم فحسب، وبعدها سننقل الدم لها مرة أخرى".

قلت: "دماء بشرية". وأردتُ توضيح ذلك تمامًا. إذ اضطرِرتُ للحصول على دم بيل مرة لأنجو من إصابات مُميتة، ومرة أخرى بعد فحص مُعيَّن، كما حصلتُ على دماء مصَّاص دماء آخر بالصُدفة، مهما بدا ذلك مُستبعدًا للغاية. استطعتُ مُلاحظة بعض التغيُّرات فيّ بعد تناول تلك الدماء، تغيُّرات لم أرغب في مُضاعفتها بتناول جرعة أخرى. كان دم مصَّاصي الدماء هو المُخدِّر المُفضَّل لدى الأثرياء في الوقت الحاضِر، أما بالنسبة لي، يمكنهم الاحتفاظ به

بأنفسهم.

قالت الدكتورة القزمة: "إن تمكن إريك من التدخُّل والحصول على الدم البشري، فيمكن لنصف عملية نقل الدم أن تكون من دماء اصطناعية. بالمُناسبة، أنا الدكتورة لودفيج".

سمعتُ إريك يقول: "يمكنني الحصول على الدم، ونحن مدينون لها بالشِفاء". وهو ما جعلني أشعر ببعض الارتياح. كنت مُستعِدة للقيام بأي شيء مقابل رؤية وجه بيل في تلك اللحظة. سألني إريك: "ما هي فصيلة دمكِ يا سوكي؟".

أجبته وأنا سعيدة لأن فصيلة دمي شائِعة للغاية: "و- موجب".

قال إريك: "لن تكون هذه مشكلة، هل يمكنكِ تدبُر ذلك يا بام؟".

ومُجدَّدًا، شعرتُ بحركةٍ في الغرفة. ثم انحنَت الدكتورة لودفيج للأمام، وبدأت بلعق ظهري، فصرخت.

قال بيل: "إنها الدكتورة يا سوكي، ستشفيكِ بهذه الطريقة".

قلتُ وأنا أحاوِل التفكير في اعتراضٍ لا يبدو أنه مُعادٍ للمثليين أو لقِصار القامة: "لكنها ستُسمِّم". في الحقيقة، لم أكن أرغب في أن يلعق أحدهم ظهري، سواء كانت قزمة أو مصّاص دماء ضخم.

قال إريك بنوعٍ من التوبيخ: "إنها المُعالِجة، ويجب عليكِ قبول علاجها".

قلت، غير مُكترِثة كم أبدو مُتجهِّمة: "حسنًا، بالمُناسبة، لم أسمَع منك كلمة "آسف" بعد". لقد طغى انزعاجي وغضبي على رغبتي في حماية نفسي.

"أنا آسف لأن الميناد ضربتكِ".

حدَّقتُ فيه بغضب، وقلت: "هذا ليس كافيًا". حاولتُ جاهدةً التمسُّك بهذه المُحادثة.

"يا سوكي الملائكيَّة، يا مِثال الحب والجمال، أنا آسف لأن الميناد السيِّئة الشريرة قد انتهكَت جسدكِ الناعِم البض، في محاولةٍ لإيصال رسالة لي".

قلت: "هذا أفضل". كنت سأشعُر بمزيدٍ من الرضا عن كلمات إريك لو لم أتعرَّض لألمٍ حادٍ في تلك اللحظة. (لم يكن علاج الدكتورة مُريحًا تمامًا). كان من الأفضل أن يكون الاعتذار إما صادِقًا أو غير صادِق، وبما أن إريك لم يكن لديه قلب يشعر به (أو على الأقل لم ألحظ ذلك حتى الآن) فقد كان من الأفضل أن يلهيني بالكلمات.

سألته، محاولة تجاهل ما تفعله الدكتورة لودفيج: "أفهم من الرسالة أنها قد أعلنت الحرب عليك؟". تصبَّبتُ عرقًا، وشعرتُ بألمٍ مُبرحٍ في ظهري، وبالدموع تنهمِر على وجهي.

بدا أن الغرفة قد امتلأت بضبابٍ أصفر، وبدا كل شيء مصبوغًا بالمرض.

بدا إريك مُندهِشًا وقال: "ليس بالضبط". ثم أضاف بحذر: "بام؟".

قالت: "إنه في الطريق، الوضع سيء".

قال بيل بقلق: "ابدأوا، لقد بدأ لونها يتغيَّر".

تساءلت، بلامُبالاة تقريبًا، عن اللون الذي أصبح عليه جلدي الآن. لم أعُد قادِرة على رفع رأسي عن الأريكة، كما حاولتُ أن أفعَل لأبدو أكثر يقظة. وضعت خدِّي على جلدها، وسُرعان ما ألصقني العرق على سطحها. وانتشرَ الإحساس بالحرقة في جسدي من آثار الخدوش على ظهري، فصرختُ دون أن أتمكن من السيطرة على نفسي. ققفزَت الدكتورة القزمة من الأريكة وانحنَت لتفحَص عينيَّ.

هزَّت رأسها، ثم قالت: "نعم، هناك أمل". لكن صوتها بدا بعيدًا للغاية. كانت تحمِل حقنة في يدها. وكان آخر ما لاحظته هو وجه إريك وهو يقترب مني، وبدا لي أنه يغمِز لي.



الفصل الثالث

فتحتُ عينيَ بتردُّدٍ شديد. وشعرتُ وكأنني كنت نائِمة في سيارة، أو كأنني أخذتُ قيلولة على كرسيٍّ مُستقيم الظهر؛ من المؤكَّد أنني غفوتُ في مكانٍ غير مُناسِب وغير مُريح. شعرتُ بالدوار، وبألمٍ يجتاح سائِر أنحاء جسدي. جلست بام على الأرض على بعد ياردة، وعيناها الزرقاوان الواسِعتان مُثبَّتتان عليّ.

علَّقَت قائلة: "لقد نَجَح الأمر، كانت الدكتورة لودفيج مُحِقَّة".

"هذا رائِع".

قالت بعمليَّةٍ صادِمة: "نعم، كان سيكون من المؤسِف أن نخسركِ قبل أن نحصل على فائِدةٍ حقيقيةٍ منكِ. هناك العديد من البشر الآخرين المُرتبِطين بنا، وكان بإمكان الميناد اختيارهم، وهؤلاء البشر أكثر قابليَّة للتضحيَة بكثير".

تمتمتُ بتهكُّم: "شكرًا على هذه المشاعِر الدافئة يا بام".

شعرتُ بأنني قذرة بشكلٍ لا يوصَف، وكأنني قد غُمِستُ في برميلٍ من العرق ثم دُحرِجتُ في التُراب. شعرتُ حتى أن أسناني قذرة.

قالت: "على الرحب والسِعة". وكادَت تبتسِم. إذن، تتمتَّع بام بحسِّ الفُكاهة، وهو ليس بالأمر المألوف

بين مصّاصي الدماء. لم يسبِق لي مشاهدة عروض مصّاصي الدماء الكوميديَّة على الإطلاق، والنِكات البشريَّة تكاد تقتُل مصّاصي الدماء ضحكًا، هاها. (قد تُسبِّب لك بعض دُعاباتهم الكوابيس لمدة أسبوع).

"ماذا حدث؟".

شبكَت بام أصابعها حول رُكبتها، وقالت: "لقد فعلنا ما قالته الدكتورة لودفيج، وتناوبنا أنا وبيل وإريك وتشاو عليكِ، وعندما أوشكتِ على الجفاف، بدأنا عمليَّة نقل الدم".

فكّرتُ في ذلك للحظة، وشعرتُ بالارتياح لأنني فقدتُ وعيي قبل أن أشهَد هذه العمليَّة. لطالما مصَّ بيل دمائي في أثناء مُمارستنا للحُب، لذلك ربطتُ ذلك بقمَّة النشاط الجنسي. لو كنت قد "تبرَّعتُ" بالدم لكل هؤلاء، لكان الأمر مُحرجًا للغاية لو كنت واعية، إن جاز لي التعبير.

سألتها: "من هو تشاو؟".

نصحتني بام: "حاولي أن تجلِسي. تشاو هو نادِلنا الجديد، وهو جذّاب للغاية".

"حقًّا؟".

قالت بام بصوتٍ بدا إنسانيًا للحظة: "الوشوم، إنه طويل القامة بالنسبة لرجُلٍ آسيوي، ولديه مجموعة رائعة من.. الوشوم".

حاولتُ التظاهُر بالاهتمام. دفعتُ جسدي لأعلى، وشعرتُ ببعض الألم الذي جعلني أتوخّى الحذر الشديد. كان الأمر وكأن ظهري مُغطى بجروحٍ قد شُفِيَت للتو، جروح قد تنفتِح من جديد، إن لم أتوخَّ الحذر الشديد. وهذا ما أخبرتني به بام بالضبط.

كما أنني لم أكن أرتدي قميصًا، أو أي شيء آخر، على الجزء العلوي من جسدي. أما فيما يتعلَّق الجزء السُفلي، فقد بقيَ بنطالي الجينز سليمًا، رغم أنه كان في حالةٍ يرثى لها.

قالت بام وهي تبتسِم بصراحة: "كان قميصكِ رثًا حتى إننا اضطُررنا لتمزيقه، وتناوبنا على حملكِ بين أحضاننا. لقد كنت محل إعجاب كبير، حتى إن بيل استشاط غضبًا".

كل ما استطعتُ التفكير في قوله: "اذهبي إلى الجحيم".

هزَّت بام كتفيها، ثم قالت: "حسنًا، بالنسبة لذلك، مَن يدري؟ لقد قصدتُ مُجاملتكِ، ويا لكِ من امرأةٍ مُتواضِعة". نهضَت وفتحت باب الخزانة. رأيتُ بعض القُمصان المُعلَّقة بالداخل؛ وافترضتُ أنها خزانة إريك الإضافية، كما افترضت. سحبَت بام أحد القُمصان من على الشمَّاعة وألقته نحوي. مددتُ يدي لألتقطه، وكان عليَّ الاعتراف بأن الحركة كانت سهلة نسبيًا.

سألتها: "هل يوجد حمَّام هنا يا بام؟". كرهتُ

ارتداء القميص الأبيض النظيف على جسدي القذر.

أجابتني: "نعم، في المخزن. بجوار حمّام الموظفين تمامًا".

كان الحمّام بسيطًا للغاية، لكنه كان دُشًا مع صابون ومنشفة. كان عليك الخروج مباشرةً إلى غرفة التخزين، وهو أمر ربما لا يُزعِج مصّاصي الدماء، لأن الحياء لم يكن قضية كبيرة بالنسبة لهم. وعندما وافقت بام على حراسة الباب، طلبتُ مساعدتها في خلع بنطالي الجينز وحذائي وجواربي. ولاحظتُ أنها قد استمتعت بهذه العمليّة أكثر مما ينبغي.

كان أفضل استحمام حظيتُ به على الإطلاق.

تحتّم عليّ التحرُّك ببطءٍ وحذر. اكتشفتُ أنني كنت أرتجِف وكأنني قد شُفِيتُ من مرضٍ خطير، كالالتهاب الرئوي أو نوع فتّاك من الإنفلونزا. وأعتقِد أنني مررتُ بشيءٍ مُشابه. فتحت بام الباب قليلًا لتُعطيني بعض الملابس الداخلية، والتي كانت مُفاجأة سارّة حقًا، على الأقل حتى جفّفتُ نفسي واستعددتُ لمواجهة التحدّي المُتمثّل في ارتدائها. كان السروال الداخلي صغيرًا للغايةِ ومُزيّنًا بالدانتيل حتى إنه بالكاد استحقّ أن يُسمى سروالًا داخليًا. على الأقل كان أبيض اللون. وأدركتُ أنني بدأت أتحسّن عندما وجدتُ نفسي أتمنى رؤية مظهري في المرآة. كان السروال الداخلي والقميص الأبيض هُما القطعتان الوحيدتان اللتان استطعتُ ارتداءهما.

خرجتُ حافيةَ القدمين، لأجِد أن بام قد وضعت بنطالي الجينز وكل شيء آخر في كيسٍ بلاستيكي لأتمكن من أخذها إلى المنزل لغسلها. بدت سمرتي أكثر بروزًا مُقارنةً ببياض القميص الناصِع. عُدتُ ببطءٍ شديدٍ إلى مكتب إريك، وأخرجتُ فُرشاتي من حقيبتي. وبينما حاولتُ تسريح شعري، دخل بيل وأخذ الفُرشاة من يدي.

قال بحنان: "دعيني أفعَل ذلك يا عزيزتي. كيف حالكِ؟ اخلعي عنكِ قميصكِ حتى أتمكن من فحص ظهركِ". فعلتُ ذلك بقلق، مُتمنيَّةً ألا تكون هناك كاميرات في المكتب. رغم أنه، بناءً على ما قالته بام، كان ينبغي عليّ أن أسترخي.

سألته من فوق كتفي: "كيف تبدو؟".

أجابني باقتضاب: "ستترك ندوبًا".

أن تكون العلامات على ظهري خيرٌ من أن تكون على صدري، ووجود ندوب أفضل بكثيرٍ من الموت.

ارتديتُ قميصي مرة أخرى، وبدأ بيل يُصفِّف شعري، وهو أمر يُحبّه كثيرًا. تعبتُ بسرعة شديدة، وجلستُ على كُرسي إريك، بينما وَقف بيل خلفي.

"لماذا اختارتني تلك الميناد إذن؟".

"لقد انتظرَت أول مصَّاص دماء يمر من هناك. وكان وجودكِ معي - كونكِ أكثر سهولةً في الإيذاء - مُجرَّد مُكافأة إضافيَّة".

"هل هي سبب شجارنا؟".

"لا، أعتقد أن ذلك كان محض صُدفة. ما زلتُ لا أفهم سبب غضبكِ الشديد".

"أنا مُتعبة جدًا لأشرح لك يا بيل. سنتحدَّث عن ذلك غدًا، حسنًا؟".

دخل إريك، وبصُحبته مصّاص دماء عرفتُ على الفور أنه تشاو. واستطعتُ أن أرى لماذا يجذِب تشاو الزبائن. لقد كان أول مصّاص دماء آسيوي أراه، وكان وسيمًا للغاية. كما إن جسده غُطِّيَ – على الأقل الأجزاء التي استطعتُ رؤيتها – بالوشوم المُعقَّدة، وهو ما سمعتُ أن أعضاء الياكوزا يُفضِّلون. وسواء كان تشاو رجُل عصابات في أثناء حياته البشرية أم لا، فقد بدا بالتأكيد شريرًا الآن. دخلت بام من الباب بعد مرور دقيقة أخرى قائلة: "كل شيء مُغلق، لقد غادرت الدكتورة لودفيج أيضًا".

إذن فقد أغلقَت فانجتازيا أبوابها لهذه الليلة. لا بد إذن أن الساعة كانت الثانية صباحًا. استمرَّ بيل في تمشيط شعري، وجلستُ في كُرسي المكتب، ويديَّ على فخذيَّ، مُدركةً تمامًا لملابسي غير المُلائِمة.

رغم أن إريك كان طويلًا للغاية حتى إن قميصه غطَّى معظم جسدي بقدر ما تغطي فساتيني القصيرة، إلا أنني أعتقد أن سروال البكيني الفرنسي القصير تحته هو ما جعلني أشعُر بالحرج الشديد. كما أنني لم أكن أرتدي حمَّالة صدر. بما أن الله كان

كريقا معي في حجم صدري، فلا يمكن تجاهل غياب حمَّالة الصدر عندما لا أرتديها.

لكن بغض النظر عمَّا إن كانت ملابسي تُظهِر منِّي أكثر مما أرغب في إظهاره، وبغض النظر عمَّا إن كان كل هؤلاء الناس قد رأوا من صدري أكثر مما يستطيعون مُلاحظته الآن، إلا أنه كان عليَّ التحلِّي ببعض اللباقة.

قلت: "أشكركُم جميعًا على إنقاذ حياتي". لم أنجَح في أن أبدو دافئة، لكنني آمل أنهم أدركوا مدى صِدق مشاعري.

قال تشاو بنبرةٍ غامضة: "لقد كان ذلك من دواعي سروري حقًّا". تركَت اللكنة أثرها في حديثه، ولكنني لم أتمتَّع بالخبرة الكافية في خصائِص اللهجات الآسيويَّة المُختلِفة لأحدِّد من أين انحدرَ في الأصل. وأنا متأكدة من أن "تشاو" لم يكن اسمه الكامل، ولكنه كان الاسم الذي يُناديه به بقية مصَّاصي الدماء. تابع تشاو حديثه قائلًا: "لكان الأمر مثاليًا، لولا الشم".

شعرتُ بتوتُّر بيل خلفي. وَضَع يديه على كتفيَّ، فمددتُ يدي لأضَعها فوق أصابعه. قال إريك: "لقد استحقَّ الأمر تناول بعض الشم". ثم رفع أصابعه إلى شفتيه وقبَّلها، وكأنه يمدَح نكهة دمائي. يا للقرف.

ابتسمَت بام وقالت: "في أي وقت يا سوكي".

يا للروعة. ملت برأسي إلى الوراء تجاه بيل، وقلت:

"وأنت أيضًا يا بيل".

قال وهو يبذُل قصارى جهده للسيطرة على أعصابه: "كان لي الشرف".

سأل إريك: "هل تشاجرتُما قبل مواجهة سوكي مع الميناد؟ هل هذا ما سمعتُ سوكي تقوله؟".

أجبته بحدَّة: "هذا شأننا". تبادَل مصّاصو الدماء الثلاثة الابتسامات فيما بينهم، ولم يعجبني ذلك على الإطلاق. سألت، في محاولة لتغيير موضوعي أنا وبيل: "بالمُناسبة، لماذا أردتنا أن نأتي إلى هنا الليلة؟".

"أتتذكَّرين وعدكِ لي يا سوكي؟ بأنكِ ستستخدمين قدرتكِ العقليَّة لمُساعدتي، طالما تركتُ البشر المعنيين على قيد الحياة؟".

"بالطبع أتذكَّر، فأنا لستُ من الأشخاص الذين ينسون وعودهم، خاصَّة الوعد الذي قطعته لمصّاص دماء".

قال: "منذ تعيين بيل كمُحقِّق في المنطقة الخامسة، لم تواجِهنا الكثير من الألغاز. لكن المنطقة السادسة، في تكساس، تحتاج إلى موهبتكِ الخاصَّة. لذا قمنا بإعارتكِ". أدركتُ حينها أنه قد تمَّ تأجيري، وكأنني منشار كهربائي أو حفَّار.

تساءلتُ عمَّا إن كان مصّاصو الدماء في دالاس قد دفعوا وديعة تأمين ضد الأضرار.

نظرتُ في عيني إريك، وقلت بحزم: "لن أذهب دون بيل". شعرتُ بأصابع بيل تضغط على كتفيَّ قليلًا، فعرفتُ أنني قلتُ الشيء الصحيح.

قال إريك بابتسامةٍ عريضة: "سيكون هناك، لقد عقدنا صفقة صعبة". كان تأثير ابتسامته مُزعجًا للغاية، لأنه كان سعيدًا بشأن شيء ما، وكانت أنيابه ظاهرة جليَّة، تابع حديثه قائلًا: "لقد خشينا أن يحتفِظوا بكِ، أو أن يقتلوكِ، لذا كان وجود مُرافِق جزءًا من اتفاقنا منذ البداية. ومن أفضل من بيل؟ وإن حدث أي شيء يجعل بيل غير قادِر على حمايتكِ، سنُرسِل مُرافقًا آخر على الفور، وقد وافَق مصّاصو دماء دالاس على توفير سيارة وسائق، وسكن ووجبات طعام، وبالطبع، أجرٍ جيد. وسيحصُل بيل على نسبةٍ من ذلك".

فكّرتُ: في حين سأقوم أنا بالعمل؟

تابع إريك حديثه بسلاسة: "عليكِ أن تتفقي مع بيل بشأن الترتيبات المالية، وأنا مُتأكد من أنه سيعوّضكِ على الأقل عن الوقت الذي ستغيبين فيه عن عملكِ في الحانة".

هل سبَق وأن تناولَت الصحفيّة آن لاندرز موضوع: "عندما يُصبح حبيبكِ مديركِ"؟

سألتهم بشكلٍ أثار دهشتهم جميعًا: "لماذا ميناد؟". وتمنَّيتُ أن أكون قد نطقتُ الكلِمة بشكلٍ صحيح، قبل أن أتابِع: "ترتبِط الحوريات بالماء، والجنّيات

بالأشجار، أليس كذلك؟ إذن لماذا كانت الميناد في قلب الغابة؟ ألم تكن الميناد مُجرَّد نساء أصابهنَّ الإله باخوس بالجنون المُطبق؟".

قال إريك، بعد توقُّف ملحوظ: "لديكِ أعماق غير متوقَّعة يا سوكي". لم أخبره أنني تعلَّمتُ ذلك من قراءة رواية غموض. دعه يعتقِد أنني قرأتُ الأدب اليوناني القديم بلُغته الأصليَّة، لن يضرني ذلك.

قال تشاو: "لقد تجسَّد الإله في بعض النساء بشكلٍ كاملٍ حتى إنهُنَّ أصبحن خالِدات أو قريبات للغاية من ذلك. كان باخوس إله الخمر بالطبع، لذا فإن الحانات تُثير اهتمام المينادات بشكلٍ كبير. في الواقع، إنها تُثير اهتمامهُنَّ حتى إنهن لا يُفضِّلن تدخُّل مخلوقات أخرى من مخلوقات الظلام. وتعتبر المينادات أن العُنف الناتِج عن استهلاك الكحول يخصُّهُن؛ فهذا ما يتغذَّين عليه الآن، بعدما توقَّفَت عبادة إلههن بشكلٍ رسمي. كما يجذبهن الكبرياء".

لفت ذلك انتباهي. ألم نشعُر أنا وبيل نشعُر ببعض الكِبرياء هذه الليلة؟

قال إريك: "لم نسمَع سوى شائِعات عن وجود أحدها في المنطقة، حتى أحضركِ بيل إلى هنا".

"إذن، ممَ كانت تُحذِّرك؟ ماذا تريد؟".

قالت بام: "نعتقِد أنها أرادت الجزية".

"أي نوع منها؟".

هزّت بام كتفيها. وبدا أن هذا هو الجواب الوحيد التي سأحصُل عليه.

سألت: "وإلا ماذا؟". لكن أحدهم لم يجبني سوى بالتحديق. تنهَّدَت تنهيدة عميقة من السخط، وأضفت: "ماذا ستفعل إن لم تدفعوا لها الجزية؟".

بدا بيل قلقًا وهو يقول: "ستُرسِل جيوش جنونها".

سألته: "إلى الحانة؟ ميرلوت؟". رغم وجود الكثير من الحانات في المنطقة.

نظر مصّاصو الدماء بعضهم إلى بعض.

قال تشاو: "أو إلى إحدى حاناتنا، كما حدث من قبل. في مذبحة الهالوين عام (١٨٧٦)، في سان بطرسبرج".

أومأ الجميع برؤوسهم بخشوع، وقال إريك: "لقد كنت هناك، وتطلَّب الأمر عشرين منّا لتنظيف المكان. كما تحتَّم علينا غرس وتد في قلب جريجوري؛ وهو ما تطلَّبنا جميعًا للقيام به. وبعد ذلك حصلَت الميناد فريني على الجزية، وهذا مؤكَّد".

يتطلَّب غرس مصّاصي الدماءِ لوتدٍ في قلب أحدهم أن تكون الأمور شديدة الخطورة. فقد سبق لإريك أن غرس وتدًا في قلب مصّاص دماء كان قد سرق منه، وأخبرني بيل أنه قد اضطرَّ لدفع غرامة قاسية. لم يقُل بيل لمَن، ولم أسأله بدوري. فهناك أشياء يمكنني العيش جيدا بدون معرِفتها.

"إذن، هل ستدفعون جزية لهذه الميناد؟".

واستطعتُ القول بأنهم قد فكّروا في هذا الأمر. قال إريك: "نعم، من الأفضل أن نفعل ذلك".

وأضاف بيل بنبرةٍ غلّفها الشك: "أعتقد أن قتل الميناد صعب للغاية".

ارتجف إريك قبل أن يقول: "نعم، صحيح".

خلال رحلة عودتنا إلى بون تيمبِس، تحلّينا أنا وبيل بالصمت. دارَ في عقلي الكثير من الأسئلة حول الأمسية، لكنني كنت مُتعبة بشدّة.

وعندما توقّفنا أمام منزلي، قلت: "يجب أن يعلَم سام بهذا".

سألني بيل وهو يفتَح بابي: "لماذا يا سوكي؟". ثم أمسَك بيدي ليُساعدني على الخروج من السيارة ، وهو يعلم أنني بالكاد أستطيع المشي.

قلت: "لأنه..". ثم ابتلعتُ بقية الجملة. يعرف بيل أن سام كائِن خارق للطبيعة، لكنني لم أرغب في تذكيره بذلك. يمتلك سام حانة، وكنا أقرَب إلى بون تيمبِس من شرِفبورت عندما هاجمتني الميناد.

قال بيل بنبرةٍ عقلانيّة: "إنه يمتلك حانة، لكنه سيكون بخير. بالإضافة إلى ذلك، لقد قالت الميناد إن الرسالة كانت موجّهة لإريك".

وكان هذا صحيحًا.

قال بيل: "أنتِ تُفكِّرين في سام أكثر مما يُناسبني".

حدّقتُ في وجهه بدهشة، ثم سألته: "هل تشعر بالغيرة؟". يتوخّى بيل الحذر الشديد عندما يظهر اهتمام من مصّاصي دماء آخرين بي، لكنني اعتقدتُ أن ذلك كان فقط بدافِع التملك، لم أكن أعرف كيف أشعُر تجاه هذا التطوُّر الجديد. لم أشعُر من قبل أن أحدًا يغار من اهتمامي بشخصٍ آخر.

لم يجب بيل، وهو ما أثار إنزعاجي حقًّا.

قلتُ بتمعُّن: "حسنًا، حسنًا، حسنًا". وابتسمتُ لنفسي وبيل يُساعِدني في صعود الدرج ومرورًا عبر المنزل القديم، وصولًا إلى غُرفتي؛ الغرفة التي نامَت فيها جدّتي لسنواتٍ عديدة. والتي طُلِيَت جدرانها الآن باللون الأصفر الفاتِح، بينما طُلِيَت أخشابها بلونٍ أبيض مصفر، والستائِر بنفس اللون وتُزيِّنها زهور زاهية، بينما امتلك السرير غطاءً يتناسَق معها.

ذهبتُ إلى الحمّام لأغسل أسناني، وأعتني ببعض الضروريات. ثم خرجتُ وأنا لا أزال أرتدي قميص إريك.

قال بيل: "اخلعيه".

"اسمع يا بيل، عادةً سأكون مُتحمِّسة لمُمارسة الجنس معك، لكن الليلة..".

"أنا فقط أكره رؤيتكِ ترتدين قميصه".

حسنًا، حسنًا، حسنًا.. يمكنني الاعتياد على ذلك. لكن من ناحيةٍ أخرى، إن بالَغ في الأمر، فقد يصبح مُزعجًا.

قلت: "حسنًا". تنهَّدتُ تنهيدة صاخِبة، وأضفت: "أعتقد أنني سأضطر لخلع هذا القميص القديم". فككتُ أزراره ببطء، وأنا أعلَم أن عيني بيل تُتابِعان يديَّ وهُما تتحرَّكان للأسفل، لأفتح القميص ببطءٍ شديد. وأخيرًا، خلعته ووقفتُ هناك بملابس بام الداخلية البيضاء.

زفر بيل قائلًا: "يا إلهي". وكان ذلك الثناء كافيًا بالنسبة لي. اللعنة على الميناد، فمُجرَّد رؤية وجه بيل جعلني أشعُر وكأنني لا أقاوَم.

ربما سأذهب إلى متجَر "فوكسي فيمي لانجيري" في راستون في أول يوم إجازة لي، أو ربما كان متجَر الملابس الجديد الذي امتلكه بيل مؤخرًا يبيع الملابس الداخلية؟

لم يكن من السهل شرح سبب حاجتي للذهاب إلى دالاس لسام. فقد كان رائِعًا معي عندما فقدتُ جدَّتي، ولطالما اعتبرته صديقًا جيدًا، ومديرًا رائِعًا، وأحيانًا (بين الحين والآخر) خيالًا جنسيًا. لذا أخبرته أنني آخذ إجازة قصيرة، والله يعلم أنني لم أطلُب إجازة من قبل. لكنه تقريبًا فهم ماهية الأمر، ولم يعجبه ذلك. إذ استشاطت عيناه

الزرقاوان اللامِعتان غضبًا، وامتلأ وجهه بالصرامة، وحتى شعره الأشقر المحمر بدا وكأنه يغلي. رغم أنه بالكاد كبح جماح نفسه عن قول شيء، إلا أنه اعتقد بوضوح أن بيل ما كان يجب أن يوافِق على ذهابي. لكن سام لم يكن يعرف كل تفاصيل علاقتي بمصّاصي الدماء، مثلما كان بيل وحده، من بين مصّاصي الدماء الذين أعرفهم، يُدرِك أن سام متحوِّل. وحاولت ألا أذكِّر بيل بذلك. لم أكن أرده أن يُفكِّر في سام أكثر مما يفعل بالفعل. فقد يُقرِّر أن سام قد أصبح عدوًا له، وهو ما لا أريده بكل تأكيد. لأن بيل عدو سيئ للغاية.

أنا جيدة في كِتمان الأسرار والحفاظ على ملامحي مُحايِدة، خصوصًا بعد سنوات من قراءة الأفكار غير المرغوب فيها من عقول الناس. لكن يجب عليّ الاعتراف أن فصل بيل وسام بعضهما عن بعض تطلَّب الكثير من الطاقة.

اتكأ سام إلى الوراء على كُرسيه بعد أن وافَق على منحي إجازة، وقد أُخفى قميص "ميرلوت" الأزرق الواسِع جسده النحيل. كان بنطاله الجينز قديمًا؛ ولكنه نظيف، وحذاؤه ذو النعل يبدو عتيقًا. جلست على حافَّة كُرسي الزوّار أمام مكتبه، والباب مُغلَق خلفي. وعرفت أنه لا يمكن لأحد أن يقِف خارج الباب مُسترِقًا السمع؛ ففي النهاية عجَّت الحانة بالصخب كعادتها، مع أنغام صندوق الموسيقى التي تصدح بأغنية "زيديكو"، وصراخ الأشخاص الذين

تناولوا بعض المشروبات. ومع ذلك، قد يرغَب المرء في خفض صوته عندما يتحدَّث عن شيءٍ ما مثل الميناد، لذا انحنيث عبر المكتب.

حاكى سام وضعيتي بشكلٍ تلقائي، فوضَعث يدي على ذراعه، وقلت له بصوتٍ خافت: "هناك ميناد على طريق شرِفبورت يا سام".

تجمَّدَت ملامِح وجهه للحظة قبل أن ينفجِر ضاحكًا. استمرَّت نوبة ضحك سام لثلاث دقائق على الأقل، وخلال تلك الفترة؛ استشظتُ غضبًا. ظلَّ يقول: "أنا آسف". ثم ينفجِر بالضحك مُجددًا. أتعلم مدى الإزعاج الذي تشعر به عندما تكون السبب في ذلك؟ دار حول المكتب، مُحاولًا كتم ضحكاته. وقفتُ لأنه وقف، لكنني استشظتُ غضبًا. أمسَك بكتفي وقال: "أنا آسف يا سوكي. لم أرَ واحدة من قبل، لكنني سمعتُ أنها خطيرة. لماذا يهمك أمر هذه الميناد على أي حال؟".

أجبته بغضب: "لأنها غاضبة، كما ستعرف لو رأيتُ الندوب التي تُزيِّن ظهري".

ويا إلهي، كم تغيَّرت ملامِح وجهه، وهو يسألني: "هل تأذَّيتِ؟ كيف حدث هذا؟".

فأخبرته بالقصَّة، محاولة تقليل الدراما المُتعلقة بها، والتخفيف من حدَّة عملية الشِفاء التي استخدمها مصَّاصو دماء شرِفبورت. لكنه أصرَّ على رؤية الندوب. لذا استدرت، فرفع قميصي للأعلى،

دون أن يتجاوز مستوى حمّالة صدري. ولم ينبس ببنت شفة، لكنني شعرتُ بلمسةٍ على ظهري، وبعد لحظة أدركتُ أنه قد قبّل ظهري. ارتجفت، أعاد القميص فوق ظهري وأدارني لمواجهته.

قال بصدقٍ تام: "أنا آسف جدًا". لم يعد يضحك الآن، ولم يكن حتى قريبًا من ذلك. اقترب مني بشدّة، حتى شعرتُ بدفء جسده، وبالطاقة المُتدفّقة من خلال شعر ذراعيه الناعِم.

أخذتُ نفسًا عميقًا، وقلت: "أخشى ما أخشاه هو أن تحوّل انتباهها إليك، ماذا تريد الميناد كجزيةٍ يا سام؟".

قال: "اعتادَت أمي أن تُخبِر أبي أنهُنّ يُحببن الرجُل المُتعجرِف". وللحظةٍ ظننتُ أنه لا يزال يغيظني، لكن عندما نظرتُ إلى وجهه، أدركتُ أنه لا يفعل. تابع حديثه قائلًا: "لا تُحِب المينادات شيئًا أكثر من تمزيق الرجُل المُتعجرِف.. حرفيًا".

قلت: "يا للفظاعة! وما الذي يُرضيهنّ أيضًا؟".

"الطرائِد الكبيرة، كالدببة والنمور وما إلى ذلك".

سألته: "من الصعب العثور على نمرٍ في لويزيانا. ربما يمكننا العثور على دُب، لكن كيف ستأخذه إلى منطقة الميناد؟". تدبَّرتُ في الأمر للحظة، لكنني لم أتوصَّل إلى إجابة، لذا تساءلت: "أفترض أنها تريده حيًا!".

أومأ سام برأسه، وبدا وكأنه يُراقِبني، بدلًا من التفكير في حلٍّ للمشكلة، ثم انحنى للأمام، وقبّلني.

توجّب عليّ رؤية ذلك قادمًا.

كان جسده دافِئًا للغاية مُقارنةً ببيل، الذي لم تصِل درجة حرارة جسده إلى الدفء أبدًا. فقد كان فاترًا. شعرتُ بشفتيه ساخِنتين، ولسانه أيضًا. كانت القُبلة عميقة ومُكثَّفة وغير متوقَّعة؛ تمامًا مثل الإثارة التي تشعر بها الواحدة منّا عندما يُقبّلها شخص ما بطريقةٍ لم تكن تعرف أنها تريدها. لفّ ذراعيه حولي، ولففتُ ذراعي حوله، وذُبنا معًا في قُبلةٍ عميقة، حتى انتبهتُ لما يحدث.

ابتعدتُ قليلًا، فرفع رأسه عني ببطء.

قلت: "أنا بحاجةٍ للخروج من المدينة لبعض الوقت".

"آسف يا سوكي، لكنني رغبتُ في فعل ذلك منذ سنوات".

كان هناك الكثير من الطُرق التي يمكنني التعامل بها مع هذه المعلومة، لكنني عززتُ تصميمي وقرّرت أن أسلك الطريق الصحيح. قلت: "سام، أنت تعلَم أنني..".

أكمل جُملتي: "واقِعة في غرام بيل".

لم أكن متأكدة تمامًا من أنني واقِعة في غرام بيل، لكنني أحبّه، وكنت قد ألزمتُ نفسي به. لذا لتسهيل

الأمور، أومأت برأسي بالموافقة.

لم أستطع قراءة أفكار سام بوضوح، لأنه كان كائِنًا خارقًا للطبيعة. لكنني كنت سأكون غبية، ولا يمكنني قراءة الأفكار، إن لم أشعُر بموجات الإحباط والشوق التي انبعثت منه.

قلت بعد دقيقة: "النقطة التي كنت أحاوِل توضيحها". انفصلنا، وابتعدنا بعضنا عن بعض، قبل أن أضيف: "هي أنه إن كانت هذه الميناد تولي اهتمامًا خاصًا بالحانات، فهذه حانة يديرها شخص لا يمكن اعتباره بشريًا عاديًا، تمامًا مثل حانة إريك في شرِفبورت، لذا من الأفضل أن تتوخى الحذر".

بدا أن سام قد شعر بالارتياح من تحذيري له، وأنه قد استمدَّ بعض الأمل من ذلك، وقال: "شكرًا لإخباري يا سوكي. سأتوخَّى الحذر الشديد في الغابة، في المرة القادمة التي سأتحوَّل فيها".

لم أكن قد فكّرتُ حتى في احتماليّة مواجهة سام للميناد خلال مغامراته في التحوُّل إلى شيءٍ آخر، واضطُرِرت للجلوس فجأة عندما تخيَّلتُ ذلك.

قلت له بشكلٍ قاطع: "لا، لا تتحوَّل على الإطلاق".

ألقى سام نظرة على التقويم، ثم قال: "سيكتمِل القمر بعد أربعة أيام، وسأضطر إلى ذلك. لقد رتَّبتُ بالفعل ليعمل تيري بدلًا مني تلك الليلة".

"بمَ أخبرته؟".

"أخبرته أن لديّ موعِدًا. لم ينتبِه بعد إلى أنني لا أطلُب منه العمل سوى عندما يكون القمر بدرًا".

"هذا مُثير للاهتمام. بالمُناسبة، هل توصّلت الشرطة إلى أي شيءٍ آخر بشأن لافاييت؟".

هزّ سام رأسه، قبل أن يقول: "لا. وقد عيَّنتُ صديقًا للافاييت، يُدعى خان".

"خان؟ مثل شير خان؟".

"بل مثل شاكا خان".

"حسنًا، لكن هل يستطيع الطهي؟".

"إنه مطرود من مطعم "شرِمب بوت"".

"ماذا فعل؟".

أجابني بصوتٍ جاف: "أعتقد بسبب مزاجه الفني".

قلت وأنا أضع يدي على مقبَض الباب: "لن نحتاج للكثير من ذلك هنا". وشعرتُ بالسعادة لأننا تحدَّثنا لتخفيف حدَّة التوتُّر بعد الموقف غير المسبوق الذي مررنا به. لم نتعانَق قط في العمل من قبل. وفي الواقع، لم نتبادَل القُبلات سوى مرة واحدة فقط، عندما أعادني سام إلى المنزل بعد موعِدنا الوحيد قبل أشهُر. كان سام مديري، والتورُّط في علاقةٍ مع مديرك في العمل فكرة سيِّئة للغاية. أما التورُّط في علاقة مع مديرك، عندما يكون صديقك الحميم مصّاص دماء، فهو فكرة أسوأ، وربما تكون قاتِلة أيضًا. إن سام بحاجةٍ للعثور على امرأة.. وبسُرعة.

عندما يجتاحني التوتُّر.. أبتسِم. لذا قلت بابتسامةٍ عريضة: "سأعود للعمل". ثم خرجتُ وأغلقتُ الباب خلفي. اختلطت مشاعري حول كل ما حدث في مكتب سام، لكنني دفعتها جميعًا جانبًا، واستعددتُ لخدمة بعض الطاولات.

لم يحدث أي شيء غير عادي في تلك الليلة في حانة ميرلوت. حيث شَرِب صديق شقيقي، هويت فورتِنبيري، مع بعض رفاقه. وجلس كيفن بريور، الذي اعتدتُ أكثر على رؤيته بالزي الرسمي، مع هويت، لكنه لم يكن يقضي أمسيَة سعيدة. وبدا وكأنه يُفضِّل أن يكون في سيارة الدوريَّة مع شريكته كينيا. دخل شقيقي، چيسون، مع ليز باريت التي تأبَّطَت ذراعه أكثر فأكثر. لطالما تظاهرَت بالسرور برؤيتي، لكنها لم تحاول أن تتملَّقني قط، مما جعلني أقدِّرها كثيرًا. كانت جدَّتي ستسعَد بمعرِفة أن چيسون اعتاد مواعدة ليز بشكلٍ مُتكرِّر. فقد لعب چيسون دور العاشِق لسنوات، حتى ملَّ العشق منه. بعد كل شيء، هناك عدد محدود من النساء في بون تيمبِس والمنطقة المُحيطة بها، وقد واعدهنّ بيل لسنوات، وكان بحاجةٍ إلى بعض التجديد.

وعلاوة على ذلك، فقد بدَت ليز مُستعِدَّة لتجاهل المشاكل الصغيرة التي واجهها چيسون مع القانون.

حيَّاني قائلًا: "أهلًا بأختي الصغيرة! هلَّا أحضرتِ

لي أنا وليز كأسين (سفن أند سفن) من فضلك؟".

قلت مُبتسِمة: "يُسعدني ذلك".

وبدافِع من التفاؤل، قرأت أفكار ليز للحظة؛ كانت تأمل أن يتقدّم چيسون لطلب يدها قريبًا. واعتقدَت أنه كلما كان أقرب؛ كان أفضل، لأنها كانت شِبه متأكدة بأنها حامِل.

من الجيد أن لديّ سنوات من الخِبرة في إخفاء ما أفكّر فيه. أحضرتُ لكل منهما مشروبًا، وحصّنتُ نفسي بحذرٍ من أي أفكار عابرة أخرى قد ألتقطها، وحاولتُ التفكير فيما يجب أن أفعله. هذا أحد أسوأ الأشياء في أن تكون قارئًا للأفكار؛ فالأشياء التي يُفكّر فيها الناس ولا يتحدّثون عنها هي أشياء لا يريد الآخرون (مثلي) معرفتها حقًّا. أو لا ينبغي له أن يرغب في معرِفتها، لقد سمعتُ ما يكفي من الأسرار لشنّ حربٍ ضروس، وصدّقوني.. لم يكن أي منها في صالحي بأي شكلٍ من الأشكال.

إن كانت ليز حامِلًا، فإن آخر ما تحتاجه هو الشراب، بغض النظر عن هوية والد الطفل.

راقبتُها بعناية، ورأيتها تأخُذ رَشفة صغيرة من كأسها. لفّت يدها حوله لتُخفيه جُزئيًا عن أعيُن الآخرين. تجاذبَت هي وچيسون أطراف الحديث للحظة، ثم ناداه هويت، فاستدار على كُرسي البار ليواجِه صديقه من أيام المدرسة الثانوية. حدّقت ليز في مشروبها، وكأنها ترغب في شربه دفعة

واحدة. ناولتها كوبًا مُماثلًا مليئًا بمشروب "سفن أب" العادي، وأخذتُ المشروب المخلوط بالويسكي بعيدًا.

حدَّقت ليزا في وجهي في دهشةٍ بعينيها البُنِّيَتين الكبيرتين المُستديرتين. قلت بهدوءٍ شديد: "ليس من أجلكِ". شحب وجهها بشدَّة، فتابعتُ حديثي قائلة: "أنتِ ذكيَّة". ووجدتُ نفسي أحاوِل إيجاد تفسير لتدخُّلي، في حين أنني عادةً لا أتصرَّف بناءً على المعلومات التي أعرفها بهذه الطريقة الخفيَّة، فذلك يتعارَض مع سياستي الشخصيَّة، أضفت: "أنتِ ذكيَّة؛ ويمكنكِ فعل الشيء الصحيح".

ثم استدار جيسون مرة أخرى، في نفس اللحظة التي ناداني فيها زبون آخر للحصول على مزيدٍ من المشروبات. وعندما تحرَّكتُ من خلف البار لتلبية الطلب، لاحظتُ بورشيا بليفلور تقف عند المدخَل. وقفَت تتفحَّص الحانة المُظلِمة وكأنها تبحث عن شخصٍ ما. ولدهشتي، سُرعان ما تبيَّن أن هذا الشخص هو أنا.

سألتني: "هل لديكِ دقيقة يا سوكي؟".

كان بإمكاني عدّ المُحادثات الشخصيَّة التي أجريتها مع بورشيا على أصابِع يد واحدة، بل ربما على إصبعٍ واحد، ولم أستطع تخيُّل ما يدور في ذهنها.

أومأتُ برأسي إلى طاوِلة فارغة في منطِقتي،

وقلت: "اجلسي هناك، وسأكون معكِ خلال دقيقة".

"حسنًا، وأعتقِد أنه من الأفضل أن أطلُب كأسًا من النبيذ، فهذه قواعِد حانة ميرلوت".

قلت: "سأحضِره على الفور". سكبتُ لها كأسها بعنايةٍ ووضعته على صينية. وبعد أن تأكّدتُ بنظرةٍ سريعةٍ من أن جميع زبائني بدوا راضين، حملتُها وتوجّهتُ إلى طاوِلة بورشيا وجلستُ أمامها. جلستُ على حافّة الكرسي، فقط ليتسنّى لأي شخص يحتاج إلى مشروبٍ آخر رؤية أنني مُستعِدّة للنهوض في غضون ثانية فحسب.

سألتها: "كيف يمكنني مُساعدتكِ؟". ثم مددتُ يدي لأتأكّد من أن تسريحة ذيل حصاني كانت مُحكمة وأنا أبتسِم لها.

صبّت بورشيا جام تركيزها على كأس النبيذ. أدارته بين أصابعها، وأخذت رشفة، قبل أن تضعه في منتصف الصينية بالضبط. وقالت: "أريد أن أطلُب منكِ معروفًا".

حقًّا؟ لم أكن لأخمِّن ذلك قط أيتها العبقرية! بما أنني لم أجرِ معها مُحادثةً عابرةً تجاوزَت الجُملتين من قبل، فقد كان من الواضح أنها بحاجةٍ إلى شيءٍ مني.

قلت: "دعيني أخمِّن. لقد أرسلكِ شقيقكِ إلى هنا لتطلُبي منّي التنصُّت على أفكار الناس في أثناء وجودهم في الحانة، حتى أتمكن من معرِفة ما

حدث في حفلة العربدة التي ارتادها لافاييت". وكأنني لم أتوقَّع حدوث ذلك.

بَدَت بورشيا مُحرَجة، لكنها كانت مُصمِّمة. قالت: "لم يكن ليطلب منكِ ذلك لو لم يكن في ورطةٍ كبيرةٍ يا سوكي".

"ما كان ليطلب مني ذلك قط لأنه لا يُحبُّني. رغم أنني لم أتصرَّف معه سوى بلطف طوال حياته! ولكن الآن، لا بأس بطلب مُساعدتي لأنه يحتاجني حقًّا".

احمرَّ وجه بورشيا بشكلٍ غير مُريح. وعرفتُ أنه لم يكن لطيفًا مني أن أفرغ غضبي من شقيقها عليها، لكنها في النهاية وافقت على لعب دور الرسول. والجميع يعرف ما يحدث للرُسل. جعلني ذلك أفكِّر في دوري كرسولٍ في الليلة السابقة، وتساءلتُ عمَّا إذا كان ينبغي عليَّ الشعور بأنني محظوظة اليوم.

تمتَمَت قائلة: "لم أكن موافِقة على هذا". كان طلب معروفًا من نادِلة يجرَح كبرياءها بشدَّة؛ خصوصًا من آل ستاكهاوس.

لم يحب أحد فكرة تمتُّعي بـ "هبة"، ولم يُرِدني أحد أن أستخدِمها عليه. لكن الجميع أرادني أن أستخدِمها لاكتشاف أشياء لمصلحتهم، بغض النظر عن شعوري تجاه فرز أفكار روَّاد الحانة (والتي غالبًا ما تكون غير سارَّة وغير مُفيدة) للحصول على المعلومات المُهِمَّة.

قلتِ: "ثُراكِ نسيتِ أن آندي اعتقل أخي مؤخَّرًا

بتهمة القتل؟". بالطبع توجَّب عليه إطلاق سراح چيسون، لكنه كان أمرًا مُزعجًا رغم ذلك.

لو احمرَّ وجه بورشيا أكثر من ذلك لاشتعلَت فيه النيران. ثم قالت وهي تستجمِع كل ما تبقى من كرامتها: "انسي الأمر إذن، فلسنا بحاجةٍ إلى مُساعدة مسخ مثلكِ على أي حال".

يبدو أنني أصبتها في صميم كبريائها، لأن بورشيا لطالما كانت مُهذَّبة، إن لم تكن ودودة.

"اسمعيني جيدًا يا بورشيا بليفلور، سأسترِق السمع قليلًا، لكن ليس من أجلكِ أو من أجل شقيقك، بل لأنني أحببتُ لافاييت. الذي كان صديقي، ولطالما كان لطيفًا معي أكثر منكِ ومن آندي".

"أنا لا أحبّكِ".

"وأنا لا أهتم".

سألني صوت هادئ من خلفي: "هل هناك مشكلة يا حبيبتي؟".

بيل. تركتُ العنان لعقلي، وشعرتُ بالفراغ المُريح خلفي مُباشرة. بينما طنَّت العقول الأخرى مثل النحل في خلية، بدا عقل بيل ككرة مليئة بالهواء. كان ذلك رائِعًا. وقفَت بورشيا فجأة حتى إن كُرسيها كاد يسقُط. إذ كانت تخشى حتى مُجرَّد الاقتراب من بيل، وكأنه ثُعبان سام أو شيء من هذا القبيل.

قلت ببطء: "كانت بورشيا تطلُب مني معروفًا".

مُدركةً لأول مرة أن حديثنا الثلاثي الصغير قد بدأ يجذِب قدرًا من الاهتمام من الحشد.

سأل بيل: "في مقابل الأشياء العديدة اللطيفة التي قدّمها لكِ آل بليفلور؟".

فقدَت بورشيا أعصابها، واستدارَت بسرعة لتُغادِر الحانة. شاهدها بيل وهي تُغادِر بتعبيرٍ غريبٍ من الرضا.

قلت وأنا أنحني نحوه: "والآن يجب عليّ اكتشاف سبب ذلك". طوّقني بذراعيه وجذبني نحوه، وبدا الأمر أشبه باحتضان شجرة.

قال بيل: "لقد رتَّب مصّاصو الدماء في دالاس أمورهم، هل يمكنكِ المغادرة مساء الغد؟".

"ماذا عنك؟".

"يمكنني السفر في تابوتي، إن كنت على استعدادٍ للتأكُّد من ذهابي إلى المطار. ثم سيكون لدينا الليل بطوله لمعرفة ما يريده مصّاصو دماء دالاس".

"إذن، سأضطر لاصطحابك إلى المطار في عربة نقل الموتى؟".

"لا يا عزيزتي، فقط اذهبي إلى هناك. هناك خدمة نقل خاصّة تتولّى مثل هذه الأمور".

"خدمة لنقل مصّاصي الدماء في وضح النهار؟".

"أجل، إنهم مُرخَّصون ومُعتَمَدون".

سأحتاج إلى بعض الوقت للتفكير في ذلك. سألته: "هل تريد زجاجة دم؟ يحتفِظ سام ببعض الزجاجات على المدفأة".

"نعم من فضلِك، أريد زجاجة (و- موجب)".

نفس فصيلة دمي، يا له من لطيف! ابتسمتُ لبيل، ابتسامة حقيقيّة من قلبي، وليس ابتسامتي العادية المُتكلِّفة. كنت محظوظة للغاية لوجوده في حياتي، بغضِّ النظر عن المشاكل التي واجهتنا كثُنائي. لم أستطع تصديق أنني قبّلتُ شخصًا آخر، وسارعتُ إلى محو هذه الفكرة بمجرد أن راودتني.

بادلني بيل الابتسامة، وربما لم تكن تلك الابتسامة الأكثر طمأنينة، لكنها كانت دليلًا على سعادته برؤيتي. قال وهو يميل مُقتربًا مني: "متى يمكنكِ المغادرة؟".

نظرتُ إلى ساعتي، قبل أن أقول: "خلال ثلاثين دقيقة".

قال: "سأنتظركِ". ثم جلَس خلف الطاولة التي تركتها بورشيا، وأحضرتُ له الدم في الحال.

ذَهَب كيفن للتحدُّث معه، وانتهى به الأمر جالسًا على الطاولة. مرّتين فقط، وجدتُ نفسي قريبةً بما يكفي لالتقاط أجزاء من المُحادثة؛ تحدّثا عن أنواع الجرائِم التي حدثت هنا في بلدتنا الصغيرة، وسعر البنزين، ومن سيفوز في انتخابات المأمور القادمة. كان الأمر عاديًا للغاية! ووجدتُ نفسي

أبتسِم بفخرٍ شديد. عندما بدأ بيل يتردّد على حانة ميرلوت، كانت الأجواء متوتّرة بعض الشيء. أما الآن، أصبحوا يدخلون ويخرجون بشكلٍ عادي، ويتحدّثون إلى بيل أو يكتفون بالإيماء برؤوسهم له فحسب، ولكن دون المُبالغة في كلتا الحالتين. إذ كان هناك ما يكفي من المشاكل القانونية التي تُواجِه مصّاصي الدماء، دون الحاجة إلى مشاكل اجتماعيّة أيضًا.

وعندما قادني بيل إلى المنزل تلك الليلة، بدا لي أنه كان في مزاجٍ رائِق. لم أستطع تفسير ذلك حتى أدركتُ أنه كان مسرورًا بشأن زيارة دالاس.

سألته، بفضولٍ مختلط بعدم ارتياح من حالة الشهوة المفاجئة للسفر: "هل تريد السفر لهذه الدرجة؟".

قال وهو يربت على يدي: "لقد سافرتُ لسنوات. كان البقاء في بون تيمبِس هذه الأشهر أمرًا رائِعًا، لكنني وبطبيعة الحال، أحب لقاء الآخرين من بني جنسي، ومصّاصو دماء شرِفبورت لديهم الكثير من السُلطة عليّ، بحيث لا يمكنني الاسترخاء في وجودهم".

سألته وأنا أحاوِل كبح فضولي بشأن مجتمع مصّاصي الدماء، إذ لم أكن متأكدة من رد فعل بيل: "هل كان مصّاصو الدماء مُنظَّمين لهذه الدرجة قبل أن يعرف الجميع بوجودهم؟".

قال مراوغًا: "ليس بنفس الطريقة". وعرفتُ أن هذه أفضل إجابة سأحظى بها منه، لكنني تنهَّدتُ قليلًا على أي حال. إنه سيِّد الغموض. لا يزال مصَّاصو الدماء يرسِمون حدودًا واضحة. إذ لا يمكن لأي طبيب أن يفحصهم، ولا يمكن إلزامهم بالانضمام إلى القوّات المُسلَّحة. وفي مقابل هذه التنازُلات القانونيّة، طالب الأمريكيّون مصّاصي الدماء الذين كانوا أطباء ومُمرِّضين - وكان عددهم لا بأس به - أن يتوقَّفوا عن مُمارسة المهنة، لأن البشر كانوا مُتشكّكين للغاية في أخصائيي الرعاية الصحيَّة الذين يتغذُّون على الدماء. رغم أن مصّاصي الدماء، على حدِّ علم البشر، يُعانون من ردِّ فعل تحسُّسي شديد تِجاه مزيج من الأشياء المُختلِفة، من ضمنها الثوم وأشعة الشمس.

ورغم أنني إنسانة - حتى وإن كنت غريبة الأطوار - إلا أنني عرفتُ أفضل من ذلك. وكنت أكثر سعادةً عندما كنت لا أزال أعتقد أن بيل يُعاني من مرضٍ يمكن تصنيفه. أما الآن، فقد كنت أعرف أن المخلوقات التي كنا نزج بها إلى عالم الخُرافة والأساطير لديها عادة مُزعِجة في إثبات حقيقة وجودها، كالميناد مثلًا.

من كان يُصدِّق أننا سنجِد أسطورة إغريقيَّة قديمة تتجوَّل في غابات شمال لويزيانا؟

ربما كانت هناك بالفعل جنيّات تحت الحديقة، كما تقول كلمات الأغنية التي اعتادَت جدَّتي غناءها

وهي تنشُر الملابس على الحبل.

قال بيل بإلحاحٍ لفَّه اللطف الشديد: "سوكي؟".

"ماذا؟".

"فيمَ تُفكِّرين؟".

قلت بغموض: "أفكِّر في المُستقبل، وفي الرحلة. عليك أن تُخبرني بكل التفاصيل، ومتى يجب أن أكون في المطار، وما هي الملابس التي ينبغي أن أحضرها؟".

بدأ بيل يُفكِّر في الأمر ونحن نصل إلى ممر منزلي القديم، وعرفتُ أنه سيأخُذ طلبي بجديَّة. كان ذلك أحد الأشياء الجيدة العديدة بشأنه.

قال وعيناه الداكنتان تمتلِئان بالجدية تحت حاجبيه المقوَّسين: "لكن هناك شيء آخر علينا مُناقشته، قبل أن تحزمي أمتِعتكِ".

وقفتُ في منتصف غرفة نومي، أحدِّق في باب الخزانة المفتوح، عندما استوعبتُ كلماته. سألته: "ماذا؟".

"تقنيات الاسترخاء".

استدرتُ لمواجهته، ووضعتُ يديَّ على خصري، وسألته: "عمَّ تتحدَّث بحقِّ السماء؟".

قال: "هذا". وحملني مثلما حَمَل ريت بتلَر سكارليت أوهارا في فيلم ذهب مع الريح، ورغم

أنني ارتديث بنطالًا بدلًا من الفستان الأحمر الطويل – الرداء؟ الثوب؟ - إلا إن بيل تمكن من جعلي أشعُر بأنني جميلة ولا أنسى مثلها تمامًا. ولم يكن عليه أن يصعَد أي سلالِم أيضًا؛ فقد كان السرير قريبًا للغاية. في معظم الليالي، كان بيل يأخُذ الأمور ببطءٍ شديد، حتى إنني كنت أظن أنني سأبدأ بالصراخ قبل وصولنا إلى النهاية التي نبتغيها، إن جاز لي التعبير. لكن الليلة، وفي ظلِّ تحمُّسه للسفر، وللرحلة الوشيكة، زادَت سُرعته بشكلٍ كبير. وصلنا إلى نشوتنا معًا، وبينما استلقينا معًا في تلك اللحظات التي أعقَبت حُبنا، تساءلتُ عمَّا سيظنه مصَّاصو دماء دالاس بشأن علاقتنا.

لم أزُر دالاس سوى مرة واحدة فقط من قبل، في رحلة تخرُّج إلى مدينة ملاهي "سِكس فلاجز" في العام الماضي، ولم أقضِ وقتًا رائِعًا حقًّا. فقد تساهلتُ في حماية عقلي من الأفكار التي تبثها عقول الآخرين بلا توقُّف، ولم أكن مُستعِدة للارتباط المفاجئ بين صديقتي المُقرَّبة ماريان وزميلنا دينيس إنجلبرايت، ولم أكن قد ابتعدتُ عن المنزل من قبل.

أخبرتُ نفسي بحزمٍ أن هذه المرة ستكون مُختلِفةً. فقد كنت ذاهبةً بناءً على طلب مصَّاصي دماء دالاس؛ أوليس هذا مُثيرًا وفاتنًا؟ كنت مطلوبة بسبب مهارتي الفريدة. وعليَّ التركيز على عدم وصف هبتي بالإعاقة. كنت قد تعلَّمتُ كيفيَّة التحكُّم

في قدرتي على قراءة الأفكار، على الأقل بدرجةٍ أكبر من الدقّة والتنبّؤ. وكان لديّ رجُلي الخاص، ولن يتخلّى عني أحد.

ومع ذلك، يجب عليّ الاعتراف بأنني قبل أن أخلُد إلى النوم، ذرفتُ بعض الدموع على البؤس الذي حظيتُ به في حياتي.



الفصل الرابع

كان الجو حارًا كالجحيم في دالاس، خاصّة على رصيف المطار. إذ انتكسَت أيامنا القليلة الوجيزة من الخريف إلى الصيف. هبّ نسيم حارِق مُحمَّل بجميع الأصوات والروائِح في مطار "دالاس-فورث وورث" – مِن تشغيل المركبات الصغيرة والطائِرات ووقودها وحمولتها – وبدا وكأنه يتراكَم عند أسفَل مُنحدر مستودع شحن الطائِرة التي كنت أنتظِرها. كنت قد سافرتُ على متن رحلةٍ تجارية عادية، لكن توجَّب شحن بيل بطريقةٍ خاصّة.

حرَّكتُ سترة بدلتي؛ محاولة الحِفاظ على جفاف إبطيّ، عندما اقترب مني الكاهِن الكاثوليكي.

في البداية، احترمتُ منصِبه حتى إنني لم أعترِض على اقترابه، رغم عدم رغبتي في التحدُّث إلى أي شخص. إذ كنت قد خرجتُ لتوِّي من تجرُبةٍ جديدةٍ تمامًا، وكان أمامي المزيد من العقبات المُشابهة.

قال الرجُل الصغير: "هل يمكنني مُساعدتكِ في شيء؟ لم يسعَني إلا مُلاحظة موقفكِ". كان يرتدي ملابس كهنوتيَّة سوداء، وبدا صوته مُفعمًا بالتعاطُف. وعلاوةً على ذلك، تصرَّف بثقة شخص اعتاد الاقتراب من الغُرباء وتلقي استقبال مُهذَّب. وحظيَ بما اعتقدتُ أنه قصَّة شعر غير مُعتادة بالنسبة لكاهِن؛ إذ كان شعره البُني طويلًا ومُتشابكًا، كما كان لديه شارب كذلك. لكنني لاحظتُ ذلك

بشكلٍ غامضٍ فحسب.

سألته، دون أن أنتبِه حقًا إلى كلماته: "موقفي؟". كنت قد لمحتُ للتو التابوت الخشبي اللامِع عند حافّة مستودع الشحن. كان بيل من النوع التقليدي؛ إذ كان المعدن ليكون أكثر عمليةً للسفر. دفعه الموظّفون ذوي الزي الرسمي إلى مُقدّمة المُنحدر، مما دلّني على أنهم لا بد وقد وَضعوا عجلات تحته بطريقةٍ ما. لقد وعدوا بيل أنه سيصِل إلى وجهته دون خدش، ووقف الحُرّاس المُسلّحون ورائي بمثابة تأمين لضمان عدم اندفاع أي مُتعصّب لفتح الغطاء. كان هذه إحدى المزايا التي أعلنت عنها شركة "أنوبيس إير". ووفقًا لتعليمات بيل، طلبتُ أيضًا أن يكون هو أول من يُغادِر الطائِرة.

حتى الآن، الأمور تسير على ما يرام.

ألقيتُ نظرة على السماء الغائِمة. كانت الأضواء حول الميدان قد أضيئت قبل دقائق. بدا رأس ابن آوى الأسود على ذيل الطائِرة وحشيًا في الضوء القاسي الذي خلق ظلالًا عميقةً حيث لم تكن موجودة من قبل. تفقّدتُ ساعتي مرة أخرى.

"نعم، أنا آسف جدًا".

رمقتُ ضيفي الثقيل بنظرةٍ جانبية. هل ركب الطائِرة من باتون روج؟ لم أستطع تذكُّر وجهه، لكنني رزحتُ تحت وطأة التوتُّر الشديد طوال الرحلة. لذا قلت: "آسف على ماذا؟ هل هناك مشكلة

ما؟".

نظر إليّ بدهشةٍ شديدة، ثم أومأ برأسه نحو التابوت، الذي بدأ ينزل الآن من المُنحدر على عجلات، وقال: "حسنًا، على مصابكِ. هل كان هذا أحد أحبّائك؟". ثم اقترب مني قليلًا.

أجبته وأنا أترنّح بين الحيرة والانزعاج: "حسنًا، بالتأكيد". لماذا هو هنا؟ من المؤكّد أن شركة الطيران لا تدفَع لكاهنٍ لمقابلة كل من يُسافِر مع تابوت؟ خاصّة ذلك الذي فُرِّغ من طائِرة "أنوبيس إير". تابعتُ حديثي: "وإلا لماذا سأقِف هنا؟".

بدأتُ أشعُر بالقلق.

ببطء، وبحذر، أخفضتُ أسوار حصوني وبدأتُ في فحص الرجُل الذي يقِف بجانبي. أعلم، أعلم أنه انتهاك لخصوصيته. لكنني لم أكن مسؤولة فقط عن سلامتي، بل أيضًا عن سلامة بيل.

فكّر الكاهِن، الذي اتضح أنه صاحِب قدرة قويّة على بثّ أفكاره، في حلول الظلام بقلقٍ مثلي تمامًا، ولكن بخوفٍ أكثر بكثير. كما تمنّى أن يكون أصدقاؤه في المكان الذي يُفترَض أن يكونوا فيه.

حاولتُ ألا أظهِر قلقي المُتزايِد، نظرتُ إلى الأعلى مرة أخرى. وفي أعماق الغسق، لم يكن هناك سوى أثر خافِت للضوء في سماء تكساس.

لفّ أصابعه حول ذراعي، وسألني: "هل هو

زوجكِ؟".

هل كان هذا الرجُل مُخيفًا أم ماذا؟ نظرتُ إليه، ورأيتُ عينيه مُثبّتتين على عُمّال الأمتِعة الذين ظهروا بوضوحٍ في مستودع الطائِرة. إذ ارتدوا بدلاتٍ سوداء وفضيّة عليها شِعار أنوبيس على الجهة اليسرى من صدورهم. ثم حرَّك عينيه إلى موظَّف شركة الطيران على الأرض، الذي استعدَّ لتوجيه التابوت إلى عربة نقل الأمتِعة المُبطَّنة المُسطَّحة. أراد الكاهِن.. ماذا أراد؟ حاول النظر إلى الجميع وهُم غير مُنتبهين، أو مشغولين. لم يُرِدهم أن يروه وهو.. ماذا؟

أجبته: "لا، إنه صديقي". فقط للحِفاظ على تظاهُرنا. لقد ربَّتني جدَّتي على الأدب، لكنها لم تُربِّني على الغباء. وبحركةٍ خفيَّة، فتحت حقيبتي بيدٍ واحدةٍ، وأخرجتُ رذاذ الفلفل الذي أعطاه لي بيل لحالات الطوارئ. وأخفيتُ العلبة الصغيرة خلف فخذي. ابتعدتُ عن الكاهِن المُزيَّف، ونواياه غير الواضحة، ويده تزداد إحكامًا على ذراعي، عندما انفتح غطاء التابوت فجأة.

قفز حاملا الأمتِعة اللذان كانا داخل الطائِرة إلى الأرض، ثم انحنيا بعُمق، في حين قال الشخص الذي وجَّه التابوت إلى العربة: "اللعنة!". قبل أن ينحني بدوره (يبدو أنه موظَّف جديد). كانت هذه الحركة البسيطة من التملُّق جزءًا إضافيًا من خدمات شركة الطيران، لكنني اعتبرتها مُبالغة كبيرة.

قال الكاهِن: "ساعِدني يا يسوع!". ولكن بدلًا من الركوع على رُكبتيه، قفز إلى يميني وأمسَك بذراعي التي تحمِل الرذاذ، وبدأ يجذِبني بقوَّة.

في البداية، ظننتُ أنه كان يحاول إبعادي عن الخطر الذي يُمثِّله التابوت المفتوح، بسحبي إلى مكانٍ آمن. وأعتقِد أن هذا ما بدا عليه الأمر بالنسبة لعُمَّال الأمتِعة، الذين انهمَكوا في لعب دورهم كمُضيفي "أنوبيس إير"، وكانت النتيجة أنهم لم يُساعِدوني، رغم أنني صرختُ بأعلى صوتي: "اتركني!".

ظلَّ الكاهِن يجذبني من ذراعي مُحاولًا الهرب، وظللتُ أحاول جذب نفسي إلى الخلف. ضربته بيدي الحُرَّة. لن أسمَح لأحد أن يأخُذني إلى مكانٍ لا أريد الذهاب إليه، ليس دون قِتال جيد، صرختُ بخوفٍ شديد: "بيل!".

لم يكن الكاهِن رجلًا ضخمًا، لكنه كان أطول وأثقل مني، وكان بنفس إصراري تقريبًا. ورغم أنني قاومته بكل ما أوتيتُ من قوَّة، إلا أنه دفعني ببطءٍ نحو باب خاص يؤدي إلى داخل الصالة. هبَّت رياح مفاجِئة، حارَّة وجافَّة، وإذا ما استخدمتُ الرذاذ، فسيرتد مباشرةً إلى وجهي.

جلس الرجُل داخل التابوت ببطء، وعيناه الكبيرتان الداكنتان تتفحَّصان المشهد من حوله. لمحته وهو يُمرِّر يده على شعره البُني الناعِم.

فُتِح الباب الخاص، وأدركتُ أن هناك شخصًا ما بالداخل، تعزيزات للكاهِن.

"بيل!".

شعرتُ بأزيزٍ في الهواء من حولي، وفجأة تركني الكاهِن وفرَّ عبر الباب كأرنبٍ في مضمار سباق الكلاب. ترنَّحتُ وكدتُ أسقط على مؤخِّرتي لو لم يُبطِئ بيل من سُرعته ليُمسِكني. قلت بارتياحٍ لا يُصدَّق: "مرحبًا يا حبيبي". خلعتُ سترة بدلتي الرمادية الجديدة، وشعرتُ بالسعادة لأنني وضعتُ المزيد من أحمر الشفاه عندما هبَطت الطائِرة. نظرتُ في الاتجاه الذي هرب فيه الكاهِن، وقلت: "كان ذلك غريبًا حقًّا". ثم أعدتُ رذاذ الفلفل إلى حقِيبتي.

سألني بيل: "هل أنتِ بخيرٍ يا سوكي؟". انحنى ليُقبِّلني، مُتجاهِلًا همسات عُمَّال الأمتِعة الذين كانوا يعملوُن على متن طائِرة مُستأجرة بجوار بوابة أنوبيس. ورغم أن العالم بأسره اكتشف قبل عامين أن مصَّاصي الدماء ليسوا مُجرَّد أساطير وأفلام رُعب، بل يعيشون بيننا منذ قرون طويلة، إلا أن الكثير من الناس لم يسبِق لهم رؤية مصَّاص دماء على أرض الواقع.

تجاهلهُم بيل، الذي لطالما أجاد تجاهل الأشياء التي لا يرى أنها تستحِق اهتمامه.

قلت وأنا لا أزال مشوَّشة قليلًا: "نعم، أنا بخير. لا أعرف لماذا حاوَل الإمساك بي".

"هل أساء فهم علاقتنا؟".

"لا أعتقد ذلك. أعتقد أنه كان يعرف أنني أنتظرك، وحاول إبعادي قبل استيقاظك".

قال بيل، كعادته في التقليل من الأمور: "علينا التفكير في هذا الأمر. لكن بخلاف هذا الحادِث الغريب، كيف سارَت الأمسية؟".

قلت، محاولةً ألا أبدو مُتذمِّرة: "كانت الرحلة على ما يرام".

قال بيل بجفاف: "هل حدث أي شيء آخر غير مرغوب فيه؟". كان يُدرِك تمامًا أنني أعتبِر نفسي مظلومة أحيانًا.

أجبته بتهكُّم: "لا أعرف ما هو الطبيعي في رحلات الطيران، فلم أسافِر في واحدةٍ من قبل. لكن حتى ظهور الكاهِن، يمكنني القول إن الأمور سارَت على نحو سلِس إلى حدٍ كبير". رفع بيل أحد حاجبيه بطريقته المُتعجرِفة المُعتادة، لذا استفضتُ في التوضيح: "لا أعتقد أن ذلك الرجُل كان كاهِنًا حقيقيًا على الإطلاق. لماذا جاء لاستقبال الطائِرة؟ ولماذا تحدَّث معي؟ لقد انتظر فقط حتى أشاح الجميع بأنظارهم بعيدًا".

قال مصّاص دمائي وهو ينظر إلى الرجال والنساء الذين بدأوا يتجمَّعون حول الطائِرة للتحقُّق مما حدث: "سنتحدَّث عن ذلك في مكانٍ أكثر خصوصيَّة". ثم تقدَّم نحو موظَّفي أنوبيس بزيِّهم

الرسمي، ووبَّخهم بصوتٍ هادئ لعدم مُساعدتي. على الأقل، هذا ما افترضته من الطريقة التي شحبوا بها وبدأوا يهمهمون بتوتُّر. لفَّ بيل ذراعه حول خصري وبدأنا نسير إلى مبنى المحطَّة.

قال دون أن يُكلِّف نفسه عناء النظر إليهم: "أرسلوا التابوت إلى العنوان المكتوب على الغطاء، فندق (سايلنت شور)". الفُندق الوحيد في دالاس الذي خَضَع لتجديدات شامِلة لاستقبال الزبائن من مصَّاصي الدماء. كان واحدًا من الفنادِق القديمة الفخمة في وسط المدينة، كما وَرَد في الكُتيِّبات، رغم أنه لم يسبِق لي رؤية وسط دالاس أو أيًا من فنادِقها القديمة الفخمة من قبل.

توقَّفنا عند درج صغير مُتَّسِخ يؤدي إلى رُدهة المُسافرين الرئيسيَّة. وقال: "والآن، أخبريني بكل شيء". نظرتُ إليه طوال الوقت بينما رويتُ الحادِثة الغريبة من البداية إلى النهاية. كان وجهه شاحبًا للغاية، وهكذا عرفتُ أنه ولا بد يتضوَّر جوعًا. بدا حاجباه شديديُ السواد بفضل شحوب بشرته، كما بدت عيناه أغمق مما هُما عليه في الحقيقة.

فتح لي الباب، ومررتُ من خلاله إلى صخب وارتباك أحد أكبر مطارات العالم.

سألني: "ألم تُحاولي الاستماع إليه؟". وعرفتُ بأنه لم يقصِد بأذنيّ.

أجبته: "كنت لا أزال محجوبة بشدَّة بعد الرحلة،

وبحلول الوقت الذي شعرتُ فيه بالقلق، وبدأت محاولة قراءة أفكاره، كنت قد خرجتَ من تابوتك، وفرَّ هاربًا. لكن راودني شعور غريب، قبل أن يهرب..". تردَّدتُ، وأنا أعلم أن هذا يبدو غير منطقي.

انتظرني بيل فحسب. إنه ليس ممَن يُثرثِرون خلال الحديث، بل يتركني أنهي ما أريد قوله. توقَّفنا عن السير للحظة، واقتربنا من الحائِط.

قلت: "شعرتُ أنه جاء ليختطِفني، أعلم أن هذا يبدو جنونيًا. من يمكنه معرفة هويتي هنا في دالاس؟ من يمكنه معرفة موعِد وصول الطائِرة؟ لكن هذا هو الانطباع الذي حصلتُ عليه". أمسَك بيل بيديَّ الدافِئتين بيديه الباردتين.

نظرتُ في عيني بيل. لم أكن قصيرة إلى هذا الحد، ولم يكن هو فارِع الطول، لكنني ما زلتُ مُضطرَّة إلى النظر للأعلى. كما أنني فخورة بنفسي، لأنني أستطيع النظر في عينيه دون أن أقع تحت سحر تأثيره. أحيانًا أتمنى لو أن بإمكانه منحي مجموعة مُختلِفة من الذكريات – على سبيل المثال، لا أمانِع نسيان تلك الحادِثة مع الميناد – لكنه لا يستطيع.

طفق بيل يُفكِّر فيما قُلته، ويحفظه للرجوع إليه لاحقًا. ثم سألني: "إذن، الرحلة نفسها كانت مُملة؟".

أجبته: "في الواقع، كانت مُثيرة للغاية. بعد أن تأكَّدتُ من أن جماعة أنوبيس قد وضعوك على متن

طائِرتهم، وصعدتُ أنا على متن طائرتي. شرحَت لنا المرأة ما يجب فعله عندما تتحطّم الطائِرة. وكنت أجلس في صفّ مخرَج الطوارئ، وطلبت منّا تبديل مقاعِدنا إذا شعرنا بأننا غير قادرين على التعامل مع ذلك. لكنني اعتقدتُ أنني أستطيع، أليس كذلك؟ التعامل مع الطوارئ؟ ثم أحضرت لي شرابًا ومجلّة".

نادرًا ما كنت أخدم، كوني ساقية بحُكم المهنة، لذا استمتعتُ بالأمر حقًّا.

"أنا واثق من أن بإمكانكِ التعامل مع أي شيء يا سوكي. هل شعرتِ بالخوف عندما أقلعت الطائِرة؟".

"لا، لكنني شعرتُ ببعض القلق فقط بشأن هذا المساء. وبخلاف ذلك، سارت الأمور بشكلٍ جيّد".

غمغم بصوته البارد والسلس: "آسف لأنني لم أكن معكِ". ثم ضمّني إلى صدره.

قلت وأنا أدفن وجهي في قميصه: "لا بأس. إنها أول مرة أسافِر فيها بالطائِرة، كما تعلم، والأمر مُرهِق للأعصاب نوعًا ما. لكن الأمور سارَت على ما يرام، حتى هبطنا". قد أتذمّر أو أشكو، لكنني شعرتُ بالسعادة حقًّا لأن بيل نهض في الوقت المناسب ليقودني عبر المطار. إذ شعرتُ أنني قروية ساذجة أكثر فأكثر.

لم نتحدَّث أكثر عن الكاهِن، لكنني عرفتُ أن بيل لم ينسَ الأمر. قادني خلال جمع أمتعتنا والعثور على وسيلة نقل. كان بإمكانه أن يوقِفني في مكانٍ

ما وينتهي من كل شيء، إلا أنه، كما ذكّرني مرارًا وتكرارًا، كان عليّ فعل ذلك بنفسي في وقتٍ ما، إن تطلّب عملنا الهبوط في مكانٍ ما في وضح النهار.

ورغم أن المطار بدا مُزدحِمًا بشكلٍ لا يُصدَّق، ومليئًا بأشخاصٍ مُثقلين بالحزن والبؤس، إلا أنني تمكنتُ من اتّباع الإشارات بفضل بعض التوجيهات البسيطة من بيل، بعد أن عزّزتُ أسوار حصوني. كان الأمر سيئًا بما فيه الكِفاية، إذ غمرني بؤس المُسافرين المُرهقين، دون الحاجة إلى الاستماع إلى تذمُّرهم المستمر. وجهتُ الحمّال بأمتعتنا (التي كان بيل قادرًا على حملها تحت ذراع واحدة بمُنتهى السهولة) إلى موقف سيارات الأجرة، وانطلقنا في طريقنا إلى الفُندق في غضون أربعين دقيقة من ظهور بيل. أقسم رجال أنوبيس بأغلظ الأيمان أن نعشه سيصِل في غضون ثلاث ساعات.

سنرى، لأننا سنحصل على رحلةٍ مجانيّة؛ إن لم يصِل في الوقتِ المُحدَّد.

كنت قد نسيتُ مدى اتّساع دالاس، خلال السنوات السبع التي مَضَت منذ تخرُّجي من المدرسة الثانوية. أدهشتني أضواء المدينة، وكذلك ازدحامها. حدّقتُ من النوافِذ في كل شيء مررنا به، وابتسم لي بيل بتساهُلٍ مُزعج.

"تبدين جميلة يا سوكي، وملابسكِ مُناسبة تمامًا".

قلت بسعادةٍ وارتياح: "شُكرًا". كان بيل قد أصرَّ

على أنني بحاجةٍ إلى أن أبدو "مُحترِفة"، وعندما سألته: "مُحترِفة في ماذا؟" رمقني بنظرةٍ من نظراته. لذا، ارتديتُ بدلة رمادية فوق قميص أبيض، مع أقراط من اللؤلؤ، وحقيبة سوداء، وحذاء بكعبٍ عالٍ. حتى إنني صفَّفتُ شعري إلى الخلف بطريقةٍ مُجعَّدةٍ باستخدام إحدى أدوات "هيراجامي" التي طلبتها من التلفاز. ساعدتني صديقتي آرلين. بالنسبة لي، بدوتُ كمُحترفةٍ بالفعل – عامِلة مُحترِفة في دار جنازات – لكن بيل بدا راضيًا. وقد تحمَّل ثمن الزي بأكمله من متجر تارا، بما أنها كانت نفقات عمل مشروعة. لذا لم أستطع التذمُّر بشأن التكلِفة.

كنت سأشعُر بمزيدٍ من الارتياح في زيٍّ عملي كنادِلة. وسأختار ارتداء السروال القصير والقميص على الفستان والجورب الطويل في أي يوم. وكان بإمكاني ارتداء حذاء "أديداس" الرياضي مع زي العمل، لا هذا الكعب العالي اللعين. تنهَّدت.

توقَّفَت سيارة الأجرة عند الفُندق، ونزل السائق لإخراج أمتعتنا. كانت الأمتِعة تكفي لثلاثة أيام. إن التزم مصّاصو دماء دالاس بتعليماتي، فسأتمكن إنهاء هذه المُهمة وسنعود إلى بون تيمبِس ليلة الغد، لنعيش هناك بسلامٍ ودون تدخُّل في سياسة مصّاصي الدماء.. على الأقل حتى يتلقَّى فيها بيل المُكالمة التالية. لكن كان من الأفضل إحضار ملابس إضافية بدلًا من الاعتماد على ذلك.

تحرَّكتُ عبر المقعد لأخرُج بعد بيل، الذي كان

يدفَع للسائق. وَضَع خادِم الفُندق ذو الزي الرسمي أمتعتنا على عربةٍ مُتحرِّكة. التفت بوجهه النحيل إلى بيل وقال: "مرحبًا بك في فندق سايلنت شور يا سيِّدي! اسمي باري، وسأكون..". تقدَّم بيل إلى الأمام، فكشف الضوء المُتسلِّل من باب الرُدهة عن وجهه. أنهى باري جُملته بصوتٍ خافت: "وسأكون خادمك".

قلت: "شكرًا لك". لأعطي الفتى الذي لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره لحظة ليجمع شتات نفسه، إذ ارتجفَت يداه قليلًا. وبدأت أبحث في ذهنه عن مصدَر اضطرابه.

ولدهشتي وسروري، أدركت (بعد بحثٍ سريع في رأس باري)، أنه كان قارئًا للأفكار مثلي! لكنه مستواه في التنظيم والسيطرة كان كما كنت عليه عندما كنت، ربما، في الثانية عشرة من عمري تقريبًا. لقد عجَّ رأسه بالفوضى، ولم يستطع السيطرة على نفسه على الإطلاق، كما تهاوَت أسوار حصونه. كان غارقًا في الإنكار. لم أعرف ما إن كان عليّ مُعانقته، أم صفعه على رأسه. ثم أدركتُ أن سرَّه ليس ملكي لأفشيه. أشحتُ بنظري بعيدًا، وبدأت أتحرَّك بعصبيَّة، وكأنني أشعُر بالملل.

غمغم باري قائلًا: "سأتبعكما بالأمتعة". ابتسم له بيل بلطف، فأجابه باري ابتسامة خجولة، ثم انشغل بدفع العربة. لا بد وأن مظهَر بيل هو ما أثار قلقه، لأنه لا يستطيع قراءة أفكاره، وهو ما يجعل

الموتى الأحياء جذّابين لأمثالي. توجّب على باري ضرورة تعلُّم كيفيّة الاسترخاء في حضرة مصّاصي الدماء، خاصّة وأنه وافق على العمل في فندق يُلبّي احتياجاتهم.

يعتقِد بعض الناس أن جميع مصّاصي الدماء يبدون مُرعبين. لكن بالنسبة لي، هذا يعتمد على مصّاص الدماء نفسه. أتذكّر أنني فكّرت، عندما قابلتُ بيل لأول مرة، أنه بدا مُختلفًا بشكلٍ لا يُصدَّق؛ لكنني لم أشعُر بالخوف.

لكن مصّاصة الدماء التي انتظرتنا في رُدهة فندق سايلنت شور، كانت مُخيفة حقًّا. أراهن أن باري يرتعِد منها خوفًا. تقدّمَت نحونا بعد أن أتممنا إجراءات تسجيل الدخول، وبيل يُعيد بطاقته الائتمانيّة إلى محفظته (حاول فقط التقدُّم بطلب للحصول على بطاقة ائتمان عندما يكون عمرك مئة وستّين عامًا؛ إنها عملية مُعقّدة للغاية). اقتربتُ منه قليلًا وهو يدفع البقشيش لباري، على أمل أن تتجاهلني.

قالت بصوتٍ هادئ وبارد كصوتِ بيل، لكن بنبرةٍ أخف: "هل أنت بيل كومبتون؟ المُحقّق من لويزيانا؟". لقد كانت ميّتة منذ وقت طويل، وشاحِبة للغاية، ونحيفة كلوحٍ خشبي، ولم يفعل فُستانها الأزرق والذهبي الطويل شيئًا سوى إبراز شحوبها ونحولها. كان شعرها البُني الفاتِح مجدولًا وطويلًا بما يكفي ليصِل إلى أسفل ظهرها، بينما عزّزت

عيناها الخضراوان اللامِعتان مظهرها المُختلِف.

لا يُصافِح مصّاصو الدماء بعضهم بعضًا، لذا تبادلا النظرات وأومأ كل منهما للآخر بإيماءةٍ مُقتضبة، وهو يُجيبها: "نعم".

سألته: "أهذه هي المرأة؟". وربما أومأت نحوي بإحدى تلك الحركات السريعة الخاطِفة، لأنني لمحتُ غشاوة بطرف عيني.

قال بيل: "هذه رفيقتي وزميلتي في العمل، سوكي ستاكهاوس".

بعد لحظة، أومأت برأسها لتُظهِر أنها استوعَبَت التلميح، وقالت: "أنا إيزابيل بومونت، وسأحتاجك أن تأتي معي بعد أن تأخُذ أمتِعتك إلى غُرفتِك وتقضي حاجتك".

قال بيل: "يجب أن أتغذّى".

نظرَت لي إيزابيل بتمعُّن، مُتسائِلة بلا شك عن سبب عدم توفيري الدماء لمُرافقي، ولكن ذلك لم يكن من شأنها. قالت: "فقط اضغط على زر خدمة الغُرف في الهاتف".

أما أنا، الفانية البسيطة، سيتوجَّب عليَّ طلب الطعام من القائِمة. ولكن عندما فكَّرتُ في توقيت الأمور، أدركتُ أنني سأشعُر بتحسُّنٍ كبيرٍ إن انتظرتُ لتناول الطعام بعد انتهاء أعمال هذا المساء.

بعد أن وضعنا حقائِبنا في غرفة النوم (التي

كانت كبيرة بما يكفي لاستيعاب التابوت والسرير)، سيطر الصمت غير المُريح على أجواء غرفة المعيشة. كانت هناك ثلاجة صغيرة مليئة بزجاجات "ترو بلود"، لكن هذا المساء أراد بيل بعض الدماء الحقيقيّة.

قال بيل: "يجب أن أجري المُكالمة يا سوكي". كنا قد ناقشنا هذا الأمر قبل الرحلة

أجبته، دون أن أنظر إليه: "بالطبع". ثم انسحبتُ إلى غرفة النوم وأغلقتُ الباب. ربما يتوجَّب عليه أن يتغذَّى على شخصٍ آخر ليتمكن من الحفاظ على قوَّته للأحداث القادمة، لكنني لستُ مُضطرَّة لمُشاهدته أو تقبُّله. بعد دقائق، سمعتُ طرقًا على الباب الخارجي، ثم بيل يسمح لشخصٍ ما بالدخول، أو وجبته. ثم سمعتُ صوت بعض الهمسات، ثم أنينًا خافِتًا.

للأسف، ولسوء حظ توتُّري، فقد امتلكتُ ما يكفي من الفطنة كيلا أفعل شيئًا كإلقاء فُرشاة شعري أو أحد أحذيَتي ذات الكعب العالي اللعين عبر الغرفة. ربما لعب الحِفاظ على كرامتي دورًا في ذلك أيضًا؛ بالإضافة إلى إدراكي الجيد بمدى تقلُّب المزاج الذي يمكن لبيل تحمُّله. لذا فرَّغتُ حقيبتي ورتَّبتُ مُستحضرات التجميل الخاصَّة بي في الحمَّام، واستخدمتُ المرحاض رغم أنني لم أشعُر بحاجةٍ مُلِحةٍ لذلك. لقد تعلَّمتُ أن استخدام المراحيض ليس ضروريًا في عالَم مصَّاصي الدماء، وحتى لو

وجدتُ مرحاضًا يعمل في منزل يقطنه مصّاصو دماء، فإنهم أحيانًا ينسون تزويده بورق المرحاض.

سُرعان ما سمعتُ الباب الخارجي يُفتَح ويُغلَق مرة أخرى، ثم طَرَق بيل الباب بلطف قبل أن يدخُل إلى غرفة النوم. بدا وجهه ورديًا، وأكثر امتلاءً.

سألني: "هل أنتِ مُستعِدّة؟". وفجأة، أدركتُ أنني على وشك الخروج في أول مُهِمّة حقيقيّة لي لصالِح مصّاصي الدماء، واجتاحني الخوف مُجددًا. إن لم أنجَح، فقد تُصبِح حياتي في خطرٍ مُحدق، وقد يصبح بيل أكثر موتًا مما هو عليه الآن. أومأتُ برأسي، وجفَّ حلقي من شدّة الخوف.

"لا تُحضري حقيبتكِ".

سألته بدهشة: "لمَ لا؟". نظرتُ إلى حقيبتي بدهشة، من يمكن أن يعترِض؟

أجابني: "يمكن إخفاء أشياء في الحقائِب". أشياء مثل الأوتاد، على ما أعتقد. ثم أضاف: "فقط ضعي مفتاح الغرفة في.. هل لتلك التنورة جيب؟".

"لا".

"حسنًا، ضعي المفتاح في ملابسكِ الداخلية".

رفعتُ حافّةَ تنورتي حتى يتمكن بيل من رؤية ملابسي الداخلية التي يجب أن أدس فيها شيئًا ما. واستمتعتُ بتعبيرات وجهه أكثر مما يمكنني وصفه.

بدا بيل مشغول البال قليلًا فجأة وهو يسألني:

"هل هذا.. هل هذا سروال داخلي مُثير؟".

"أجل، لم أرَ ضرورة لأن أكون مُحترِفة حتى فيما أرتديه تحت الملابس".

تمتم بيل: "ما أجمل تلك البشرة، ناعمة.. ولذيذة للغاية".

"نعم، رأيتُ أنه ليس من الضروري لارتداء الجوارِب". وضعتُ المُستطيل البلاستيكي - "المفتاح" - تحت أحد الأشرِطة الجانبيَّة.

قال بعينين واسِعتين لامعتين: "لا أعتقد أنه سيبقى هناك. قد نفترِق، لذا عليكِ بالتأكيد الاحتفاظ به. جرِّبي مكانًا آخر".

نقلته إلى مكانٍ آخر.

بدا بيل وكأنه يُجبِر نفسه على الإفاقة من شروده: "لا يا سوكي، لن تصلي إليه بسرعة هناك. هيا، علينا الذهاب".

قلت وأنا أُعيد تنورة البدلة لأغطِّي ملابسي الداخلية: "حسنًا، طالما أنك مُصِر".

رمقني بنظرةٍ غامضة، وربت على جيوبه كما يفعل الرِجال عادةً، فقط للتأكُّد من أنهم لم ينسوا شيئًا. كانت لفتة إنسانيَّة غريبة، أثَّرت فيَّ بطريقةٍ لم أستطع حتى وصفها لنفسي. تبادلنا إيماءة سريعة وسرنا في الرُدهة إلى المصعَد. كانت إيزابيل بومونت في انتظارنا، وتولَّد لديَّ شعور قوي بأنها لم

تكن مُعتادة على ذلك.

كانت مصّاصة الدماء العجوز، التي لم تبدُ أكبر من خمسة وثلاثين عامًا، تقف بالضبط حيث تركناها. هنا في فندق سايلنت شور، شعرَت إيزابيل بالحرية في أن تكون على طبيعتها كمصّاصة دماء، والتي تضمَّنت الجمود التام. ففي حين يتحرَّك البشر بشكلٍ لا إرادي، ويشعرون بالحاجة للانشغال بنشاطٍ ما أو إظهار غرض مُعيَّن. يمكن لمصّاصي الدماء فقط شغل مساحة ما دون أن يشعروا بالحاجة لتبرير ذلك. وعندما خرجنا من المصعد، بدت إيزابيل مثل التمثال تمامًا. حتى إنه بإمكان المرء تعليق قُبعته عليها، رغم أنه سيندم لو فعل ذلك.

عمل نظام إنذار مُبكِّر عندما أصبحنا على بعد ستَّة أقدام من مصّاصة الدماء. تحرَّكَت عينا إيزابيل في اتجاهنا واهتزَّت يدها اليُمنى، وكأن أحدهم ضغط زر تشغيلها. قالت: "تعاليا معي". وخرجَت من الباب الرئيسي، الذي استطاع باري بالكاد فتحه لها بالسرعة الكافية. لاحظتُ أنه كان مُدرَّبًا بما يكفي ليخفِض عينيه في أثناء مرورها. إن كل ما سمعته عن النظر في عيني مصّاصي الدماء صحيح.

وكما هو متوقَّع، عجَّت سيارة إيزابيل اللكزس السوداء بالخيارات. لن يتجوَّل مصّاصو الدماء في أي سيارة صغيرة. انتظرَت إيزابيل حتى ربطتُ حزام الأمان (الذي لم تُكلِّف هي وبيل نفسيهما عناء استخدامه) قبل أن ننطلق بعيدًا عن الرصيف،

مما أثار دهشتي. ثم تحرَّكنا بالسيارة عبر دالاس، في شارعٍ رئيسي. بدت إيزابيل من النوع القوي الصامت، ولكن بعد حوالي خمس دقائق من انطلاقنا بالسيارة، بدا وكأنها قد تذكَّرَت أن لديها أوامِر.

انعطفنا يسارًا، واستطعتُ رؤية منطقة عُشبيَّة من نوعٍ ما، وشكل غامِض بدا وكأنه علامة تاريخيَّة. أشارَت إيزابيل إلى يمينها بإصبعٍ طويل نحيل، وقالت: "هذا مستودع الكُتب المُدرسيَّة في تكساس". وفَهِمتُ أنها شعرَت بأنها مُلزَمة بإخباري بذلك. وهذا يعني أنها تلقَّت أمرًا للقيام بذلك، وبدا ذلك مُثيرًا للاهتمام. تتبعتُ إصبعها بحماس، وأخذتُ أتأمَّل أكبر قدر ممكن من المبنى الحجري. وفوجئت بأنه لم يبدُ أكثر بروزًا.

سألتها بحماسٍ وإعجاب: "أهذه هي الربوة العشبيَّة؟". بدا الأمر وكأنني صادفتُ شيئًا تاريخيًا شهيرًا مثل حطام منطاد هيندنبورج(6) أو أي أثر أسطوري آخر.

أومأت إيزابيل برأسها، وكانت الحركة بالكاد ملحوظة لولا أن جديلتها اهتزَّت. وقالت: "هناك متحف في المستودَع القديم".

كان ذلك شيئًا أودُّ رؤيته في وضح النهار. لو بقينا هنا لفترةٍ كافيَة، لجئتُ سيرًا على الأقدام أو ربما اكتشفتُ كيف أستقِل سيارة أجرة في أثناء نوم بيل في تابوته.

ابتسم لي بيل من مكانه. كان بإمكانه التقاط أدنى تغيُّر في حالتي المزاجيَّة، وهو أمر يحدث في حوالي ثمانين بالمئة من الوقت.

قُدنا السيارة لمدة عشرين دقيقة أخرى على الأقل، تاركين المناطِق التجارية دخولًا إلى الأحياء السكنيَّة. في البداية، بدت البنايات متواضِعة ومُربَّعة الشكل، لكن تدريجيًا، رغم أن قطع الأراضي لم تبدُ أكبر بكثير، بدأت المنازل تكبر وكأنها قد تعاطَت المُنشِّطات. كانت وجهتنا النهائيَّة عبارة عن منزلٍ ضخمٍ محشورٍ في قطعة أرض صغيرة، تُحيطه رقعة أرض صغيرة، وبدا سخيفًا حتى في جنح الظلام.

تمنَّيتُ بالتأكيد لو كانت الرحلة أطول والتأخير أكثر.

أوقفنا السيارة في الشارِع أمام القصر، كما بدا لي. فتح لي بيل الباب، ووقفتُ للحظةٍ مترددة في بدء المُهِمَّة. عرفتُ أن هناك مصَّاصي دماء بالداخل، الكثير منهُم. عرفتُ ذلك بنفس الطريقة التي يمكنني بها معرِفة أن البشر ينتظرون. ولكن بدلًا من تدفُّق الأفكار الإيجابيَّة، التي أشعُر بها للإشارة إلى وجود بشر، حصلتُ على صورٍ ذهنيَّة لـ.. كيف يمكنني وصفها؟ كانت هناك ثقوب في الهواء داخل المنزل، يُمثِّل كل ثقب منها مصَّاص دماء. سرتُ بضعة أقدام على الرصيف القصير إلى الباب الأمامي، وهناك، أخيرًا، شعرتُ بوجود إنسان.

كان النور فوق الباب مُضاءً، لذا استطعتُ رؤية أن المنزل بُني من الطوب الفاتِح مع زخارِف بيضاء. وكان الضوء، أيضًا، من أجلي؛ إذا يمكن لأي مصّاص دماء الرؤية بشكلٍ أفضل بكثيرٍ من أكثر البشر حدّةً في البصر. قادَتنا إيزابيل إلى الباب الأمامي، الذي أحيط بأقواسٍ مُتدرّجةٍ من الطوب. رأيتُ إكليلًا أنيقًا من أغصان الكرمة والزهور المُجفّفة على الباب، مما كاد يُخفي عين الباب تقريبًا. كان هذا جزءًا من اندماجهم الذكي مع المجتمع. أدركتُ أنه لم يكن هناك أي شيء واضح في مظهر هذا المنزل يُشير إلى أنه يختلِف عن أيٍّ من المنازل الكبيرة الأخرى التي مررنا بها، ولا يوجد أي دليل خارجي يُشير إلى أن مصّاصي الدماء يعيشون بداخله.

لكنهم كانوا هناك، وبأعداد كبيرة. وعندما تبعتُ إيزابيل إلى الداخل، أحصيتُ أربعة في الغرفة الرئيسيّة التي كشف عنها الباب الأمامي، ناهيك عن اثنين في الصالة، وستّة على الأقل في المطبخ الواسِع، الذي بدا مُصمّمًا لإعداد وجبات الطعام لعشرين شخصًا في وقتٍ واحد. عرفتُ على الفور أن المنزل قد اشتُرِيَ، ولم يبنِه مصّاص دماء، لأن مصّاصي الدماء عادةً ما يُخطّطون لمطابِخ صغيرة للغاية، أو يلغون المطبخ تمامًا. فكل ما يحتاجونه هو ثلاجة لحفظ الدم الاصطناعي وميكروويف لتسخينه. فماذا سيطهون على أي حال؟

عندَ الحوض، وقف إنسان طويل ونحيف يغسِل

بعض الأطباق، لذا ربما يعيش بعض البشر هنا. التفت لي نِصف التفاتة في أثناء مرورنا وأومأ لي برأسه. ارتدى نظّارات، بينما رُفِعَ كُمًّا قميصه. لم تسنح لي الفرصة للتحدُّث معه، لأن إيزابيل كانت تقودنا إلى ما يبدو أنه غرفة الطعام.

شعر بيل بالتوتُّر. ربما لم أكن قادِرة على قراءة أفكاره، لكنني عرفته جيدًا بما يكفي لتفسير توتُّر كتفيه. لا يشعر أي مصّاص دماء بالراحة عند دخول منطقة مصّاص دماء آخر. يمتلك مصّاصو الدماء العديد من القواعِد والقوانين مثل أي مجتمع آخر؛ لكنهم يحاولون إبقاءها سريَّة. ولكنني كنت أكتشِف بعض الأمور.

ومن بين كل مصّاصي الدماء في المنزل، رصدتُ القائِد بسرعة. كان أحد الجالسين على الطاولة الطويلة في غرفة الطعام الكبيرة. بدا لي في البداية وكأنه مهووس تمامًا، وكان هذا انطباعي الأول. ثم أدركتُ أنه يتخفَّى في هيئة المهووس؛ لكنه ليس كذلك أبدًا. صُفِّف شعره الأشقر إلى الخلف، وكانت بنيته الجسديَّة نحيلة وغير مُلفِتة للنظر، ونظارته ذات الإطار الأسود لم تكن سوى تمويه، بينما دسَّ قميصه القماشي المخطَّط من قماش أكسفورد في بنطالٍ من مزيجٍ من القطن والبوليستر. كان شاحبًا – حسنًا، هذا بديهي – ووجهه مليء بالنمش، كما بدت رموشه خفيفة للغاية، وحاجباه بالكاد ملحوظين.

قال المهووس: "بيل كومبتون".

أجابه بيل: "ستان ديفيس".

قال المهووس بلكنةٍ أجنبيَّة خفيفة: "نعم، مرحبًا بك في المدينة". فكَّرتُ في أن اسمه ستانيسلاوس دافيدوفيتز، ثم سرعان ما نحَّيتُ هذه الفكرة جانبًا. لو اكتشف أي منهم أنني ألتقط بين الفينة والأخرى فكرة عابِرة من عقولهم الصامتة، لمصُّوا دمائي عن آخرها قبل أن أفهم ما يحدث.

حتى بيل لم يعرف ذلك.

كتمتُ خوفي في أعماق عقلي، بينما ثُبِتت العيون الشاحِبة عليَّ وتفحَّصَت ملامحي بدقَّة.

قال لبيل: "إنها تبدو مُرضيَة ككل". وافترضتُ أن هذا كان نوعًا من المُجاملة، أو الإطراء لبيل.

أومأ بيل برأسه تقديرًا.

لم يُضِع مصَّاصو الدماء الوقت في قول الكثير من الأشياء التي قد يقولها البشر في ظروفٍ مُماثِلة. أي مسؤول بشري كان سيسأل بيل عن حال إريك، رئيسه، وسيُهدِّده قليلًا في حال لم أؤدِ المطلوب بشكلٍ جيد؛ وربما كان سيُقدِّمنا، أنا وبيل، إلى الأشخاص الأكثر أهميَّة في الغرفة على الأقل. لكن ليس ستان ديفيس، قائِد مصَّاصي الدماء. رفع يده، فغادَر مصَّاص دماء شاب من أصلٍ أسباني، ذو شعر أسود خشِن، الغرفة وعاد بفتاةٍ بشريَّة. عندما

رأتني، صرخت واندفعت محاولة الإفلات من قبضة مصّاص الدماء الذي يُمسِك بذراعها.

صرخت قائلة: "ساعديني! عليكِ مُساعدتي!".

عرفتُ على الفور أنها كانت غبيّة. ففي النهاية، ماذا يمكنني فعله ضد غرفة مليئة بمصّاصي الدماء؟ كان طلبها سخيفًا. قلت لنفسي ذلك عدّة مرّات، وبسُرعةٍ كبيرة، حتى أتمكن من القيام بما يجب عليّ فعله.

نظرتُ في عينيها، ورفعتُ إصبعي لآمرها بالصمت. وما إن نظرَت إليّ، وركّزَت عليّ، حتى أطاعتني. ربما لا أملك عيني مصّاص الدماء الساحرتين، لكنني لا أبدو مُهدّدة على الإطلاق. بل أبدو تمامًا كأي فتاة تراها في وظيفةٍ مُنخفِضة الأجر في أي بلدة في الجنوب؛ شقراء، ومُمتلِئة، وسمراء، وشابّة. وربما لا أبدو ذكيّة للغاية. ولكنني أعتقد أن الأمر أكثر من ذلك، إذ إن الناس (ومصّاصي الدماء) يفترِضون أنكِ إن كنت جميلة وشقراء وتعملين في وظيفةٍ مُنخفضة الأجر، فأنتِ لستِ سوى غبيّة.

التفتُّ إلى ستان ديفيس، وأنا مُمتنةٌ للغاية لأن بيل كان خلفي مُباشرة، وقلت: "أنت تفهَم أنني بحاجةٍ إلى مزيدٍ من الخصوصيّة عندما أستجوِب هذه الفتاة يا سيّد ديفيس، وأحتاج أيضًا إلى معرِفة ما تريده منها".

بدأت الفتاة تنتحِب. كان بُكاؤها بطيئًا وموجعًا

للقلب، ومُزعجًا بشكلٍ لا يُصدَّق في ظلِّ هذه الظروف.

ثبّت ديفيس عينيه الشاحِبتين على عينيّ. لم يكن يحاول فتنتي، أو إخضاعي؛ بل كان فقط يتفحّصني، قبل أن يقول: "لقد فَهِمتُ أن مُرافقكِ يعرف شروط اتفاقي مع قائِده".

حسنًا، لقد فَهِمتُ المغزى. إنه يحتقرني لأنني بشرية. وبدا حديثي معه مثل حديث الدجاجة مع زبون مطعم كِنتاكي. لكن مع ذلك، توجّب عليّ معرِفة هدفنا، لذا قلت: "أدرِك أنك قد استوفيتَ شروط المنطقة الخامسة". حافظتُ على ثبات صوتي قدر المُستطاع، وأنا أُضيف: "وسأبذُل قصارى جهدي. ولكن لا يمكنني البدء بدون هدف".

قال، بعد لحظة من الصمت: "نحن بحاجةٍ إلى معرِفة مكان شقيقنا".

حاولتُ ألا أبدو مُندهِشة بقدر ما شعرت.

كما قلت. يعيش بعض مصّاصي الدماء، مثل بيل، بمُفردهم. أما البعض الآخر، فيشعرون بمزيدٍ من الأمانِ عندما يعيشون في مجموعةٍ تُسمى العُزن. ويُنادون بعضهم البعض بالأخ والأخت عندما يكونون في نفس العُزن لفترةٍ من الوقت، وبعض الأعران تدوم لعقود (استمرَّ أحدها في نيو أورليانز لمدة قرنين من الزمان) وعرفتُ من إحاطة بيل قبل مغادرتنا لويزيانا؛ أن مصّاصي دماء دالاس يعيشون

في غُرْنٍ كبيرٍ بشكلٍ خاص.

لم أحتَج لكثيرٍ من الذكاء لأدرِك أن غياب أحد إخوة الغُرْن لمصّاص دماء قويٍّ مثل ستان، ليس أمرًا غير عاديٍّ فحسب، بل مُهينًا أيضًا. ولا يحب مصّاصو الدماء أن يُهانوا، تمامًا مثل البشر.

قلتُ بصوتٍ خالٍ من أي مشاعِر: "اشرَح لي الظروف من فضلك".

قال ستان ديفيس: "لم يعد أخي فاريل إلى غُرْنه منذ خمس ليال".

عرفتُ أنهم بالتأكيد قد تحقَّقوا من مناطِق صيد فاريل المُفضَّلة، وسألوا كل مصّاصي الدماء الآخرين في غُرْن دالاس لمعرفة ما إن كان قد شوهِد. ومع ذلك، فتحتُ فمي لأسأل، كعادة البشر. لكن بيل لمس كتفي، نظرتُ خلفي لأرى هزَّة رأس صغيرة. ستُعتبَر أسئلتي إهانة خطيرة.

بدلًا من ذلك، سألته: "وما شأن هذه الفتاة؟". كانت لا تزال صامِتة، لكنها ارتجفت بشدَّة. وبدا أن مصّاص الدماء ذا الأصل الإسباني هو الشيء الوحيد الذي يمنعها من الانهيار.

أجابني: "تعمل في النادي الذي شوهِد فيه آخر مرة. إنه ملهى نملكه؛ يُدعى "بات وِنج"". بالطبع كانت الحانات هي المشاريع المُفضَّلة لمصّاصي الدماء، لأن أكثر زبائنها يأتون في آناء الليل. وبطريقةٍ ما، لم تتمتَّع محلّات التنظيف الجاف التي

يديرها مصّاصو الدماء، والتي تعمل طوال الليل بنفس الجاذبيّة التي تتمتّع بها حانة مليئة بمصّاصي الدماء.

وعلى مدار العامين الماضيين، أصبحت حانات مصّاصي الدماء أكثر أماكن السهر رواجًا التي يمكن لأي مدينة أن تفتخِر بها. إذ تسكّع البشر المُثيرون للشفقة المهووسون بمصّاصي الدماء - مُحبّي الأنياب -في حاناتهم، وغالبًا ما يرتدون أزياء تنكُّرية، على أمل جذب انتباه مصّاصي الدماء الحقيقيين. كما جاء السيّاح لمشاهدة مصّاصي الدماء ومُحبّي الأنياب. لذا لم تكن هذه الحانات الأماكن الأكثر أمانًا للعمل فيها. لفت نظري مصّاص الدماء ذو الأصل الإسباني وأشار إلى كُرسيّ بجانبي على الطاولة الطويلة. ساعَد الفتاة على الجلوس عليه. نظرتُ إليها، مُستعِدّةً للغوص في بحر أفكارها. لم يكن لحصون عقلها أي أسوار على الإطلاق. أغمضتُ عيني.

اسمها بيثاني، في الحادِية والعشرين من عمرها، وتظُن أنها طفلة مُتمرّدة، وفتاة شقيّة حقيقيّة. لكنها لم تكن تعلم حجم المشاكل التي قد تورُّط نفسها فيها، حتى هذه اللحظة. لقد مثّل حصولها على وظيفة في حانة "بات وِنج" أكبر تصرُّف مُتمرّد في حياتها، وقد ينتهي الأمر بأن يكون قاتِلًا.

أدرتُ عينيّ مُجدّدًا إلى ستان ديفيس، وقلت بمُجازفةٍ شديدة: "أنت تفهَم، أنها إن أمدّتنا

بالمعلومات التي تريدها، فإنك ستُطلق سراحها، دون أن تُصاب بأذى". لقد قال إنه يفهم الشروط، لكنني كنت بحاجةٍ إلى التأكُّد.

تنهَّد بيل من خلفي. لم يكن سعيدًا. في الواقع، لمعَت عينا ستان ديفيس للحظة، من شدَّة الغضب. برزَت أنيابه وهو يقول ببطء: "نعم، لقد وافقت". نظرنا في أعيُن بعضنا البعض للحظة. وعرف كلانا أنه حتى قبل عامين فقط، كان يمكن لمصَّاصي دماء دالاس اختطاف بيثاني وتعذيبها لاستخراج كل المعلومات في دماغها، حتى تلك التي اختلقتها.

لقد كان للاندماج في المجتمع والإعلان عن حقيقة وجودهم العديد من الفوائِد – لكنه جاء أيضًا بثمن. في هذه الحالة، الثمن هو خدماتي.

"كيف يبدو فاريل؟".

أجابني ستان بجديَّةٍ تامَّة: "يبدو كرُعاة البقر، ويرتدي رباط عُنق رفيع، وبنطال جينز، وقميصًا بأزرار من اللؤلؤ المُزيَّف".

يبدو أن مصَّاصي دماء دالاس لا يميلون لارتداء الأزياء الراقية. ربما توجَّب عليَّ ارتداء زي النادلة بعد كل شيء. سألته: "ما لون شعره وعينيه؟".

قال: "شعر بُني أشيَب، عينان بُنِّيَّتان، وفكٌ عريض. يبلُغ طوله (١٨٠) سم، وسيبدو لكِ في الثامنة والثلاثين من عمره. كما أنه حليق الذقن ونحيف".

قلت: "هل تريدني أن آخُذ بيثاني إلى مكانٍ آخر؟ هل لديكم غرفة أصغر حجمًا وأقل ازدحامًا؟". حاولتُ أن أبدو مُتعاوِنة؛ لأن ذلك بدا وكأنه فكرة جيدة.

لوَّح ستان بيده، بسرعة كبيرةٍ بحيث لم أتمكن من مُلاحظتها، وفي غضون ثانية – حرفيًا – غادَر كل من في المطبخ باستثناء ستان وبيل فحسب.

ودون أن أنظر، عرفتُ أن بيل يقِف مُستندًا إلى الجدار، مُستعِدًا لأي شيء. أخذتُ نفسًا عميقًا، إذا حان الوقت لبدء هذه المُهِمَّة.

قلتُ بصوتٍ لطيف: "كيف حالكِ يا بيثاني؟".

سألتني وهي جالِسة في مقعدها: "كيف عرفتِ اسمي؟". كان كُرسيًا صغيرًا مزوَّدًا بعجلات، دفعته بعيدًا عن الطاولة، وأدرته ليواجِه مقعدي. بينما ظلَّ ستان جالسًا على رأس الطاولة، خلفي، قليلًا إلى اليسار.

قلت، محاولةً التظاهُر بالدفء والمعرفة: "يمكنني معرفة الكثير من الأشياء عنكِ". وبدأت في قطف الأفكار من الهواء، كالتفاح من شجرةٍ مُثمِرة: "كان لديكِ كلب يُدعى (ووف) في صِغرك، ووالدتكِ تصنع ألذ كعكة جوز هند في العالم. خسِر والِدكِ الكثير من المال في لعبة ورق ذات يوم، وتوجَّب عليكِ رهن جهاز الفيديو الخاص بكِ لمساعدته في سداد الدين، كيلا تكتشِف والدتكِ الأمر".

فغرَت فاها، ونسيَت، بقدر ما كان ذلك ممكنا، أنها في خطرٍ رهيب، قالت: "هذا مُذهِل! أنت جيدة مثل تلك الوسيطة الروحيّة التي تظهر في التلفاز، تلك التي تظهر في الإعلانات!".

قلث بحدّةٍ أكثر من اللازم: "حسنًا يا بيثاني، أنا لستُ وسيطة روحيّة، أنا قارئة أفكار، وما أفعله هو قراءة أفكارك، حتى تلك التي قد لا تعرفين أنها تراودكِ. سأعمل على تهدِئتكِ أولًا، ثم سنتذكّر الأمسيّة التي عملتِ فيها في الحانة – ليس الليلة، ولكن قبل خمس ليالٍ". نظرتُ إلى ستان، فأومأ برأسه.

قالت بيثاني وهي عالقة في مَصابها: "لكنني لم أكن أفكّر في كعكة أمي!".

حاولتُ كبت تنهيدة يأس.

"لم تكوني على درايةٍ بذلك، لكنكِ فعلت. لقد مرّت الفكرة في ذهنكِ عندما رأيتِ مصّاصة الدماء الشاحِبة، إيزابيل، لأن وجهها كان أبيض مثل زينة الكعكة. وفكّرتِ في مدى افتقادكِ لكلبكِ عندما فكّرتِ في مدى افتقاد والديكِ لك".

أدركتُ أنني ارتكبتُ خطأ بمجرد خروج الكلمات من فمي، وبالطبع، بدأتْ تبكي مُجدّدًا، عندما تذكّرتْ ظروفها الحالية.

سألتني بين دموعها: "إذن، لماذا أنتِ هنا؟".

"أنا هنا لمُساعدتكِ على التذكُّر".

"لكنكِ قلت إنكِ لستِ وسيطة روحيَّة".

أجبتها: "وأنا لستُ كذلك". أم تُراني كذلك؟ في بعض الأحيان، أعتقد أن لديَّ جانبًا مُشتركًا مع الوسطاء الروحانيين بجانب "موهبتي" الأخرى، التي يعتبِرها مصّاصو الدماء هبة. أما أنا، فلطالما اعتبرتها لعنة، حتى التقيتُ ببيل. تابعتُ حديثي قائلة: "يستطيع الوسطاء الروحانيون لمس الأشياء والحصول على معلومات عن مُرتديها. كما يرى بعضهم رؤى لأحداث من الماضي أو المُستقبل، ويمكن لبعضهم التواصل مع الموتى. أنا قارئة أفكار، وهذا ما أفعله. ويُفترَض بي أن أتمكن من إرسال الأفكار كذلك، لكنني لم أجرِّب ذلك قط".

الآن، بعد مقابلتي لقارئ أفكار آخر، مثَّلت المحاولة احتمالًا مُثيرًا، لكنني نحَّيتُ هذه الفكرة جانبًا لاستكشافها في وقتٍ لاحق. إذ تحتَّم عليَّ التركيز على المُهِمَّة الحالية.

وبينما جلستُ وجهًا لوجهٍ مع بيثاني، اتخذتُ سلسلة من القرارات. كنت حديثة العهد بفكرة استخدام "قدراتي" لغرضٍ مُعيَّن. إذ قضيتُ معظم حياتي وأنا أكافِح كيلا أسمع. أما الآن، فقد أصبح استراق السمع وظيفتي، وربما اعتمدَت حياة بيثاني على ذلك، وكذلك حياتي بالتأكيد.

"اسمعيني يا بيثاني، إليكِ ما سنفعله. ستتذكَّرين

تلك الأمسية، وسأراجعها معكِ.. في عقلك".

"هل سيؤلمني ذلك؟".

"لا، أبدًا".

"وبعد ذلك؟".

"سترحلين".

"إلى المنزل؟".

قلت: "بالتأكيد". بذاكرةٍ مُعدَّلةٍ لن تشملني، أو هذه الأمسيّة، بفضل مصّاصي الدماء.



"لن يقتلوني؟".

"مستحيل".

"وعد؟".

ابتسمتُ لها وأنا أجيبها: "وعد".

قالت بتردُّد: "حسنًا". حرَّكتها قليلًا كيلا ترى ستان من فوق كتفي. لم يكن لديَّ أي فكرة عمَّا كان يفعل. لكنها لم تكن بحاجةٍ لرؤية ذلك الوجه الشاحِب في أثناء محاولتي لحثِّها على الاسترخاء.

قالت فجأة: "أنتِ جميلة".

قلت: "شكرًا لكِ، وأنتِ أيضًا". على الأقل، قد تكون جميلة في ظروفٍ أفضل. إذ امتلكت فمًا صغيرًا للغاية بالنسبة لوجهها، وهي سمة قد يجدها بعض الرجال جذَّابة، إذ بدت وكأنها مُستعِدَّة دائمًا

لتقبيلهم. كما امتلكت شعرًا بُنيًا كثيفًا ومُجعّدًا، وجسدًا نحيلًا مع ثديين صغيرين. شعرَت بيثاني بالقلق بشأن ملابسها المُجعّدة وزينتها الباهِتة بعد أن نظرَت إليها امرأة أخرى.

قلت بهدوء: "تبدين على ما يرام". وأمسكتُ بيدها، وتابعت: "والآن، ستمسِك بأيدي بعضنا البعض هنا لدقيقةٍ، وأقسِم لكِ أنني لن أحاوِل مغازلتكِ". ضَحِكَت، واسترخَت أصابعها قليلًا. ثم بدأتُ خطّتي المُحكمة.

كان هذا جديدًا بالنسبة لي. فبدلًا من محاولة تجنُّب استخدام هِبتي على قراءة الأفكار، حاولت تطويرها بتشجيعٍ من بيل. ومثَّل الطاقِم البشري في حانة فانجتازيا فئران التجارُب. واكتشفت، بالصُدفة البحتة، أنني أستطيع تنويم البشر في لمح البصر. ليس وكأنني أضعهم تحت تأثير فتنتي أو شيء من هذا القبيل، لكن ذلك سمح لي بالدخول إلى عقولهم بسهولةٍ مُخيفة. عندما تستطيع معرفة ما الذي يجعل الشخص يسترخي حقًا، من خلال قراءة أفكاره، يصبح من السهل جدًا جعله يدخُل في حالةٍ تُشبِه الثمالة.

سألتها: "ما أكثر شيء تستمتعين به يا بيثاني؟ هل تحصلين على تدليكٍ من وقتٍ لآخر؟ أو ربما تُحبِّين تقليم أظافركِ؟". بحثتُ في ثنايا عقل بيثاني برفق، حتى اخترتُ أفضل وسيلة لتحقيق هدفي.

قلتُ، مُحافظةً على صوتي ناعمًا ومُعتدلًا: "أنتِ الآن تُصفِّفين شعركِ، عند جيري، مُصفِّف شعركِ المُفضَّل. لقد مشَّطه وصفَّفه، ولم يترُك أي تشابُك. ثم فرقه بعنايةٍ فائِقة، لأن شعركِ كثيفٌ جدًا. سيستغرِق وقتًا طويلًا لقصّه، لكنه يتطلَّع إلى ذلك، لأنه صحي ولامِع. يرفع جيري خُصلة من شعركِ ويقصّها، يُصدِر المقص صوتًا خافتًا، ويسقط بعض الشعر على الغطاء البلاستيكي وينزلق أرضًا. تشعُرين بأصابعه في شعركِ مرة أخرى، مرارًا وتكرارًا، تتحرَّك، ترفع خُصلة وتقُصّها. وأحيانًا يُمشِّطه مرة أخرى، ليرى إن كان قد تساوى. تشعُرين براحةٍ كبيرة، لمُجرَّد الجلوس والسماح لشخصٍ بالاعتناء بشعرك. لا يوجد أحد آخر..". لحظة، لقد أثرتُ بعض القلق، لذا قلت: "هناك عدد قليل من الأشخاص في الصالون، لكنهم مشغولون مثل جيري. هناك من يستخدم مُجفِّف الشعر، حتى إنك بالكاد تسمعين أصواتًا تتحدَّث في المقعد المُجاور. أصابعه تمُر في شعركِ، ترفع خُصلة، تقُصها، تُصفِّفها، تُمشِّطها، مرارًا وتكرارًا".

لم أكن أعرف ما قد يقوله مُنوِّم مغناطيسي مُحترِف عن تقنيَتي، لكنها نَجَحَت معي هذه المرة على الأقل. إذ كان دماغ بيثاني في حالةٍ من الاسترخاء والسكون، في انتظار أن أُكلِّفها بمُهِمَّةٍ ما. وبنفس الصوت المُعتدِل قلت: "وبينما يعمل جيري على شعركِ، سنستعرِض معًا تلك الليلة التي عملتِ

فيها في الحانة. لن يتوقَّف عن قصّ شعرك، حسنًا؟ ابدئي بتذكُّر استعداداتكِ للذهاب إلى الحانة، لا تُبالي بي، أنا مُجرَّد نفحة هواء خلف كتفكِ مباشرةً. قد تسمعين صوتي، لكنه يأتي من كُرسي آخر في صالون التجميل. لن تتمكني حتى من سماع ما أقوله؛ إلا إذا استخدمتُ اسمك". كنت أخبر ستان بذلك لأطمئِنه؛ كما كنت أطمئِن بيثاني. ثم غُصتُ أعمق في ذاكِرة الفتاة.

نظرَت بيثاني إلى أرجاء شقَّتها، التي كانت صغيرة للغاية ومُرتَّبة إلى حدٍ ما، وتشاركتها مع زميلة أخرى في حانة (بات وِنج)، تُدعى ديزيريه دوماس. بَدَت ديزيريه، كما رأتها بيثاني، تمامًا مثلما يوحي اسمها المُصطنع؛ امرأة تتظاهَر بأنها فاتِنة، مُمتلِئة بعض الشيء، وشقراء أكثر من اللازم، ومُقتنِعة تمامًا بجاذبيَتها.

بدَا اصطحاب النادلة في هذه التجرُبة أشبه بمشاهدة فيلم مُمِل للغاية. كانت ذاكِرة بيثاني قويَّة للغاية. وبغضِّ النظر عن الأجزاء المُمِلَّة، مثل جِدالها مع ديزيريه حول مزايا علامتين تُجاريَتين من الماسكارا، وما تذكَّرته بيثاني هو التالي؛ لقد استعدَّت للعمل كما تفعَل دائمًا، وذهبَت هي وديزيريه معًا إلى عملهما. تعمل ديزيريه في قِسم الهدايا التذكاريَّة في حانة (بات وِنج). مُرتديَّة صدرية حمراء وحذاءً أسود، وباعَت الهدايا التذكاريَّة لمصَّاصي الدماء مقابل مبالِغ كبيرة.

وكانت ترتدي أنيابًا صِناعيّة وتقف لالتقاط الصور مع السيّاح للحصول على إكراميّة جيدة. أما بيثاني النحيفة والخجولة، فكانت نادِلة متواضِعة؛ وتنتظِر منذ عام العثور على وظيفةٍ في قِسم الهدايا التذكاريّة الأكثر مُلاءمة، حيث لن تحصل على إكراميات كبيرة، ولكن راتبها الأساسي سيكون أعلى، وستتمكن من الجلوس عندما لا تكون مشغولة. لكنها لم تصِل إلى ذلك بعد. وكان لديها شعور كبير بالاستياء تجاه ديزيريه؛ ولا أهميّة لذلك، لكنني وجدتُ نفسي أخبر ستان عن الأمر وكأنها معلومة حاسِمة.

لم يسبِق لي التعمُّق إلى هذا الحد في عقل شخص آخر. وحاولتُ التخلُّص من التفاصيل غير الضروريّة في أثناء تقدُّمي، لكن ذلك لم يُجدِ نفعًا. وأخيرًا، تركتُ كل شيء يتدفَّق. استرخَت بيثاني تمامًا، وهي لا تزال تحصل على قصَّة الشعر تلك. تمتَّعت بذاكرةٍ بصريةٍ مُمتازة، وتفاعلَت بعُمقٍ مع الليلة التي قضتها في العمل، مثلي تمامًا.

في ذهنها، قدَّمَت بيثاني الدم الاصطناعي لأربعة مصَّاصي دماء فقط؛ أنثى صهباء، وأخرى قصيرة مُمتلِئة من أصلٍ إسباني بعيون سوداء كالفحم، ومُراهِق أشقر ذي وشوم قديمة، ورجُل ذي شعرٍ بُني بفكٍ بارزٍ وربطة عُنق بولو. هناك كان فاريل جُزءًا لا يتجزَّأ من ذاكِرة بيثاني. وتوجَّب عليَّ كبح دهشتي واعترافي بذلك، ومحاولة توجيه بيثاني بمزيدٍ من

الشُلطة. همست: "هذا هو يا بيثاني، ماذا تتذكّرين عنه؟".

قالت بيثاني بصوتٍ عالٍ: "هو؟". فأذهلَتني حتى إنني كدتُ أقفِز من مكاني. التفتَت في ذهنها لتنظُر إلى فاريل وهي تُفكّر فيه. لقد طلَب زُجاجتين من الدماء الاصطناعية، من فصيلة "و- موجب"، وترك لها إكراميّة.

قطّبَت حاجبيها وهي تُركّز على طلبي. حاولَت جاهِدة الآن البحث في ثنايا ذاكرتها. بدأت أجزاء من الأمسيَة تتجمَّع، حتى تتمكن من الوصول إلى الجزء الذي يحتوي على ذكرى مصّاص الدماء ذي الشعر البُني، وقالت: "لقد ذهب إلى الحمّام مع الشاب الأشقر". ورأيتُ في ذهنها صورة مصّاص الدماء الأشقر ذي الوشوم، الذي بدا صغيرًا جدًا في العمر. لو كنت فنّانة، لرسمته. همستُ لستان: "مصّاص دماء شاب، ربما في السادسة عشر، أشقر، وذو وشوم". وبدا مُتفاجِئًا. بالكاد انتبهتُ لذلك، لأن تركيزي كان مُشتّتًا – كان الأمر أشبه بمحاولة التلاعُب بالعديد من الأشياء في وقتٍ واحد – ولكنني لاحظتُ أن الذهول هو الشعور الذي ظهر على وجه ستان، وكان ذلك مُحيِّرًا.

سألتُ بيثاني: "هل أنتِ متأكدة أنه كان مصّاص دماء؟".

قالت بشكلٍ قاطِع: "لقد شَرِب الدماء، وتمتَّع ببشرةٍ

شاحِبة، وأثار خوفي. لذا نعم، أنا متأكدة".

وكان قد ذهَب إلى الحمّام مع فاريل. شعرتُ بالانزعاج، فالسبب الوحيد الذي يجعل مصّاص دماء يدخُل الحمّام هو وجود بشري بداخله يريد مُمارسة الجنس معه، أو شرب دمائه، أو (ما يُفضّله معظم مصّاصي الدماء) القيام بالأمرين معًا في آنٍ واحد.

غُصتُ مرة أخرى في ذكريات بيثاني، وشاهدتها وهي تخدِم بعض الزبائن الآخرين، الذين لم أتعرَّف على أحد منهُم، رغم أنني حاولتُ إلقاء نظرة جيدة على بقيّة الزبائن. بدا معظمهم وكأنهم سُيّاح غير مؤذين. بدا أحدهم، وهو رجُل ذو بشرة داكنة وشارِب كثيف، مألوفًا لي. فحاولتُ مُلاحظة رفاقه؛ رجُل طويل ونحيل بشعرٍ أشقر يصِل إلى كتفيه، وامرأة قصيرة ذات قصّة شعر سيّئة للغاية.

كان لديَّ بعض الأسئلة لأطرحها على ستان، لكنني أردتُ إنهاء حديثي مع بيثاني أولًا، سألتها: "هل خرج مصّاص الدماء الذي يشبه رُعاة البقر مرة أخرى يا بيثاني؟".

قالت بعد لحظة: "لا، لم أره مرة أخرى". تفحّصتُ ذاكرتها بعنايةٍ بحثًا عن أي فراغات؛ لم أكن أستطع استبدال ما مُحِيَ، لكنني قد أعرف إن كان قد عُبِثَ في ذاكِرتها. لكنني لم أجِد شيئًا. واستطعتُ معرِفة أنها تحاول التذكُّر. وشعرتُ بجهدها في محاولة تذكُّر أي لمحة عن فاريل. أدركتُ، من إحساسي

بجهدها، أنني فقدتُ السيطرة على أفكار وذكريات بيثاني. سألت: "ماذا عن الشاب الأشقر؟ ذي الوشوم؟".

تدبَّرَت بيثاني في الأمر، وقد أفاقَت قليلًا من غيبوبتها، ثم قالت: "لم أرَه أيضًا". ثم انساب اسم عبر رأسها.

سألتها بصوتٍ هادئ للغاية: "من هذا؟".

قالت: "لا شيء! لا شيء!". فتحت عينا بيثاني على اتساعهما الآن. كانت قصّة شعرها قد انتهَت؛ وفقدتُ السيطرة عليها. كانت سيطرتي بعيدة كل البعد عن الكمال.

لقد أرادت حماية شخص ما؛ أرادت ألا يمر بما كانت تمُر به. لكنها لم تستطِع منع نفسها من التفكير في الاسم، والتقطته أنا. لم أستطع تمامًا فهم سببِ اعتقادها أن هذا الرجُل سيعرف شيئًا آخر، لكنها اعتقدَت ذلك. عرفتُ أنه لن يكون هناك أي فائِدة تُرجى من إخبارها بأنني قد اكتشفتُ سرَّها، لذا ابتسمتُ لها، وقلت لستان دون أن ألتفِت إليه: "يمكنها الذهاب، لقد حصلتُ على كل شيء".

لاحظتُ تعبير الارتياح الذي ارتسم على وجه بيثاني قبل الالتِفات إلى ستان. وتأكَّدتُ من أنه قد أدرَك أن لديَّ شيئًا ما في جُعبَتي، ولم أكن أريده أن يقول شيئًا. من يستطيع معرِفة ما يدور في ذهن مصّاص الدماء عندما يكون حذرًا؟ وتولَّد لديَّ شعور

واضح بأنه قد فَهِمني.

لم يتحدّث بصوتٍ عالٍ، لكن مصّاصة دماء أخرى دخلت، فتاة كانت في عمر بيثاني تقريبًا عندما تحوّلت. لقد أحسَن ستان الاختيار. انحنَت الفتاة نحو بيثاني، وأمسَكَت يدها، وابتسمَت دون أن تكشِف عن أنيابها، وقالت: "سنأخُذكِ إلى المنزل الآن، حسنًا؟".

ظهرَت علامات الارتياح جليَّة على وجه بيثاني، وهي تقول: "عظيم!". ثم سألت بمزيدٍ من الشك: "هل ستأخذونني حقًّا إلى منزلي؟ لقد..".

لكن مصّاصة الدماء نظرَت مباشرةً في عيني بيثاني، وقالت: "لن تتذكَّري شيئًا عن هذا اليوم أو هذه الأمسيَة باستثناء الحفل".

قالت بيثاني بصوتٍ بطيء وفضول ضعيف: "الحفل؟".

قالت مصّاصة الدماء وهي تقود بيثاني من الغرفة: "لقد ذهبتِ إلى حفلٍ رائع، وقابلتِ شابًا لطيفًا هناك، وقضيتِ الليلة معه". استمرَّت في الهمس لبيثاني في أثناء خروجهما، وتمنَّيتُ أنها كانت تمنحها ذكرى جميلة.

سألني ستان، عندما أغلق الباب خلفهما: "ما الأمر؟".

أجبته: "تعتقد بيثاني أن حارِس النادي سيعرف

المزيد، لقد رأته يدخُل إلى الحمّام خلف صديقك فاريل ومصّاص الدماء الذي لم تعرفه". لكن ما لم أكن أعرفه، ولم أرغب في سؤال ستان عنه بشكلٍ مُباشر، هو ما إن كان مصّاصو الدماء يمارسون الجنس بعضهم مع بعض. ارتبط الجنس والطعام للغاية في نظام حياتهم حتى إنني لم أستطع تخيُّل مصّاص دماء يمارس الجنس مع كائِن غير بشري، أي كائِن لا يستطيع شرب دمائه. هل تبادَل مصّاصو الدماء الدم فيما بينهم في حالات غير الأزمات؟ وعرفتُ أنه إن كانت حياة مصّاص دماء على المَحك (وأعني على المحك حرفيًا) فإن مصّاص دماء آخر سيتبرَّع بالدم لإنقاذ المُتضرِّر، لكنني لم أسمَع قط عن حالات أخرى لتبادُل الدماء. لم أرغب في سؤال ستان عن ذلك. ربما سأناقِش هذا الموضوع مع بيل، عندما نخرُج من هذا المنزل.

قال ستان: "ما رأيتِه في ذهنها هو أن فاريل زار الحانة، وأنه دخل الحمَّام مع مصّاص دماء آخر، شاب أشقر طويل الشعر وكثير الوشوم. ثم دخل الحارِس إلى الحمَّام في أثناء وجودهما هناك".

"صحيح".

سادَت لحظة طويلة من الصمت بينما كان ستان يُقرِّر ما يجب فعله بعد ذلك. انتظرت، سعيدة بعدم سَماع كلِمة واحدة من نقاشه الداخلي. لا لمحات، ولا إشارات.

على الأقل، كانت هذه اللمحات المؤقتة إلى عقول مصّاصي الدماء نادِرة للغاية. ولم أحصُل على أيٍّ منها من بيل؛ لم أعرف حتى أن ذلك ممكنا بعد فترة طويلة من تعرُّفي على عالم مصّاصي الدماء. لذلك ظلّت صُحبته دائمًا مصدر متعة خالِصة لي. لأول مرة في حياتي، استطعتُ الاستمتاع بعلاقةٍ طبيعيّةٍ مع رجُل. بالطبع، لم يكن رجلًا حيًا، لكن لا يمكن للمرء الحصول على كل شيء.

وكأنه شَعَرَ أنني كنت أفكّر فيه، شعرتُ بيد بيل على كتفي. وضعتُ يدي على يده، مُتمنيّة لو أنهَض وأعانِقه عناقًا طويلًا. لكنها لم تكن فكرة جيدة أمام ستان، فقد تُثير جوعه.

قال ستان أخيرًا: "لا نعرف هويّة مصّاص الدماء الذي دخل مع فاريل". وهو ما بدا لي إجابة بسيطة بعد كل هذا التفكير. ربما تخيّل أنه سيُقدّم لي تفسيرًا أطول، لكنه قرّر أنني لستُ ذكيّة بما يكفي لفهم الإجابة. أفضّل أن يُستخف بي على أن يُبالَغ في تقدير في أي يوم. وبالإضافة إلى ذلك، ما الفرق الحقيقي الذي سيُحدِثه هذا؟ لكنني حفظتُ سؤالي في ذهني كجُزءٍ من الحقائِق التي أحتاج إلى معرِفتها.

"إذن، من هو الحارِس في (بات وِنج)؟".

قال ستان: "رجُل يُدعى ريبار". وسمعتُ الاشمئزاز في صوته عندما نطق اسمه، قبل أن يُتابِع: "إنه من

(مُحبّي الأنياب)".

إذن، يعمل ريبار في وظيفة أحلامه. يعمل مع مصّاصي الدماء، وبجوارهم، ويتواجد حولهم كل ليلة. بالنسبة لشخصٍ أصبح مفتونًا بالموتى الأحياء، كان ريبار محظوظًا للغاية.

سألته بدافِع الفضول البحت: "ماذا يمكنه أن يفعه إن قرّر أحد مصّاصي الدماء افتعال المشاكل؟".

"إنه هناك فقط من أجل السكارى من البشر. لقد وجدنا أن مصّاص الدماء الحارِس يميل إلى الإفراط في استخدام قوّته".

لم أرغب في التفكير في ذلك كثيرًا، سألته: "هل ريبار هنا؟".

قال ستان، دون أن يستشير أحدًا من حاشيته: "سيستغرِق الأمر وقتًا قصيرًا". من المؤكّد أنه يتمتّع بنوعٍ من التواصل الذهني معهم. لم أرَ ذلك من قبل، وكنت متأكدةً أن إريك لا يستطيع التواصل ذهنيًا مع بيل. لا بد وأنها موهِبة ستان الخاصّة.

وبينما انتظرنا، جلس بيل على الكرسي بجانبي. مدَّ يده وأمسَك بيدي. شعرتُ بالراحة الشديدة، وأحببتُ بيل لذلك. أبقيتُ ذهني مُسترخيًا، محاولة الحِفاظ على طاقتي للاستجواب القادِم. لكنني بدأتُ أواجِه بعض المخاوِف، مخاوِف جديَّة للغاية، بشأن وضع مصّاصي دماء دالاس. وبدأتُ أشعُر بالقلق بشأن اللمحة التي رأيتها من روّاد الحانة،

وخاصّة الرجُل الذي ظننتُ أنني أعرفه.

قلتُ بحدّة وأنا أتذكّر فجأة أين رأيته: "لا!".

بدا مصّاصو الدماء في حالة تأهُّب قصوى، وسألني بيل: "ما الأمر يا سوكي؟".

بدا ستان وكأنه قُدّ من الجليد. توهّجت عيناه باللون الأخضر، لم أكن أتخيّل ذلك.

تلعثمتُ وأنا في عجلةٍ من أمري لشرح ما كنت أفكّر فيه. قلت لبيل: "الكاهِن، ذلك الرجُل الذي فرّ هاربًا في المطار، والذي حاول اختطافي، كان في الحانة". خدعني اختلاف الملابس والمكان قليلًا عندما كنت غارِقة في ذاكِرة بيثاني، لكنني الآن أصبحتُ متأكدة.

قال بيل ببطء: "فَهمت". يتمتَّع بيل بقدرةٍ شبه تامّة على استرجاع الأحداث، ويمكنني الاعتماد عليه في تذكُّر وجه ذلك الرجُل بكل وضوح.

قلت: "لم أعتقد أنه كان كاهِنًا حقيقيًا حينها، والآن أعرف أنه كان في الحانة في ليلة اختفاء فاريل. كان يرتدي ملابس عادية، لا ياقة الكاهِن البيضاء والقميص الأسود".

سادَت لحظة طويلة من الصمت.

قال ستان بحذر: "لكن هذا الرجُل، الكاهِن المُزيَّف، حتى لو كان في الحانة، ومعه اثنان من البشر، لن يمكنهم اختطاف فاريل، لو لم يُرِد الذهاب".

نظرتُ مباشرةً إلى يدي ولم أنطِق بكلمةٍ واحدة. لم أرغب بأن أكون الشخص الذي يقول ذلك بصوتٍ عالٍ. وبيل، بحكمة، لم يتحدَّث بيل أيضًا. أخيرًا، قال ستان ديفيس، قائِد مصّاصي دماء دالاس: "هناك من دخل الحمّام مع فاريل، كما تذكَّرَت بيثاني. مصّاص دماء لم أعرفه".

أومأتُ برأسي، وأشحتُ بنظري إلى مكانٍ آخر.

"إذن، لا بد أن مصّاص الدماء هذا قد ساعَد في اختطاف فاريل".

سألته، محاولة أن يبدو سؤالي وكأنه قد طرأ في رأسي للتو: "هل فاريل مثلي؟".

"نعم، إنه يُفضِّل الرجال. هل تعتقدين أن..".

هززتُ رأسي بشكلٍ قاطع، لأوضِّح له مدى عدم اعتقادي لذلك، وقلت: "لا أعتقد أي شيء". اعتصر بيل أصابعي، هذا مؤلِم.

ساد الصمت المُربِك حتى عادَت مصّاصة الدماء التي تبدو كأنها مُراهِقة ومعها رجُلٌ بشريٌّ ضخم، رأيته في ذكريات بيثاني. لكنه لم يبدُ كما رأته بيثاني؛ فمن خلال عينيها بدا أكثر قوَّة وأقل بدانة؛ وأكثر جاذبيَّة وأقل إهمالًا. لكنه كان لا يزال قابلًا للتعرُّف عليه كريبار.

اتضح لي على الفور أن هناك خطبًا ما في الرجُل. لقد تَبِعَ مصّاصة الدماء بكل طواعيَّة، وابتسم لكل

من في الغرفة؛ لكن ذلك كان غريبًا، أليس كذلك؟ فسيشعر أي إنسان بالقلق عندما يتورّط في مُشكلةٍ مع مصّاص الدماء، مهما كان ضميره مرتاحًا. نهضتُ وتقدّمتُ نحوه. راقبني وأنا أقترب منه بابتسامةٍ مبتهجة.

قلتُ بلطف: "مرحبًا يا صديقي". وصافحته، تركتُ يده حالما كان من اللائِق فعل ذلك. تراجعتُ خطوَتين إلى الوراء. أردتُ تناول بعض المُسكّن والاستلقاء قليلًا.

قلت لستان: "حسنًا، من المؤكّد أن لديه فجوةً في دماغه".

فحص ستان جُمجمة ريبار بعينٍ مُتشكّكة، ثم قال: "اشرح ذلك".

سأله ريبار: "كيف حالك يا سيّد ستان؟". راهنتُ على أنه لم يسبق لأحد أن تحدّث إلى ستان ديفيس بهذه الطريقة، على الأقل في الخمسمائة عام الماضية أو نحو ذلك.

أجابه ستان بهدوءٍ أثار إعجابي وتقديري: "أنا بخيرٍ يا ريبار، كيف حالك أنت؟".

قال ريبار وهو يهز رأسه بتعجُب: "أتعلم، أشعُر أنني بخير، وأنني أكثر الأوغاد حظًا على وجه البسيطة.. سامحيني على فظاظتي يا سيّدتي".

اضطررتُ إلى إجبار نفسي على التحدُث: "لا بأس".

سألني بيل: "ماذا فعلوا به يا سوكي؟".

قلت: "لديه فجوة في دماغه. لا أعرف كيف أشرَح ذلك بطريقةٍ أخرى بالضبط. لا يمكنني معرِفة كيف حدث ذلك، لأنني لم أرَ شيئًا كهذا من قبل، ولكن عندما أنظر إلى أفكاره وذكرياته، أجد فجوةً كبيرةً ومُهترِئة. يبدو الأمر وكأن ريبار كان بحاجةٍ لاستئصال ورم صغير، لكن الجرّاح استأصَل طُحاله وربما زائِدته الدوديَّة أيضًا، فقط للتأكّد. أتعلَم عندما تمسحون ذاكِرة شخص ما، تستبدِلونها بذاكرةٍ أخرى؟". لوَّحث بيديَّ لأوضِّح أنني أقصد جميع مصَّاصي الدماء، قبل أن أتابِع حديثي بإلهام: "حسنًا، لقد أخذ شخصٌ ما جُزءًا كبيرًا من دماغ ريبار، ولم يستبدِله بأي شيء آخر. مثل عمليَّة فصل فصوص الدماغ". لقد قرأث كثيرًا. كانت المدرسة صعبة عليَّ بسبب مُشكلتي الصغيرة، لكن القراءة بنفسي منحتني وسيلة للهرب من وضعي. أعتقد أنني ثقَّفتُ نفسي بنفسي.

قال ستان: "إذن، أيًا كان ما عرفه ريبار عن اختفاء فاريل فقد ضاع".

"نعم، بالإضافة إلى بعض مكوِّنات شخصيَّة ريبار والكثير من ذكرياته الأخرى".

"هل لا يزال قادِرًا على العمل؟".

أجبته: "حسنًا، نعم، أعتقد ذلك". لم يسبِق لي مواجهة شيئًا كهذا، ولم أدرِك حتى أن ذلك ممكن،

تابعتُ حديثي محاولة التحلّي بالصدق: "لكنني لا أعرَف مدى كفاءته كحارس بعد الآن".

قال ستان: "لقد أُصيبَ في أثناء عمله معنا، لذا سنعتني به. ربما يمكنه تنظيف الملهى بعد إغلاقه". كان بإمكاني أن أستشِف من صوته أنه أراد التأكّد من تذكّري لهذه النقطة جيدا، أن مصّاصي الدماء يمكنهم التحلّي بالرحمة، أو على الأقل بالعدل.

ابتسم ريبار لرئيسه وقال: "يا إلهي، سيكون ذلك رائِعًا! شكرًا يا سيّد ستان".

قال ستان لتابِعته: "خُذيه إلى المنزل". فغادرت مُباشرة ومعها الرجُل الذي بُتِرَ دِماغه.

تساءَل ستان: "من الذي يمكنه القيام بمثل هذا العمل الفظ عليه؟". لم يجبه بيل، لأنه لم يكن هناك ليُدلي برأيه، بل لحمايتي وإجزاء تحقيقاته الخاصّة عندما يتطلّب الأمر ذلك. دخلت مصّاصة دماء طويلة صهباء، تلك التي ارتادَت الحانة ليلة اختطاف فاريل.

سألتها، دون التفكير في البروتوكول: "ماذا لاحظتِ في تلك الليلة التي اختفى فيها فاريل؟". زمجَرَت في وجهي، وبرزَت أسنانها البيضاء بشكلٍ واضح مع لسانها الداكن وأحمر شفاهها اللامِع.

قال ستان: "تعاوني". وفي الحال، انبسط وجهها، وتلاشَت كل تعابيرها مثلما تتلاشى تجاعيد غطاء السرير عندما تُمرِّر يدك عليه.

قالت أخيرًا: "لا أتذكّر". لذا يبدو أن قدرة بيل على تذكُّر ما رآه بتفاصيله الدقيقة هبة شخصيَّة، تابعَت حديثها: "لا أتذكّر رؤية فاريل أكثر من دقيقة أو دقيقتين".

سألني ستان: "هل يمكنكِ فعل نفس الشيء الذي فعلته بالنادلة مع راشيل؟".

قلت فورًا، بصوتٍ أكثر حدّة مما ينبغي: "لا، لا يمكنني قراءة عقول مصّاصي الدماء على الإطلاق".

قال بيل: "هل يمكنكِ تذكُّر مصّاص دماء أشقر، يبدو وكأنه في السادسة عشرة من عمره، ولديه وشم أزرق قديم على ذراعيه وَجذعه؟".

أجابته راشيل الصهباء على الفور: "نعم، أعتقد أنها وشوم تعود إلى زمن الرومان، على ما أعتقد. بدائية، لكنها مُثيرة للاهتمام. لقد تساءلتُ عنه، لأنني لم أرَه يأتيَ إلى هنا ليطلب إذن الصيد من ستان".

إذن، توجَّب على مصّاصي الدماء الذين يمرُّون عبر أراضي شخصٍ آخر أن يُثبِتوا حضورهم في مركز الزوّار، إن جاز لي التعبير. لقد حفظتُ تلك المعلومة للمُستقبل.

تابعَت مصّاصة الدماء الصهباء حديثها: "لقد جاء مع بشري، أو على الأقل تحدَّث معه قليلًا". ارتدَت بنطال جينز أزرق وسترة خضراء بَدَت لي حارة بشكلٍ لا يُصدَّق. لكن مصّاصي الدماء لا يهتمُّون

بدرجة الحرارة الفعليّة. نظرتُ إلى ستان، ثم إلى بيل، الذي أشار بيده ليُبدي أنه يريد أي ذكريات لديها، قالت: "كان البشري أسود الشعر، ولديه شارِب، إن كنت أتذكّره بشكلٍ صحيح". أشارَت بيدها، بإيماءةٍ مفتوحة الأصابِع بدَت وكأنها تقول: "جميعهُم مُتشابِهون!".

بعد مغادرة راشيل، تساءَل بيل عن وجود حاسوب في المنزل. أجابه ستان بالإيجاب، ونظر إلى بيل بفضولٍ حقيقي عندما سأله عمّا إن كان بإمكانه استخدامه للحظة، مُعتذرًا عن عدم جلب حاسوبه المحمول معه. أومأ ستان برأسه بالموافقة. كان بيل على وشك مغادرة الغرفة، عندمَا تردَّد ونظر إليّ قبل أن يسألني: "هل ستكونين على ما يرام يا سوكي؟".

حاولتُ أن أبدو واثِقة وأنا أجيبه: "بالتأكيد".

قال ستان: "ستكون بخير، هناك المزيد من الأشخاص الذين عليها مقابلتهم".

أومأتُ برأسي، وغادَر بيل. ابتسمتُ لستان، وهو ما أفعله عادةً عندما أشعُر بالتوتُّر. ليست ابتسامة سعيدة، لكنها أفضل من الصراخ.

سألني ستان: "منذ متى وأنتُما معًا؟".

أجبته: "منذ بضعة أشهُر". كلما قلَّ ما يعرفه ستان عنَّا، كلما كنت أكثر سعادة.

"هل أنتِ راضية معه؟".

"نعم".

بدا ستان مُستمتِعًا بسؤالي: "هل تُحبّينه؟".

قلت مُبتسمة: "ليس من شأنك. هل ذكرتَ أن هناك المزيد من الأشخاص الذين عليّ مقابلتهم؟".

اتّبعتُ نفس الإجراء الذي اتّبعته مع بيثاني، إذ أمسكتُ بأيدي مجموعةٍ متنوّعةٍ من الأشخاص، وفحصتُ مجموعة من العقول المُمِلّة. كانت بيثاني بالتأكيد الشخص الأكثر انتباهًا في الحانة. امتلك هؤلاء الأشخاص – نادِلة أخرى، ونادِل بشري، وزبون دائِم (من مُحبّي الأنياب) تطوّع للقيام بذلك – بعض الأفكار المُمِلّة وقدرات مِحدودة على التذكُّر. لقد اكتشفتُ أن الساقي يُتاجِر في السلع المسروقة بجانب عمله، وبعد مغادرته، أوصيتُ ستان بضرورة جلب موظّف آخر خلف البار، وإلا سيتورّط في تحقيق للشرطة. بدا ستان مُعجبًا بهذا أكثر مما توقّعت. لم أكن أريده أن يُعجَب كثيرًا بخدماتي.

عاد بيل عندما انتهيتُ من آخر موظّفي الحانة، وبدا راضيًا بعض الشيء، فاستنتجتُ أنه قد نَجَح في مسعاه. إذ قضى بيل معظم ساعات استيقاظه مؤخرًا على الحاسوب، والتي لم تكن فكرة مُحبَّبة بالنسبة لي.

قال بيل عندما أصبحتُ أنا وستان الوحيدين المُتبقّيين في الغرفة: "يُدعى مصّاص الدماء ذو الوشوم جودريك، رغم أنه استخدم اسم جودفري

خلال القرن الماضي. إنه من المُرتدّين". لا أدري بشأن ستان، لكنني أعجِبث بما فعله. ببضع دقائق على الحاسوب، قام بيل بعملٍ تحرٍ رائع.

بدا ستان مصدومًا، وأفترض أنني بدوت مُرتبِكة، لذا أخبرني بيل بصوتٍ خافت، لأن ستان غرق في تفكيرٍ عميق: "لقد تحالَف مع البشر المُتطرِّفين، ويُخطِّط للانتحار. يُخطِّط جودفري للقاء الشمس، إذ لم تعُد حياته تحمِل أي معنى".

سألته: "إذن، سيأخُذ أحدًا معه؟". هل سيفضَح جودفري فاريل معه؟

قال ستان: "لقد خاننا مع الزمالة".

خيانة. يا لها من كلمةٍ تحمِل الكثير من الدراما، لكنني لم أفكِّر في السُخرية عندما نطقها ستان. كنت قد سمعتُ عن الزمالة، رغم أنني لم ألتقِ بأي شخص يدَّعي الانتماء إليها. ما مثَّلته الأخوية للأمريكيين من أصول أفريقيّة، مثَّلته زمالة الشمس لمصَّاصي الدماء. إنها الطائِفة الأسرع نموًا في أمريكا.

ومُجددًا، وجدتُ نفسي متورِّطة في أمرٍ أكبر من قدراتي.



الفصل الخامس

لم تُعجِب مُشاركة الكوكَب مع مصّاصي الدماء الكثير من البشر، رغم أنهم سبق وفعلوا ذلك طوال الوقت – دون أن يعلَموا – إلا أنهم بمجرد إيمانهم بحقيقة وجود مصّاصي الدماء، عزموا على القضاء عليهم. ولم يكونوا دقيقين في اختيار أساليبهم للقتل أكثر من مصّاص دماء مارق في اختياره.

كان مصّاصو الدماء المارقون هُم الموتى الأحياء الذين يحنُّون إلى الماضي؛ ولا يرغبون في كشف أمرهم للبشر، مثلما لا يرغب البشر في معرِفة وجودهم. رَفَض المارِقون شرب الدماء الاصطناعيَّة التي أصبحت المصدَر الرئيسي لغذاء معظم مصّاصي الدماء هذه الأيام. وآمن المارِقون بأن مُستقبَل مصّاصي الدماء يكمُن في العودة إلى السرِّية والتخفِّي. اعتاد مصّاصو الدماء المارِقون هؤلاء قتل البشر لمُجرَّد المتعة، لأنهم في الحقيقة يُرحِّبون بعودة الاضطهاد إلى نوعهم. ورأوا في هذا الاضطهاد وسيلة لإقناع مصّاصي الدماء التقليديين بأن السريَّة هي أفضل سبيلٍ لمُستقبلهم؛ كما أن الاضطهاد كان شكلًا من أشكال التحكُّم في تعداد السُكّان.

الآن، عرفتُ من بيل أن هناك مصّاصي دماء أصيبوا بندمٍ شديد، أو ربما بالملل، بعد حياة طويلة. وخطَّط هؤلاء المُرتدُّون لـ "لقاء الشمس"، وهو

مُصطلَح خاص بمصّاصي الدماء ويعني الانتحار بالبقاء خارج المنزل بعد بزوغ الفجر.

ومرة أخرى، قادني اختياري لصديقي الحميم إلى طُرقٍ لم أكن لأسلُكها قط لولا ذلك. لم أكن لأحتاج إلى معرِفة أيٍّ من هذا، ولم أكن لأحلَم قط بمواعدة شخص ميِّت بكل تأكيد، لو لم أكن قد وُلِدتُ بإعاقة قراءة الأفكار. كنت نوعًا ما منبوذة بين رجال البشر. يمكنك تخيُّل مدى استحالة مواعدة شخص يمكنك قراءة أفكاره. وعندما قابلتُ بيل، بدأتُ أسعَد فترة في حياتي. لكنني واجهت، بلا شك، بعض المشاكل في الأشهر التي عرفته فيها أكثر مما واجهتُه طوال الستَّة والعشرين عامًا السابقة.

سألته، مُجبرةً نفسي على التركيز على الأزمة الحالية: "إذن، هل تعتقد أن فاريل قد مات بالفعل؟". وكرهتُ طرح هذا السؤال، لكنني كنت بحاجةٍ لمعرِفة ذلك.

قال ستان بعد صمت طويل: "ربما".

قال بيل: "ربما يحتفِظون به في مكانٍ ما، تعلمين كيف يدعون الصحافة إلى هذه.. الاحتفالات".

حدَّق ستان في الفراغ للحظةٍ طويلة، ثم نهض قائلًا: "الرجُل نفسه كان في الحانة وفي المطار". قالها كأنه يُحدِّث نفسه. ذرع ستان، قائِد مصَّاصي الدماء المُتواضِع في دالاس، الغرفة ذهابًا وإيابًا. أصابني كل ذلك بالجنون، رغم أن قول ذلك كان أمرًا

مُستبعدًا. كان هذا منزل ستان، و"أخوه" مفقود. ولكنني لستُ من النوع الذي يتحمَّل الصمت الطويل الكئيب. كنت مُتعَبة، وأردتُ الذهاب للنوم.

قلت، وأنا أبذُل قصارى جهدي لأتَّسِم بالجديَّة: "إذن، كيف عرفوا أنني سأكون هناك؟".

إن كان هناك شيء أسوأ من تحديق مَصَّاص دماء بك، فهو تحديق اثنين بك.

قال ستان: "يتطلَّب الأمر خائِنًا.. لمعرفة قدومكِ في وقتٍ مُبكِّر". بدأ هواء الغرفة يرتجِف ويرتعِد من التوتُّر الذي كان يولِّده.

لكن تولَّدَت في ذهني فكرَة أقل دراماتيكيَّة. التقطتُ دفتر مُلاحظات مُلقاة على الطاولة، وكتبت: **"ربما زرعوا لكُم جهاز تنصُّت"**. حدَّق كلاهُما في وجهي وكأنني قد عَرَضتُ عليهما شطيرة "بيج ماك". يغفَل مصَّاصو الدماء، الذين يتمتَّعون بقوًى مُذهِلةٍ ومُتنوِّعةٍ، أحيانًا عن حقيقة أن البشر قد طوَّروا قواهم الخاصَّة. تبادَل الرجُلان نظرة تفكير، لكن أيهما لم يُقدِّم أي اقتراحًا عمليًا.

حسنًا، سُحقًا لهُما. لم أشاهِد هذا يحدث سوى في الأفلام، ولكنني خمَّنتُ أنه إن زرع أحدهم جهاز تنصُّت في هذه الغرفة، فقد زرعه في عُجالةٍ وكان خائِفًا حتى الموت. لذلك سيكون الجهاز قريبًا وغير مخفيٍّ بشكلٍ جيد. خلعتُ سُترتي الرمادية وركلتُ حذائي بعيدًا. وبما أنني كنت بشريَّة، ولا أملك كرامة

لأخسرها في نظر ستان، نزلتُ تحت الطاولة، وبدأت أزحف على طولها، دافعةً الكراسي المُتحرِّكة بعيدًا في أثناء تقدُّمي. وللمرة المليون، تمنَّيتُ لو أنني ارتديتُ بنطلونًا.

كنت قد زحفتُ حوالي ياردتين من ساقي ستان عندما رأيتُ شيئًا غريبًا. نتوءًا داكنًا مُلتصِقًا بالجانب السُفلي من الخشب الأشقَر للطاوِلة. نظرتُ إليها بأقرَب ما يمكن دون استخدام مصباح يدوي. لم تكن قطعة علكة قديمة. بعد أن وجدتُ الجهاز الميكانيكي الصغير، لم أعرف ما يجب فعله. زحفتُ خارجة، وقد اتَّسَخَت ملابسي بالغبار بسبب التجرُبة، ووجدتُ نفسيَ عند قدمي ستان مُباشرة. مدَّ يده، فأمسكتها على مضض. جذبني ستان بلطف، أو هكذا بدا، وفجأة وقفتُ على قدميَّ أمامه. لم يكن طويلًا للغاية، نظرتُ في عينيه أكثر مما أردتُ حقًّا. رفعتُ إصبعي أمام وجهي لأتأكَّد من جذب انتباهه، ثم أشرتُ أسفل الطاولة.

غادَر بيل الغرفة بسرعة البرق. ازداد وجه ستان شحوبًا، وتوهَّجَت عيناه غضبًا. نظرتُ في كل مكان عدا إليه مُباشرة. لم أرغب في أكون الشيء الذي ينظر إليه بينما يستوعِب حقيقة أن هناك من زرع جهاز تنصُّتٍ في غرفة اجتماعاته. لقد خانه أحدهم بالفعل، ولكن ليس بالطريقة التي توقَّعها.

بحثتُ في ذهني عن شيءٍ أفعله للمساعدة. ابتسمتُ في وجه ستان. وعندما رفعتُ يدي تلقائيًا

لأصفف شعري، أدركتُ أن شعري لا يزال ملفوفًا على مؤخِّرة رأسي، وإن كان أقل ترتيبًا. منحني العبث بشعري عُذرًا جيدا لتجنُّب النظر إليه.

شعرتُ بارتياحٍ كبيرٍ عندما عاد بيل ومعه إيزابيل وعامِل غسل الصحون، والذي حمل وعاءً من الماء. قال بيل: "أنا آسف يا ستان، أخشى أن يكون فاريل قد مات بالفعل، بناءً على ما اكتشفناه هذا المساء. وسنعود أنا وسوكي إلى لويزيانا غدًا، ما لم تكن بحاجةٍ إلينا أكثر من ذلك". أشارَت إيزابيل إلى الطاولة، فوَضَع الرجُل الوعاء جانبًا.

أجابني ستان بصوتٍ باردٍ كالثلج: "ربما يمكنكما الرحيل. أرسِل لي الفاتورة. إذ أُصرّ سيِّدك، إريك، على ذلك. سأضطر إلى مقابلته يومًا ما". أشارَت نبرته إلى أن اللقاء لن يكون لطيفًا لإريك.

قالت إيزابيل فجأة: "أيها البشري الغبي! لقد سكبتَ مشروبي!".

مدَّ بيل يده ليُمسِك جهاز التنصُّت من تحت الطاولة وألقاه في الماء، وغادرت إيزابيل الغرفة وهي تسير بسلاسةٍ أكثر لتجنُّب انسكاب الماء خارج الوعاء، بينما ظلَّ مُرافقها في الغرفة.

لقد تخلَّصوا من المشكلة بسهولةٍ كافية. وكان من الممكن، أن يكون من تنصَّت عليهم قد انخدع بذلك الحوار البسيط. لقد استرخينا جميعًا الآن بعد اختفاء جهاز التنصُّت، وحتى ستان بدا أقل رهبة.

قال الرجُل: "تقول إيزابيل إن لديك سببًا للاعتقاد بأن الزمالة قد اختطفَت فاريل، ربما يمكنني الذهاب أنا وهذه السيدة الشابَّة إلى مركز الزمالة غدًا، ونسعى لمعرفة ما إن كانت هناك خطط لإقامة أي نوع من المراسِم قريبًا".

نظر إليه بيل وستان بتمعُّن.

قال ستان: "هذه فكرة جيدة، سيكون الزوجان أقل لفتًا للانتباه".

سألني بيل: "ما رأيكِ يا سوكي؟".

قلت: "بالتأكيد لا يستطيع أحدكم الذهاب. أعتقد أن بإمكاننا على الأقل التعرُّف َعلى مُخطَّط المكان، إن اعتقدتُم باحتمال احتجاز فاريل هناك". إذا تمكنتُ من معرِفة المزيد عن الوضع في مركز الزمالة، ربما يمكنني منع مصَّاصي الدماء من الهجوم. من المؤكَّد أنهم لن يذهبوا إلى مركز الشرطة لتقديم بلاغ عن شخصٍ مفقود لحثّ الشرطة على تفتيش المركز، بغضِّ النظر عن مدى رغبة مصَّاصي دماء دالاس في البقاء ضِمن حدود القانون البشري لتحقيق فوائِد الاندماج في المجتمع. وعرفتُ أنه إن احتُجِزَ مصَّاصو دماء دالاس في المركز، فإن البشر سيموتون في كل مكان. ربما يمكنني منع حدوث ذلك، والعثور على فاريل المفقود أيضًا.

قال بيل: "إن كان مصَّاص الدماء الموشوم هذا

من المُرتدِّين ويُخطِّط لمُلاقاة الشمس، وأخذ فاريل معه، وإن رتَّبَت الزمالة الأمر برمَّته، فإن هذا الكاهِن المُزيَّف الذي حاوَل اختطافكِ في المطار يعمل لصالِحهم ولا بُد. إنهم يعرفونك الآن، لذا عليكِ ارتداء الشعر المُستعار". ثم ابتسم بارتياح، إذ كان الشعر المُستعار فكرته.

اللعنة، شعرٌ مُستعارٌ في مثل هذا الجو الحار. حاولتُ ألا أبدو مُتذمِّرة. ففي النهاية، سيكون من الأفضل أن أتحمَّل حكَّة الرأس بدلًا من التعرُّف عليَّ كامرأةٍ مُرتبِطةٍ بمصَّاص دماء في أثناء زيارتي لمركز زمالة الشمس. اعترفتُ قائلة: "سيكون من الأفضل أن يكون هناك بشري آخر معيَ". رغم أنني كرهتُ توريط أي شخص آخر في هذا الخطر.

قال ستان: "هذا هو رجُل إيزابيل الحالي". صمتُ لدقيقة، وخمَّنتُ أنه كان "يتواصَل معها" بطريقته الخاصَّة، أو كيفما كان يتواصَل مع أتباعه.

وكما توقَّعت، دخلت إيزابيل بانسيابيَّة. لا بد وأن القدرة على استدعاء الناس بتلك الطريقة مُفيدة للغاية. دون الحاجة إلى جهاز اتِّصال داخلي أو هاتِف. تساءَلتُ كم يمكن أن يكون مصَّاصو الدماء بعيدين كل البعد، لكنهم يتلقُّون رسالته رغم ذلك. وشعرتُ بنوعٍ من الارتياح لأن بيل لا يستطيع استدعائي بدون كلمات، لأنني كنت سأشعُر وكأنني عبدة له. هل يمكن لستان استدعاء البشر بالطريقة التي كان يستدعي بها مصَّاصي الدماء؟ ربما لم أكن

أريد معرفة ذلك حقًا.

تفاعَل الرجُل مع وجود إيزابيل مثلما يتفاعَل كلب الصيد عندما يشم رائحة الطيور. أو ربما بدا الأمر أشبه برجُلٍ جائعٍ قُدِّمَت له شريحة لحم كبيرة، لكنه اضطرَّ لانتظار الإذن. يمكنك رؤية لُعابه يسيل. آمل أنني لا أبدو هكذا عندما أتواجَد حول بيل.

قال: "لقد تطوَّع رجلكِ للذهاب مع سوكي إلى مركز زمالة الشمس يا إيزابيل. هل يمكنه أن يكون مُقنِعًا كمتحوِّلٍ مُحتمل؟".

قالت إيزابيل وهي تُحدِّق في عيني الرجُل: "نعم، أعتقد ذلك".

"قبل أن تذهبا، هل هناك زوَّار هذا المساء؟".

"نعم، واحد من كاليفورنيا".

"أين هو؟".

"في المنزل؟".

سألها ستان: "هل دخل إلى هذه الغرفة؟". بطبيعة الحال، تمنَّى ستان أن يكون الشخص الذي زرع جهاز التنصُّت مصَّاص دماء أو بشريًا لا يعرفه.

"نعم".

"أحضريه".

بعد خمس دقائق تقريبًا، عادَت إيزابيل برفقة مصَّاص دماء أشقر طويل القامة. لا بد أن طوله بلغ

(١٩٣) سم، وربما أكثر. كان مفتول العضلات، وحليق الذقن، ويتمتَّع بشعرٍ كثيف بلون القمح. نظرتُ إلى الأسفل فورًا، في نفس اللحظة التي شعرتُ فيها بأن بيل تجمَّد في مكانه.

قالت إيزابيل: "هذا ليف".

قال ستان بسلاسة: "مرحبًا بك في عُزْني يا ليف، لدينا مشكلة هذا المساء".

حدَّقتُ في أصابِع قدمي، وتمنَّيتُ بشدَّةٍ أكثر من أي وقت مضى أن أكون وحدي تمامًا مع بيل لمدة دقيقتين لأكتشِف ما الذي يحدث بحق الجحيم، لأن مصَّاص الدماء هذا لم يكنْ "ليف"، ولم يكن من كاليفورنيا.

لقد كان إريك.

مدَّ بيل يده وأمسَك يدي. ضغط على أصابعي برفقٍ شديد، وكذلك فعلت. لفَّ بيل ذراعه حولي، واتَّكأت عليه، إذ كنت بحاجةٍ إلى الاسترخاء.

سأل إريك – لا، بل ليف في هذه اللحظة – بلباقة: "كيف يمكنني مُساعدتك؟".

"يبدو أن أحدهم قد دخل إلى هذه الغرفة وقام ببعض التجسُّس".

بدت هذه طريقة لطيفة لوصف الأمر. أراد ستان إبقاء عملية التنصُّت سريَّة في الوقت الراهِن، وبالنظر إلى حقيقة وجود خائِن هنا، كان ذلك

بالتأكيد فكرة رائعة.

"أنا زائِر لعُرْنك، وليس لديّ أي مشكلة معك أو مع أي من أتباعك".

كان إنكار ليف الهادئ والصادِق مُثيرًا للإعجاب، خاصّةً أنني عرفتُ حقيقة أن وجوده كله كان مُجرَّد احتيال لتحقيق غرض غامِض لمصّاصي الدماء.

قلت، وأنا أبدو بشريَّة وضعيفة قدر الإمكان: "معذرة".

بدا ستان غاضبًا للغاية من مُقاطعتي، ولكنني لم أكترِث.

قلت، محاولةً أن أبدو وكأنني واثِقة من أن ستان قد فكّر في ذلك بالفعل: "لا بد أن ذلك الشيء قد وضع هنا قبل اليوم، لمعرفة تفاصيل وصولنا إلى دالاس". حدَّق ستان في وجهي دون أي تعبير على الإطلاق. حسنًا، بما أنني بدأت، فلأكمِل الأمر: "ومعذرةً، ولكنني مُرهقة للغاية، هل يمكن أن يُعيدني بيل إلى الفُندق الآن؟".

قال ستان بطريقةٍ جافَّة: "ستأخُذكِ إيزابيل بنفسها إلى هناك".

"لا يا سيِّدي".

ومن خلف نظّارته المُزيَّفة، ارتفع حاجِبا ستان الشاحِبان، وهو يقول بدهشة: "لا؟". وبدا وكأنه لم يسمَع هذه الكلِمة من قبل.

"بموجب شروط عقدي، لا أذهب إلى أي مكان دون وجود مصّاص دماء من منطِقتي. وبيل هو مصّاص الدماء ذاك. لن أذهب إلى أي مكان بدونه، خصوصًا في الليل".

رمقني ستان بنظرةٍ طويلةٍ أخرى. وشعرتُ بالسعادة لأنني وجدتُ جهاز التنصُّت، وأثبتُّ أنني مُفيدة، وإلا لما كنت لأصمُد في منطقة نفوذ ستان. قال: "اذهبي". ولم نُضِع أنا وبيل أي وقت. لن نتمكن من مُساعدة إريك إن اشتبه به ستان، ومن المُحتمَل جدًا أن نكون السبب في كشفه. كنت أنا أكثر احتمالًا لارتكاب ذلك الخطأ، سواء بكلمةٍ أو إيماءة، بينما يُراقِبني ستان. لقد دَرَس مصّاصو الدماء البشر لقرون، بالطريقة التي يتعلّم بها المُفترِسون كل ما يمكنهم معرفته عن فرائِسهم.

خرجَت إيزابيل معنا، وركِبنا في سيارتها اللِكزس للعودة إلى فندق "سايلنت شور". كانت شوارع دالاس، رغم أنها لم تكن خالية، أكثر هدوءًا مما كانت عليه عندما وصلنا إلى العُزن قبل ساعات. قدّرتُ أن الفجر سيبزغ بعد أقل من ساعتين.

قلتُ بأدبٍ عندما وصلنا إلى الفُندق: "شكرًا لك".

أخبرتني إيزابيل: "سيأتي رجُلي البشري ليأخُذكِ في تمام الساعة الثالثة بعد الظهيرة".

قمعتُ رغبتي في الردّ: "نعم يا سيِّدتي!". واكتفيتُ بإخبارها أن ذلك سيكون مُناسبًا، ثم سألتها: "ما

اسمه؟".

قالت: "هوجو أيرِس".

قلت: "حسنًا". إذ عرفتُ بالفعل أنه رجل سريع البديهة. ذهبتُ إلى البهو وانتظرتُ بيل. جاء مُتأخِّرًا عني بمقدار بثوانٍ فقط، وصعدنا في المصعَد بصمت.

سألني عند باب الغرفة: "هل معكِ مفتاحك؟".

كنت شبه نائِمة، فسألته بانزعاج: "أين مفتاحك؟".

قال: "أودّ فقط رؤيتكِ تُخرجين مفتاحك".

فجأة، تحسَّن مزاجي، لذا مازحته قائلة: "ربما تودّ البحث عنه بنفسك".

تجوَّل مصّاص دماء ذكر بشعرٍ أسود طويل يصِل إلى خصره في الرُدهة، وذراعه حول فتاة مُمتلِئة بشعرٍ أحمر مُجعَّد. عندما دخلا إلى غرفة أبعد في الممر، بدأ بيل يبحَث عن المفتاح.

ووجده بسرعة.

وبمجرد دخولنا، حمَلني بيل وقبَّلني قُبلة طويلة. كنا بحاجةٍ إلى التحدُث، لأن الكثير قد حَدَث خلال هذه الليلة الطويلة، لكنني لم أكن في مزاجٍ جيد، وكذلك هو.

اكتشفتُ أن الشيء الجميل في ارتداء التنانير هو أنها تنزلق بسهولة، وإن كنت ترتدين سروالًا

داخليًا تحتها فقط، فيمكنه الاختفاء في لمح البصر. سقطَت السترة الرماديّة على الأرض، وألقِيَ القميص الأبيض جانبًا، ولففتُ ذراعايّ حول عُنق بيل في لحظة.

اتَّكأ بيل على حائِط غرفة الجلوس مُحاوِلًا فتح سرواله، وأنا لا أزال مُتشبّثة به، عندما طرق أحدهم الباب.

همس في أذني: "اللعنة". ثم قال بصوتٍ أعلى بعض الشيء: "اذهب بعيدًا". ابتعدتُ عنه، فانحبسَت أنفاسه في حلقه. سحب دبابيس الشعر ليُحرِّر شعري الذي انساب على ظهري.

سُمع صوت مألوف، مكتوم قليلًا بسبب الباب السميك: "أريد التحدُّث إليك".

تذمَّرتُ قائلة: "لا، أخبرني أنه ليس إريك". المخلوق الوحيد في العالَم الذي كان علينا الردّ عليه.

قال الصوت: "أنا إريك".

فككتُ ساقي من حول خصر بيل، وأنزلني برفقٍ على الأرض. وبغضبٍ واضح، دخلتُ إلى غرفة النوم لارتداء رداء الحمّام. لن أعيد تزرير كل تلك الملابس.

خرجَتُ بينما كان إريك يخبر بيل أنه قد أبلى بلاءً حسنًا هذا المساء.

قال إريك، وهو ينظر إلى رداء الحمّام الوردي القصير بنظرةٍ شامِلة: "وبالطبع، لقد كنت رائعة يا

سوكي". نظرتُ إليه - وارتفعتْ بنظري إلى الأعلى - وتمنَّيتُ لو يغرق في قاع النهر الأحمر، بابتسامته المُذهِلة، وشعره الذهبي، وكل شيء.

قلت بخُبث: "حسنًا، شكرًا جزيلًا على قدومك لإخبارنا بذلك. لم يكن بإمكاننا الذهاب إلى الفراش دون أن تربُت على ظهرنا".

بدا إريك مُبتهِجًا قدر استطاعته، وقال: "هل قاطعتُ شيئًا ما يا عزيزتي؟ هل هذه - حسنًا، أقصد هذا - يخُصّكِ يا سوكي؟". ورفع سروالي الداخلي الأسود من طرفه.

قال بيل: "باختصار، نعم. هل هناك أي شيء آخر تودّ مُناقشته معنا يا إريك؟". كان صوت بيل باردًا كالجليد.

قال إريك مُعتذِرًا: "ليس لدينا وقت الليلة، فالشمس ستُشرِق قريبًا، وهناك أمور أحتاج للاهتمام بها قبل النوم. لكن يجب أن نلتقي غدًا في المساء. عندما تعرف ما يريدك ستان أن تفعله، اترك لي مُلاحظة عند الاستقبال، وسنُرتِّب الأمور فيما بيننا".

أومأ بيل برأسه، ثم قال: "إلى اللقاء إذن".

سأله: "ألا ترغب في مشروبٍ ليلي؟". هل كان يأمَل في أن تُعرَض عليه زجاجة دماء؟ اتجهَت عينا إريك نحو الثلاجة، ثم إليَّ. وشعرتُ بالأسف لأنني ارتديتُ رداءً رقيقًا من النايلون بدلًا من رداءٍ سميكٍ وثقيل، ثم تابع حديثه: "دافئ من الوعاء؟". حافظ بيل على

صمته البارد.

ظلَّت نظرات إريك مُثبَّتة عليَّ حتى اللحظة الأخيرة، ثم خرج من الباب، وأغلقه بيل خلفه.

سألت بيل وهو يفك رباط ردائي: "هل تعتقد أن يسترِق السمع بالخارج؟".

قال بيل: "لا يهمني". ثم أحنى رأسه ليهتم بأمور أخرى.

***

عندما استيقظتُ، حوالي الواحدة بعد الظُهر، وجدتُ الصمت يعُم أرجاء الفُندق. بالطبع، غطَّ معظم الضيوف في النوم، ولا تدخُل الخادمات الغُرف في أثناء النهار. كنت قد لاحظتُ الأمن في الليلة الماضيَة - حُرَّاسًا من مصَّاصي الدماء. لكن الوضع سيختلِف في وضح النهار، لأن الحراسة النهارية هي السبب الذي جعل النُزلاء يدفعون أموالًا طائِلة. اتَّصَلتُ بخدمة الغُرف لأول مرة في حياتي، وطلبتُ الإفطار. لقد تصوَّرتُ جوعًا، لأنني لم آكل شيئًا الليلة الماضية. استحممتُ وارتديتُ ملابسي عندما طرق النادل الباب، وبعد أن تأكَّدتُ من هويَّته، سمحتُ له بالدخول.

بعد محاولة الاختطاف التي تعرَّضتُ لها في المطار في اليوم السابِق، لم أعُد آخُذ أي شيء كأمرٍ مُسلَّم به. أمسَكتُ رذاذ الفلفل إلى جانبي بينما وَضَع الشاب الطعام وإبريق القهوة. مُستعِدَّة لرشِّه في

وجهه، فقط إن اقترَب خطوة واحدة نحو الباب الذي ينام خلفه بيل في تابوته. لكن هذا الرجُل، أرتورو، كان مُدرَّبًا جيدا، ولم تتحرَّك عيناه نحو غرفة النوم قط. كما إنه لم ينظر إليَّ مُباشرة، لكنه فكّر بي، تمنَّيت لو أنني ارتديتُ حمالة صدر قبل السماح له بالدخول.

بعد رحيله - وكما أوصاني بيل، أضفتُ إكراميَّة إلى الفاتورة التي وقَّعتُ عليها - أكلتُ كل ما أحضره؛ من نقانِق، وفطائِر مُحلَّاة، ووعاء من قِطع الشمَّام. ويا إلهي، كم كان لذيذًا. كان الشراب من القيقَب الحقيقي، والفاكِهة ناضِجة تمامًا، والسجق لذيذ حقًّا. وشعرتُ بالسعادة لأنَ بيل لم يكن موجودًا ليُشاهِدني ويجعلني أشعُر بعدم الارتياح. إذ لم يكن يحب رؤيتي وأنا آكل، وكره بشكلٍ خاص أكلي للثوم.

فرَّشتُ أسناني وشعري ورتَّبتُ زينتي، ثم حان وقت الاستعداد للتحضير لزيارتي إلى مركز الزمالة. صفَّفتُ شعري وثبَّته بالدبابيس، ثم أخرجتُ الشعر المُستعار من عبوَته. كان قصيرًا وبُنيًا وغير مُلفِت للنظر. لقد اعتقدتُ أن بيل مجنون عندما اقترح شرائي لشعرٍ مُستعار، وما زلتُ أتساءل لماذا خَطَر بباله أنني قد أحتاج إليه، لكنني شعرتُ بالسعادة لوجوده. امتلكتُ نظَّارة تُشبِه نظَّارة ستان، تخدِم نفس أغراض التمويه، وارتديتها. كان هناك تكبير بسيط في الجزء السُفلي منها، لذا كان بإمكاني

الادّعاء بشكلٍ معقول أنها نظّارة قراءة.

ماذا يرتدي المُرتدُّون عندما يذهبون إلى مكان تجمُّع المُرتدِّين؟ من خلال تجرُبتي المحدودة، عادةً ما يرتدي المُرتدُّون ملابس مُحافظة، إما لأنهم مُنشغِلون بأمور أخرى، أو لأنهم يرون أن الأناقة شيء شرير. لو كنت في الوطن، لذهبتُ إلى وول مارت، واخترتُ الملابس المثالية، لكنني هنا في فندق "سايلنت شور" الفاخِر وعديم النوافِذ. على أي حال، نصحني بيل بالاتّصال بمكتب الاستقبال إن احتجتُ أي شيء، وهكذا فعلت.

أجابني بشري يحاول تقليدِ صوت مصّاص دماء كبير في السِن: "مكتب الاستقبال، كيف يمكنني مُساعدتك؟". شعرتُ برغبةٍ في إخباره بالتوقُّف عن المحاولة، من يريد النُسخة المُقلَّدة بينما الأصل موجود تحت نفس السقف؟

"معك سوكي ستاكهاوس، من غرفة (٣١٤). أحتاج إلى تنورة جينز طويلة، مقاس ثمانية، وبلوزة مزركشة بالباستيل أو بلوزة مُحاكة بألوان فاتِحة، بنفس المقاس".

قال بعد لحظةٍ من الصمت: "حسنًا يا سيِّدتي، متى تودِّين الحصول عليها؟".

أجبته: "بسرعة". يا إلهي، لقد كان هذا مُمتعًا للغاية. أضفت: "في واقِع الأمر، كلما أسرعتَ؛ كلما كان أفضل". لقد بدأتُ أستمتِع بالأمر، وأحببتُ أن

يدفع شخص آخر نفقاتي.

شاهدتُ نشرة الأخبار في أثناء انتظاري. كانت الأخبار المُعتادة لأي مدينة أمريكية؛ مشاكل مروريَّة، ومشاكل تقسيم المناطِق، وجرائِم القتل.

قال مُذيع نشرة الأخبار، وصوته ينضح بالوقار اللازم: "تم التعرُّف على جُثَّة امرأةٍ وُجِدَت ميِّتة ليلة أمس في حاوية نِفايات فندق". التوَت زوايا فمه لتكشِف عن قلقٍ شديد، وهو يستكمِل حديثه قائلًا: "عُثِرَ على جُثَّة بيثاني روجرز، البالِغة من العمر واحدا وعشرين عامًا خلف فندق "سايلنت شور"، المعروف بكونه أول فندِق في دالاس يخدِم مصَّاصي الدماء. وقد قُتِلَت روجرز برُصاصةٍ واحدة في الرأس. ووصفَت الشرطة جريمة القتل بأنها قد نُفِّذَت "على طريقة الإعدام". وقالت المُحقِّقة تاوني كيلنر لمُراسِلنا أن الشرطة تُتابِع عدَّة خيوط في القضيَّة". تحوَّلت الصورة على الشاشة من وجه المُذيع المُتجهِّم المُصطنع إلى وجه المُحقِّقة المُتجهِّم بصدق. بدت المُحقِّقة في الأربعينيات من عمرها، امرأة قصيرة بضفيرةٍ طويلةٍ تصِل إلى أسفل ظهرها. دارَت الكاميرا لتشمَل المُراسِل، وهو رجُل أسود قصير القامة، يرتدي بدلة مُصمَّمة بإتقان.

سألها المُراسِل: "أيتها المُحقِّقة كيلنر، هل صحيح أن بيثاني روجرز كانت تعمل في حانة لمصَّاصي الدماء؟".

ازدادَت قسمات وجه المُحقِّقة عبوسًا.

قالت: "نعم، هذا صحيح. ولكنها عملت كنادلةٍ، وليس كمُضيفة". مُضيفة؟ ماذا تفعل المُضيفات في حانة "بات وِنج"؟ تابعَت حديثها قائلة: "لقد عملت هناك منذ شهرين فحسب".

سألها المُراسِل بإلحاحٍ أكثر مما كنت سأفعل: "ألا يُشير الموقِع المُستخدَم للتخلُّص من جُثَّتها إلى وجود تورُّط من مصّاصي الدماء؟".

أجابته: "على العكس تمامًا، أعتقد أن الموقِع قد أُختير تحديدًا لإرسال رسالة إلى مصّاصي الدماء". ثم بدت وكأنها ندمَت على ما قالت، فأضافت: "والآن، بعد إذنك..".

قال المُراسل بقليلٍ من الذهول: "بالطبع، أيتها المُحقِّقة. إذن يا توم". ثم استدار لمواجهة الكاميرا، وكأن بإمكانه رؤية المُذيع بداخلها وهو يقول: "هذه قضيَّة مُثيرة للجدل".

ماذا؟

أدرَك المُذيع أن المُراسِل لم يتحلَّ بالمنطِق الصحيح، وانتقل بسرعة إلى موضوعٍ آخر.

لقد ماتَت بيثاني المسكينة، ولم يكن هناك أحد يمكنني مُناقشة ذلك معه. كبحتُ جماح دموعي؛ وبالكاد شعرتُ بأن لديَّ الحق في البكاء على الفتاة. لم يسعَني إلا التساؤل عمَّا حدث لبيثاني روجرز

الليلة الماضية بعد أن اقتيدَت من الغرفة في عُزن مصّاصي الدماء. إن لم تكن هناك أي علامات أنياب، فمِن المؤكّد أن مصّاص دماء لم يقتلها. سيكون من النادِر أن يُقاوِم مصّاص الدماء الفرصة لشربها.

جلستُ على الأريكة، وأنا أختنِق بدموعي المكبوتة وقد حطّمني الحزن. بحثتُ في حقيبتي لأجِد قلم رُصاص. وما إن وجدته، حتى استخدمته لحكّ رأسي تحت الشعر المُستعار، الذي حتى في ظلام الفُندق المُكيّف، كان يحكّني. بعد ثلاثين دقيقة، سمعت طرقًا على الباب. ومرة أخرى، نظرتُ عبر عين الباب. ورأيتُ أرتورو مُجدّدًا، وهو يُمسِك ببعض الملابس.

قال وهو يُسلّمني الملابس، مُحاوِلًا عدم التحديق في شعري: "ستُعيد ما لا تريدينه".

قلت له: "شكرًا". وأعطيته إكرامية. يمكنني الاعتياد على هذا الأمر بسرعة.

لم يمضِ وقت طويل حتى كان من المفترض بي مقابلة آيريس البشري، عشيق إيزابيل. خلعتُ الرِداء حيث وقفت، ونظرتُ إلى ما أحضره لي أرتورو. كانت البلوزة بلونٍ خوخيٍّ باهِت مُزيَّنة بزهور بيضاء فاتِحة، التي كانت ستفي بالغرض، أما التنورة.. فيبدو أنه لم يتمكن من العثور على الجينز، فأحضَر لي اثنتين باللون الكاكي. ظننتُ أن هذا سيكون جيدا، فارتديتُ إحداهُما. بدت ضيِّقة قليلًا بالنسبة

للتأثير الذي أحتاجه، وشعرتُ بالسعادة لأنه أحضر لي نمطًا آخر. كان مُناسبًا تمامًا للصورة التي أردتُ الظهور بها.

أدخلتُ قدمي في صندلٍ مسطَّح، وارتديتُ قرطًا صغيرًا في أذني المثقوبتين، واستعددتُ للذهاب. حتى إنني أحضرتُ حقيبةً من القشّ البالي لأحملها مع الزي. لسوء الحظ، كانت حقيبتي العادية، لكنها أدّت الغرض تمامًا. أفرغتُ منها أغراضي التي تكشِف عن هويّتي، وتمنّيتُ لو أنني فكّرت في ذلك في وقتٍ سابق بدلًا من اللحظة الأخيرة. تساءلتُ عن التدابير الأمنية الهامّة الأخرى التي ربما أكون قد نسيتها.

خرجتُ إلى الممر الصامت. كان تمامًا كما كان في الليلة السابقة. لم تكن هناك مرايا ولا نوافِذ، وكان الشعور بالانعزال تامًا. لم يُساعِدني اللون الأحمر الداكن للسجاد، والأزرق والأحمر الكريمي لورق الحائِط في ذلك. انفتح المصعَد عندما لمستُ زره، ونزلتُ بمُفردي. لم تكن هناك حتى موسيقى في المصعَد. كان صمت "سايلنت شور" يرقى إلى مستوى اسمه.

عندما وصلتُ إلى البهو، وجدتُ هناك حُرَّاسًا مُسلَّحين على جانبي المصعَد، في مواجهة الأبواب الرئيسيَّة للفُندق. ومن الواضح أنها كانت مُغلقة. ثُبّتَ جهاز تلفاز بجانب الأبواب، وعَرَض صورة الرصيف بالخارج، كما كشف تلفازٌ آخر عن منظورٍ

أوسَع.

ظننتُ أن هجومًا رهيبًا على وشك الحدوث فتجمَّدتُ في مكاني، وتسارَعَت نبضات قلبي، ولكن بعد بضع ثوانٍ من الهدوء؛ أدركتُ أنهم ولا بد موجودون هناك طوال الوقت. لهذا السبب يُقيم مصّاصو الدماء هنا، وفي فنادق مُتخصِّصة أخرى مُماثِلة. لن يتمكن أحد من تجاوُز هؤلاء الحُرَّاس إلى المصاعِد، ولا من دخول غُرف الفُندق حيث ينام مصّاصو الدماء بلا حول ولا قوَّة. ولهذا السبب؛ تمتَّع الفُندق بتكلفةٍ باهظة. كان الحارِسان المُناوِبان في تلك اللحظة ضخمين للغاية ومُتَّشِحين بالسواد المُميَّز لزي الفُندق. (ياَ للملل، بدا أن الجميع يعتقِدون أن مصّاصي الدماء مهووسون باللون الأسود). بدت لي أسلِحة الحارسين الجانبيَّة ضخمة، ولكنني لستُ مُعتادة على الأسلِحة كثيرًا. رمقني الرجلان بنظرةٍ خاطِفة، ثم عادا إلى تحديقهما المُمِل إلى الأمام.

حتى موظَّفو الاستقبال كانوا مُسلَّحين، وتناثرت المُسدَّسات على الرفوف خلف المكتب. تساءلتُ إلى مدى قد يذهبون لحماية ضيوفهم. هل سيُطلقون النار على بشر آخرين، من الدُخلاء؟ وكيف سيتعامَل القانون مع ذلك؟

جلس رجُل يرتدي نظَّارة على أحد الكراسي المبطَّنة التي زيَّنَت الأرضية الرُخامية للبهو. كان في الثلاثين من عمره تقريبًا، طويل ونحيل، وشعره

أشقر. ارتدى بدلة كاكي صيفيّة خفيفة، وربطة عُنق مُحافِظة وحذاء دون كعب. إنه موظّف غسيل الصحون، بلا شك.

سألته: "هوجو آيريس؟".

وثب ليُصافحني وهو يقول: "لا بد وأنكِ سوكي؟ لكن شعركِ.. هل كنت شقراء الليلة الماضية؟".

قلت: "نعم، أنا كذلك، إنه شعر مُستعار".

"يبدو طبيعيًا للغاية".

"جيد، هل أنت مُستعِد؟".

قال: "سيارتي بالخارج". ثم لَمَس ظهري بخفَّة ليُرشِدني إلى الاتجاه الصحيح، وكأنه يعتقِد أنني لم أرَ الأبواب. قدَّرتُ لباقة الإشارة، وإن لم أقدِّر التلميح. وحاولت فهم شخصيَّة هوجو آيريس، إذ لم تشع أفكاره بكثرة.

سألته وأنا أربُط حزام الأمان في سيارته الكابريس: "منذ متى وأنت تواعد إيزابيل؟".

قال هوجو آيريس: "أعتقد منذ حوالي أحد عشر شهرًا". امتلك يدين كبيرتين، بنمشٍ على ظهرهما. فوجِئتُ أنه لم يكن يعيش في الضواحي، مع زوجة بشعر مصبوغ، وطفلين شقراوين.

سألته باندفاع: "هل أنت مُطلّق؟". وشعرتُ بالأسف عندما رأيتُ الحزن يظهر على وجهه.

قال: "نعم، منذ فترة وجيزة".

قلت: "أنا آسفة". كدتُ أسأله عن أطفاله، ثم قرّرتُ أن ذلك ليس من شأني. واستطعتُ قراءة أفكاره بما يكفي لأعرف أن لديه طِفلة صغيرة، لكنني لم أستطع معرِفة اسمها أو عمرها.

سألني: "هل صحيح أن بإمكانكِ قراءة الأفكار؟".

"نعم، هذا صحيح".

"لا عجب أنّكِ جذابة جدًا بالنسبة لهم".

اللعنة يا هوجو! قلتُ وأنا أحافِظ على نبرة صوتي هادِئة ومُتّزِنة: "هذا على الأرجَح جُزء لا بأس به من السبب، ما هو عملك اليومي؟".

قال هوجو: "أنا مُحامٍ".

قلتُ بأكثر نبرة حياديّة استطعتُ استخدامها: "لا عجب أنّك جذّاب جدًا بالنسبة لهم".

بعد صمت طويل، قال هوجو: "أعتقد أنني أستحِق ذلك".

"دعنا نتجاوَز الأمر، لنعمَل على قصّة تخفِّينا".

"هل يمكننا أن نكون أخًا وأختًا؟".

"هذا ليس مُستبعدًا. لقد رأيتُ إخوة وأخوات يشبهون بعضهم بعضًا أقل منّا بكثير. لكنني أعتقد أن كوننا حبيبين سيكون أكثر منطقيّة في تفسير الثغرات في معرِفتنا ببعضنا، إذا ما

انفصلنا واستُجوِبنا. بالطبع، لا أتوقَّع حدوث ذلك، وسأندهِش حقًّا إن حدث، ولكن كأخٍ وأختٍ سيتحتَّم علينا معرفة كل شيء عن بعضنا البعض".

"أنتِ مُحِقة. لماذا لا نقول إننا التقينا في الكنيسة؟ لقد انتقلتِ حديثًا إلى دالاس، وقابلتكِ في مدرسة الأحد بكنيسة "جلين كرايجي" الميثوديَّة. وهذه في الواقع كنيستي".

سألته: "حسنًا، ما رأيك أن أكون مديرة مطعم؟". من خلال خبرتي في العمل في مطعم ميرلوت، ظننتُ أنه يمكنني أداء هذا الدور بإقناعٍ إن لم أستجوَب بشكلٍ مُكثَّف.

بدا مُتفاجئًا بعض الشيء، قبل أن يقول: "هذا مختلف بما فيه الكِفاية ليبدو جيدا. أنا لا أجيد التمثيل، لذا إن التزمتُ بكوني أنا، سأكون على ما يرام".

سألته، وأنا أتضوَّر فضولًا: "كيف قابلتَ إيزابيل؟".

أجابني: "لقد مثَّلتُ ستان في المحكمة، عندما رفع جيرانه دعوى قضائيَّة لمنع مصَّاصي الدماء من دخول الحي، وخسِروها". امتلك هوجو مشاعِر مختلطة حول علاقته بامرأة مصَّاصة دماء، ولم يكن متأكدا تمامًا من أنه كان يجب أن يكسَب القضيَّة في المقام الأول. في الواقع، عانى هوجو من تردُّد عميق تجاه إيزابيل.

هذا رائع، وجعل هذه المُهمَّة أكثر رُعبًا. سألته: "هل

وصل ذلك إلى الصُحف؟ حقيقة أنّك مثّلتَ ستان ديفيس؟".

بدت عليه علامات الخجل وهو يقول: "نعم، لقد وصل. اللعنة، قد يتعرَّف عليّ أحد في المركز، أو على هويتي، من صورتي التي ظهرَت في الصُحف".

"لكن هذا قد يكون أفضل حتى. إذ يمكنك إخبارهم بأنك قد أدركتَ خطأك بعدما تعرَّفتَ على مصّاصي الدماء".

فكَّر هوجو في الأمر، ويداه الكبيرتان المليئتان بالنمش تتحرَّكان بقلقٍ على عجلة القيادة. قال أخيرًا: "حسنًا، كما قلت، أنا لا أجيد التمثيل، لكنني أعتقد أن بإمكاني جعل هذا الأمر ينجَح".

أما أنا، فاعتدتُ التمثيل طوال الوقت، لذا لم أشعُر بالقلق الشديد على نفسي. يمكن أن يُمثّل تلقي طلب مشروب من رجُل بينما تتظاهرين بأنكِ لا تعرفين ما إن كان يسأل نفسه في ذهنه ما إن كنت شقراء بالكامل أم لا، تدريبًا مُمتازًا على التمثيل. لا يمكنك لوم الناس - في الغالب - على ما يُفكِّرون به. عليكِ تعلُّم تخطي ذلك.

أوشكتُ على أن أقترِح على المُحامي إمساك يدي إن توتَّرت الأمور اليوم، وأن يُرسِل لي أفكارًا يمكنني التصرُّف على أساسها. لكن تردُّده، الذي فاح منه مثل عطر رخيص، جعلني أتوقَّف. ربما كان مسحورًا بإيزابيل من الناحية الجنسيَّة، وربما يحبها هي

والخطر الذي تُمثِّله، لكنني لم أكن أعتقد أن قلبه أو عقله مُلتزِمان بها تمامًا.

في لحظةٍ غير مُريحة من مُراجعة الذات، تساءلت عمَّا إن كان يمكن قول الشيء نفسه عنِّي وعن بيل. لكن الآن لم يكن الوقت والمكان المُناسبين للتفكير في ذلك. كنت قد قرأتُ ما يكفي من أفكار هوجو لأتساءَل عمَّا إذا كان جديرًا بالثقة تمامًا فيما يتعلَّق بمُهمتنا الصغيرة هذه. إنها مُجرَّد خطوة قصيرة من هناك إلى التساؤل عن مدى أمني في صُحبته. كما تساءلتُ عن مدى معرِفة هوجو آيريس بي فعلًا. إذ لم يكن في الغرفة في أثناء عملي في الليلة السابقة. لم تبدُ إيزابيل لي كشخصٍ يُثرثِر كثيرًا، ومن الممكن ألا يعرف الكثير عني.

تكوَّن الطريق من أربع مسارات، واخترق ضاحية ضخمة، واصطفَّت على جانبيه جميع محلَّات الوجبات السريعة المُعتادة وسلاسِل المتاجِر من كل الأنواع. لكن تدريجيًا، تلاشَت المتاجِر لتحل محلَّها المنازل، والخرسانة استُبدِلت بالخُضرة. بَدَت حركة المرور لا تتوقَّف. لا يمكنني أبدًا تخيُّل العيش في مكانٍ بهذا الحجم، والتعامُل مع هذا بشكلٍ يومي.

أبطأ هوجو من سُرعته وشغَّل إشارة الانعطاف عندما وصلنا إلى تقاطُع رئيسي. كنا على وشك الدخول إلى موقف سيارات كنيسة كبيرة؛ أو على الأقل، كانت كذلك في السابِق. كانت قاعة العبادة ضخمة، وفقًا لمعايير بون تيمبِس. إذ لا يمكن

سوى للكنائِس المعمدانيَّة في منطِقتنا جمع هذا العدد الكبير من المُصلِّين، وهذا إن انضمَّت جميع تجمُّعاتهم معًا. أحيط المبنى المُقدَّس المُكوَّن من طابِقين بجناحين طويلين من طابِق واحد. طُلِيَ المبنى بأكمله باللون الأبيض، وعُتِّمَت جميع نوافِذه. بينما أحاط عُشب أخضَر بشكلٍ غير طبيعي بالمبنى بأكمله، وموقف سيارات ضخم.

كُتِب على اللافِتة القائِمة على العشب المُعتنى به جيدا: **"زمالة مركز الشمس – فقط المسيح قام من بين الأموات"**. ضَحِكتُ وأنا أفتَح باب السيارة وأخرُج من سيارة هوجو. أشرتُ إلى رفيقي وقلت: "هذا خطأ تمامًا، فقد قام لعَازر من بين الأموات أيضًا. لا يمكن لهؤلاء الأغبياء حتى فهم كِتابهم المُقدَّس بشكلٍ صحيح".

حذَّرني هوجو، وهو يخرُج ويضغط على زِر القفل: "من الأفضل لكِ التخلُّص من هذا التفكير، فسيجعلكِ هذا في خطر. إنهم خطِرون. وأعلنوا مسؤوليتهم، علنًا، عن تسليم اثنين من مصَّاصي الدماء إلى المُستنزِفين، قائِلين إنه على الأقل يمكن للبشرية الاستفادة من موت مصَّاص دماء بطريقةٍ ما".

شعرتُ بالغثيان، وقلت: "هل يتعامَلون مع المُستنزِفين؟". إذ امتهَن المُستنزِفون مهنة خطيرة للغاية. حيث أوقعوا بمصَّاصي الدماء، ولفُّوهم بسلاسِل من الفضَّة، واستنزفوا دماءهم لبيعها في

السوق السوداء. تابعتُ حديثي: "هل سلَّم هؤلاء الناس مصَّاصي الدماء إلى المُستنزِفين؟".

"هذا ما قاله أحد أعضائهم في مقابلةٍ صحفيَّة. بالطبع، ظهر قائِدهم في نشرة الأخبار في اليوم التالي، نافيًا ذلك التقرير بشدَّة، لكنني أعتقد أن ذلك كان مُجرَّد تمويه. إذ تقتل الزمالة مصَّاصي الدماء بأي طريقة ممكنة، وتعتقد أنهم غير مُقدَّسين ورجس، وأنهم قادِرون على أي شيء. ويمكنهم الضغط عليك بشدَّة، إن كنت صديقة لهم. فقط تذكَّري ذلك كلما فتحتِ فمكِ هنا".

"أنت أيضًا يا سيِّد التحذيراتِ الغامِضة".

سرنا ببطءٍ إلى المبنى، ونحن نتفحَّصه في أثناء سيرنا. وقفَت حوالي عشر سيارات أخرى في موقف السيارات، تراوَحت بين سيارات قديمة ومُتهالِكة، وأخرى جديدة وراقية. كانت سيارتي المُفضَّلة هي لكزس بيضاء لؤلؤية اللون، جميلة جدًا حتى إنها قد تكون مملوكة لمصَّاص دماء.

لاحظ هوجو، فقال: "يبدو أن أحدهم يتربَّح جيدا من تجارة الكراهية".

"من هو رئيس هذا المكان؟".

"رجُل يُدعى ستيف نيولِن".

"أراهن أن هذه سيارته".

"من شأن هذا تفسير المُلصَق على سيارته".

أومأتُ برأسي. إذ كُتِبَ على المُلصَق: "**لنُعِد الموتى الأحياء إلى الموت**". كما تدلَّى من المرآة الداخلية نُسخة طِبق الأصل - حسنًا، ربما هي حقيقة - من وتدٍ خشبي.

ازدحم المكان بشدَّة، بالنسبة لظهيرة يوم سبت. لعِبَ بعض الأطفال على الأرجوحة وصالة الألعاب الرياضيَّة في فناءٍ مُسيَّجٍ بجانب المبنى. بدا الملل جليًا على المُراهِق الذي يُشرِف على الأطفال، وهو يتوقَّف بين الحين والآخر عن قضم أظافره ليرمقهم بنظرةٍ سريعة، لم يكن اليوم حارًا كيوم أمس - كان الصيف يودِّع آخر أيامه البائِسة، والحمد لله على ذلك - كما فتح باب المبنى للاستفادة من هذا الجو الجميل ودرجة الحرارة المُعتدِلة.

أمسَك هوجو بيدي، مما جعلني أقفِز قليلًا حتى أدركتُ أنه يحاول جعلنا نبدو كحبيبين. لم يكن لديه أي اهتمام بي شخصيًا، وهو ما كان جيدا بالنسبة لي. بعد لحظة من التكيُّف، تمكنا من أن نبدو طبيعيين إلى حدٍ ما. جعل هذا الاتِّصال عقل هوجو أكثر انفتاحًا بالنسبة لي، واستطعتُ الشعور بقلقه؛ وإن كان حازمًا. لقد وَجَد أن لمسي يُثير نفوره، وكان ذلك شعورًا قويًا للغاية بالنسبة لي لأشعُر بالراحة حياله؛ كان عدم الانجذاب أمرًا مقبولًا، لكن هذا النفور الفعلي جعلني غير مرتاحة. كان هناك شيء وراء هذا الشعور، بعض المواقف الأساسيَّة.. لكن كان هناك أشخاص أمامنا، وصببتُ جام تركيزي على

مُهمَّتي. وشعرتُ بابتسامةٍ ترتسِم على شفتي.

حرص بيل على ترك عُنقي وشأنه الليلة الماضية، لذا لم يكن عليّ القلق بشأن إخفاء أي علامات أنياب، وفي ملابسي الجديدة، وفي هذا اليوم الجميل، كان من الأسهَل أن أبدو خالية من الهموم ونحن نُحيي زوجين في منتصف العمر كانا في طريقهما إلى الخارج.

دخلنا إلى ظلام المبنى، إلى ما كان من الواضح أنه جناح مدرسة الأحد في الكنيسة. عُلقت لافِتات جديدة على الأبواب على طول الممر، لافِتات كُتِب عليها "الميزانيَّة والتمويل"، و"الإعلان"، والأكثر إثارة للقلق؛ "العلاقات الإعلاميَّة".

خرجَت امرأة في الأربعينيات من بابٍ في نهاية الممر وتوجَّهَت إلينا. بدت ودودة، بل حتى لطيفة، ببشرةٍ جميلة وشعر بُني قصير. تطابَق أحمر شفاهها الوردي تمامًا مع طلاء أظافرها الوردي، وبرزت شفتها السُفلى قليلًا، مما منحها لمسة غير متوقَّعة من الجاذبيَّة؛ وأضفى هذا التناقُض طابعًا مُثيرًا على جسدها المُستدير اللطيف. ارتدَت تنورة من الجينز وبلوزة محبوكة مُرتَّبة، تُشبِه إلى حدٍ ما أرتديه، وهنأتُ نفسي على ذلك.

سألتني بنبرةٍ مليئةٍ بالأمل: "هل يمكنني مُساعدتكما؟".

قال هوجو: "نُريد معرِفة المزيد عن الزمالة". بدا

لطيفًا وصادِقًا مثل صديقتنا الجديدة، ولاحظتُ أنها ارتدَت بطاقة اسم مكتوب عليها "**سـ نيولن**".

قالت: "نحن سُعداء بوجودكما هنا. أنا زوجة المدير، ستيف نيولن. اسمي سارة". صافحَت هوجو، لكنها لم تُصافحني، إذ لا تؤمِن بعض النساء بمُصافحة النساء الأخريات، لذا لم أقلق بشأن ذلك. تبادلنا كلمات الترحيب، ولوَّحت بيدها مطليَّة الأظافر نحو الأبواب المُزدوجة في نهاية الممر، وأضافَت: "إن تفضَّلتُما بالمجيء معي، فسأريكُما أين نقوم بعملنا". ضَحكِت قليلًا، وكأن فكرة تحقيق الأهداف كانت سخيفة بعض الشيء.

كانت جميع أبواب الممر مفتوحة، وداخل الغُرف بدا أن هناك دليلًا على نشاط مفتوح تمامًا. إن احتجزَت مُنظَّمة آل نيولن سُجناء أو قامت بعمليات سريَّة، فقد حقَّقت أهدافها في جُزءٍ آخر من المبنى. نظرتُ إلى كل شيء بعنايةٍ شديدة، مُصمِّمة على جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات. لكن حتى الآن، بدا الجزء الداخلي من زمالة الشمس نظيفًا، تمامًا مثل الجزء الخارجي، ولم يبدُ الناس أشرارًا أو مُخادعين.

سارَت سارة أمامنا بسلاسة، وهي تضُم حزمة من مُجلَّدات الملفَّات إلى صدرها، وتُدردِش معنا وهي تتحرَّك بخفَّة. ورغم أن خطوتها بدت مُريحة، إلا أنها كانت في الواقع سريعة إلى حدٍ ما، مما جعلني أنا وهوجو نتخلى عن التظاهُر بأننا حبيبين، ونُسرِع

للحاق بها.

أثبَت هذا المبنى أنه أكبر بكثيرٍ مما توقَّعته. دخلنا في الطرف البعيد لأحد الأجنِحة. والآن، عبرنا قاعة الكنيسة السابقة الكبيرة، التي جُهِّزَت للاجتماعات مثل أي قاعة كبيرة، وانتقلنا إلى الجناح الآخر. قُسِّم هذا الجناح إلى عدد أقل من الغُرف، ولكنها كانت أكبر حجمًا؛ كان من الواضح أن الغرفة الأقرب إلى القاعة هي مكتب القِس السابِق. وعُلق الآن على بابها لافِتة كُتِبَ عليها: "ج. ستيفن نيولِن، المدير".

كان هذا هو الباب المُغلَق الوحيد الذي رأيته في المبنى. طرقَت سارة عليه، وبعد انتظار للحظة، دخلت. وقف الرجُل الطويل الأنيق خلف المكتب، وحدَّق فينا بسعادةٍ غامرة. لم يبدُ رأسه كبيرًا بما يكفي ليُناسِب حجم جسده. كانت عيناه زرقاوين غائِمتين، وأنفه طويلًا، وشعره بُنيًا داكنًا مثل شعر زوجته، مع خصلات من الشيب. لا أعرف ما الذي كنت أتوقَّعه من شخصٍ مُتعصِّب، لكن هذا الرجُل لم يشبه ما تصوَّرته. بل بدا مُستمتِعًا قليلًا بحياته.

تحدَّث ستيف إلى امرأةٍ طويلةٍ ذات شعر رمادي فضِّي. ارتدَت بنطالًا وقميصًا، لكنها بدت وكأنها ستكون أكثر ارتياحًا في بدلة رسمية. وضعت كمية هائِلة من الزينة، وبدا عليها الانزعاج من شيءٍ ما.. ربما بسبب مُقاطعتنا لهما.

سأل ستيف نيولِن، وهو يُشير لنا أنا وهوجو

بالجلوس: "كيف يمكنني مُساعدتكما اليوم؟".

جلسنا على كراسي جلديَّة خضراء مسحوبة أمام مكتبه، وجلست سارة، دون أن يطلب منها ذلك، على كُرسي أصغر حجمًا كان موضوعًا بجانب الحائِط، وقالت لزوجها: "معذرةً يا ستيف، لكن هل أحضر لكُما بعض القهوة؟ أو المياه الغازية؟". تبادلنا أنا وهوجو النظر بعضنا إلى بعض، وهزرنا رأسينا بالنفي، ثم تابعت حديثها بابتسامةٍ ساحرةٍ مملوءةٍ بالاعتذار: "عزيزي، هذان.. عجبًا، لم أسألكما حتى عن أسمائكما؟".

أجابها: "أنا هوجو آيريسِ، وهذه صديقتي، ماريجولد". ماريجولد؟ هل فقد عقله؟ حافظتُ على ابتسامتي بصعوبة. ثم رأيتُ إناء زهور القطيفة، المعروفة بـ "ماريجولد" على الطاولة بجانب سارة، وعندها فقط استطعتُ فهم سبب اختياره للاسم. لقد ارتكبنا بالتأكيد خطأً كبيرًا بالفعل؛ إذ توجَّب علينا التحدُّث عن هذا الأمر في طريقنا إلى هنا. ومن المنطِقي أنه إن كانت "الزمالة" هي المسؤولة عن زرع جهاز التنصُّت، فلابُد وأنهم على درايةٍ باسم سوكي ستاكهاوس. حمدًا لله أن هوجو فكّر في ذلك.

سأل ستيف نيولن بملامح استفسار مثالية، وجبين مُجعَّد قليلًا، وحاجبين مرفوعين باستفسار، ورأس مائِل إلى أحد الجانبين: "ألا نعرف هوجو آيريس يا سارة؟".

قالت المرأة ذات الشعر الرمادي: "آيريس؟ بالمُناسبة، أنا بولي بليث، المسؤولة عن مراسِم الزمالة".

أمالَت سارة رأسها إلى الخلف، وقالت: "عجبًا يا بولي، أنا آسفة، لقد تشتَّت انتباهي". تجعَّد جبينها قليلًا، ثم انبسطَت أساريرها، وابتسمَت لزوجها ثم أضافَت: "ألم يكن هناك مُحامٍ يُدعى آيريس يُمثِّل مصَّاصي الدماء في جامِعة بارك؟".

قال ستيف، مُستنِدًا إلى كُرسيه وهو مُتقاطِع الساقين: "بلى، كان كذلك". لوَّح بيده لأحد المارَّة في الممر، ثم شبك أصابعه حول رُكبته، ثم أضاف: "حسنًا، إن زيارتك لنا أمرٌ مُثيرٌ للاهتمام يا هوجو. هل يمكننا أن نأمَل بأنَّك بدأتَ ترى الجانب الآخر من قضيَّة مصَّاصي الدماء؟". فاح الرضا من ستيف نيولِن كالرائحة الكريهة التي تنبعِث من الظربان.

قال هوجو: "إنه وصف مُناسِب بالفعل لما يجري..".

لكن ستيف استمرَّ في الحديث دون توقُّف: "جانب مصّ الدماء، الجانب المُظلِم من وجود مصَّاصي الدماء؟ هل اكتشفتَ أنهم يريدون قتلنا جميعًا؟ والسيطرة علينا بطُرقهم الدنيئة ووعودهم الزائِفة؟".

عرفتُ أن عينيَّ اتَّسعتا بشدَّة. أومأت سارة برأسها بتفكير، ولا تزال تبدو حُلوة ولطيفة كحلوى الفانيليا. بَدَت بولي وكأنها تمُر بتجرُبةٍ غريبةٍ من

اللذّة المظلِمة. أما ستيف، فقال دون التخلي عن ابتسامته: "أتعلمون، قد تبدو الحياة الأبديّة على هذه الأرض فكرة رائعة، لكنك ستفقدك روحك، وفي نهاية المطاف، عندما نلحق بك - ربما ليس أنا بالطبع، بل ربما ابني، أو حفيدتي في يومٍ من الأيام - سنغرِس وتدًا في قلبك ونحرقك، وحينها ستجِد نفسك في الجحيم الحقيقي. ولن يكون الأمر أسهَل لمُجرَّد تأجيله. فالله لديه رُكن خاص في الجحيم لمصّاصي الدماء الذين استهلَكوا البشر مثل مناديل الحمّام قبل أن يتخلّصوا منهم..".

حسنًا، كان الوضع يسوء بسرعة. وما استشعرته من ستيف كان مُجرَّد شعورَ لا نهائي بالانتشاء والتلذُّذ، مُضافًا إليه قدر كبير من المكر. لا شيء ملموس أو مُفيد حقًّا.

سُمع صوت عميق: "معذرةً يا ستيف". استدرتُ في مقعدي لأرى رجلًا وسيمًا ذا شعر أسود قصير وعضلات مفتولة. ابتسم لجميع الموجودين في الغرفة بنفس الروح الطيّبة التي أظهروها جميعًا. أثار إعجابي في البداية. أما الآن، فقد بدأتُ أعتقد أنه مُخيف. تابع حديثه: "ضيفنا يسأل عنّك".

"حقًّا؟ سأكون هناك في غضون دقيقة".

نظر إلينا الرجل الأسود ذو الشعر القصير بالتماس، وقال: "أتمنّى لو تأتي الآن، وأعتقِد أن ضيوفك لن يمانعوا في الانتظار، أليس كذلك؟". بدا هوجو وكأنه

غارِق في أفكاره، التي بَدَت لي غريبةً للغاية.

قال ستيف بحزمٍ شديد: "سآتي عندما أنتهي من ضيوفنا يا جيب".

لم يكن جيب مُستعِدًا للاستسلام بهذه السهولة، لذا قال: "حسنًا يا ستيف..". لكنه تلقى نظرة حادَّة من ستيف، الذي اعتدل في جلسته وفكّ ساقيه. فَهِم جيب الرسالة، ورَمَق ستيف بنظرةٍ بعيدة كل البعد عن الإعجاب، لكنه غادَر. حمل ذلك التبادُل وعودًا مُثيرة. تساءلتُ عمَّا إذا كان فاريل مُحتجزًا خلف أحد الأبواب المُغلقة، وتخيَّلتُ نفسي أعود إلى عُرُن دالاس، لأخبر ستان بمكانِ احتجاز أخيه في العُرُن. ثم..

يا إلهي، ثم سيأتي ستان ويُهاجِم جماعة "زمالة الشمس"، ويقتل جميع الأعضاء، ويُحرِّر فاريل، وبعد ذلك..

يا إلهي!

***

تساءَل هوجو بشكلٍ مُعتدِل، دون حدَّة: "أردنا فقط معرِفة ما إن كان لديكُم أي فعاليات قادمة يمكننا حضورها، شيء يُعطينا فكرة عن نِطاق البرامِج هنا. وبما أن الآنِسة بليث هنا، ربما يمكنها الإجابة عن ذلك".

لاحظتُ أن بولي بليث نظرَت إلى ستيف قبل أن

تتحدّث، كما لاحظت أيضًا أن وجهه ظلّ خاليًا من التعبيرات. سُرّت بولي بليث بشدّةٍ عندما طُلِب منها تقديم المعلومات، وسُرّت للغاية بوجودي أنا وهوجو في الزمالة.

قالت المرأة ذات الشعر الرمادي: "لدينا بعض الفعاليات القادمة. ولدينا الليلة حفل مبيت خاص، وبعد ذلك، لدينا طقوس فجر الأحد".

قلت: "يبدو ذلك مُثيرًا للاهتمام. حرفيًا، عند الفجر؟".

قالت سارة ضاحِكة: "نعم، بالضبط. نتصل بخدمة الأرصاد الجويَّة وكل شيء".

قال ستيف: "لن تنسى قط أحد طقوس الفجر لدينا. إنها مُلهِمة لأبعد الحدود".

سأله هوجو: "ما نوع الـ.. حسنًا، ماذا يحدث؟".

قال ستيف مُبتسِمًا: "سترى الدليل على قدرة الله أمام عينيك".

بدا ذلك مشؤومًا للغاية. قلت: "بحقك يا هوجو، ألا يبدو ذلك مشوِّقًا؟".

"بالتأكيد يبدو كذلك. متى يبدأ حفل المبيت؟".

"في الساعة السادسة والنِصف. نُريد أن يصل أعضاؤنا إلى هنا قبل أن ينهضوا(7)".

وللحظة، تخيَّلتُ صينية من الخُبز الساخِن متروكة

في مكانٍ دافئ. ثم أدركتُ أن ستيف يقصد أنه يريد وصول الأعضاء إلى هنا قبل نهوض مصّاصي الدماء في المساء.

لم أستطع منع نفسي من التساؤل: "ولكن ماذا عن موعِد عودة جماعتك إلى المنزل؟".

قالت سارة: "عجبًا، لا بد وأنكِ لم تذهبي إلى حفل مبيت في مُراهقتكِ! إنها مُمتِعة للغاية. يأتي الجميع ويحضَرون أكياس نومهم، ونأكل، ونلعب، ونقرأ من الإنجيل، ونستمِع إلى عظَة، ونقضي الليل فعليًا في الكنيسة". لاحظتُ أن الزمالة كانت كنيسة، في نظر سارة، وتأكّدتُ من أن ذلك يعكِس وجهة نظر بقيّة الإدارة. إذا بدت ككنيسة، وعملت ككنيسة، فلابُد وأنها كنيسة، بغضّ النظر عن وضعها الضريبي.

كنت قد حضرتُ عدّة حفلات مبيت في مُراهقتي، وبالكاد استطعتُ تحمُّل التجرُبة. حفنة من المُراهقين محبوسين في مبنى طوال الليل، تحت إشراف صارِم، ومزوَّدين بسيلٍ لا ينتهي من الأفلام، والوجبات السريعة، والأنشِطة، والمشروبات الغازية. وعانيتُ من قصف ذهني لأفكار واندفاعات المُراهقين المشحونة بالهرمونات، والصراخ والانفعالات.

أقنعتُ نفسي أن هذا سيكون مُختلِفًا. إذ سيكون هؤلاء أشخاصًا بالغين، وجادِّين أيضًا. لم يكن من المُحتمل تواجُد مليون كيس من رقائِق البطاطا

حولنا، وربما تكون هناك ترتيبات نوم لائِقة. إن جئتُ أنا وهوجو، فقد نحصل على فرصةٍ للتجوُّل في أرجاء المبنى وإنقاذ فاريل، لأنني كنت واثِقة من أنه سيكون هو الشخص الذي سيُقابِل شروق شمس الأحد، سواء كان له الخيار في ذلك أم لا.

قال بولي: "ستكونان موضع ترحيب كبير، لدينا الكثير من الطعام والأسِرَّة".

نظرنا أنا وهوجو بعضنا إلى بعض بتردُّد.

اقترحَت سارة: "لماذا لا نذهب في جولةٍ في المبنى الآن، ويمكنكُما رؤية كل شيء؟ وبعد ذلك يمكنكُما اتخاذ القرار".

أمسكتُ يد هوجو وشعرتُ بتردُّدٍ قويٍّ يشع منه. امتلأتُ بالانزعاج من مشاعِره المُتضارِبة. فكّر: لنخرُج من هنا.

تخلَّيتُ عن خِططي السابقة. إن شعر هوجو بمثل هذا الاضطراب، فلا داعي لبقائنا هنا. يمكننا تأجيل الأسئلة لوقتٍ لاحِق. قلت بمرح: "ينبغي أن نعود إلى المنزل، ونحزم أكياس النوم والوسائِد. أليس كذلك يا حبيبي؟".

قال هوجو: "وعلينا كذلك إطعام القطَّة، ولكننا سنعود إلى هنا في.. الساعة السادسة والنصف، كما قلت؟".

"يا إلهي يا ستيف، أليس لدينا بعض أكياس النوم

في غرفة التخزين؟ من ذلك الوقت عندما بقيَ الزوجان الآخران هنا لبعض الوقت؟".

قال ستيف بحماسٍ شديد وابتسامةٍ مُشرقةٍ كعادته: "نود حقًّا أن تبقيا هنا لحين وصول الجميع". وعرفتُ أننا نتعرَّض للتهديد، وكذلك أننا بحاجةٍ إلى الخروج من هنا، لكن كل ما استشعرته نفسيًا من آل نيولِن كان جدارًا من العزم والإصرار. بَدَت بولي بليث وكأنها في حالةٍ من التشفِّي تقريبًا. وكرهتُ فكرة الضغط والاستقصاء، بعد إدراكي أن لديهم بعض الشكوك بشأننا. وعدتُ نفسي أننا لو تمكنَّا من الخروج من هنا الآن، فلن أعود أبدًا. سأتخلَّى عن هذا التحقيق لصالِح مصَّاصي الدماء، وسأكتفي بعملي في الحانة ومُضاجعتي لبيل.

قلت بنبرةٍ تجمَع بين الحزم واللباقة: "يجب علينا الذهاب حقًّا، لقد انبهرنا بكُم جميعًا هنا، ونريد القدوم لحفل المبيت الليلة، ولكن لا يزال هناك مُتَّسع من الوقت لنُنجِز بعض المهام قبل الموعِد. تعلمون كيف يبدو الأمر عندما تعملون طوال الأسبوع. كل تلك الأمور الصغيرة تتراكم".

قال ستيف: "مهلًا، ستظل كل تلك الأمور بانتظاركم عندما ينتهي حفل المبيت غدًا! أنتُما بحاجةٍ للبقاء، كلاكُما".

لم يكن هناك أي طريقة للخروج من هنا دون التضحية بكشف حقيقة الأمور. ولم أكن أرغب في

أن أكون البادِئة بذلك، ليس بينما كان هناك أي أمل في أن نخرُج بسلام. كان هناك الكثير من الناس في المكان. انعطفنا يسارًا عندما خرجنا من مكتب ستيف نيولِن، وسار ستيف خلفنا، وبولي إلى يميننا، وسارة أمامنا، توجَّهنا إلى نهاية القاعة. وكلما مررنا ببابٍ مفتوح، نادى شخص ما في الداخل: "هل يمكنني رؤيتك لدقيقة يا ستيف؟". أو: "يقول إد أن علينا تغيير صياغة ذلك يا ستيف!". ولكن باستثناء طرفة عين أو ارتعاشة طفيفة في ابتسامته، لم أستطع رؤية رد فعل كبير من ستيف نيولِن تجاه تلك المطالِب المستمرة.

تساءلتُ كم سيستمِر هذه التَحرُّك إن أزيحَ ستيف. ثم شعرتُ بالخجل من نفسي لأن ما فكّرتُ فيه حقًّا، هو "إن قُتِل ستيف". بدأتُ أفكِّر أن أيًّا من سارة أو بولي قد تكون قادِرة على أن تحل محله إن أتيحَت لها الفرصة، لأن كلتيهما بدتا وكأنما قُدَّتا من الفولاذ.

بدت جميع المكاتِب بريئة تمامًا، إن اعتبرنا أن الغرض الذي تأسَّسَت عليه هذه المُنظَّمة بريئة. فقد بدوا جميعًا كأمريكيين عاديين، بل أكثر أناقة من المُعتاد، وحتى إن هناك بعض الأشخاص غير القوقازيين.

وشخصٌ غير بشري.

مررنا بامرأةٍ صغيرة نحيلة من أصول إسبانيَّة في الممر، وبينما تحرَّكَت عيناها نحونا، شعرتُ بإشارةٍ

عقليةٍ لم أشعُر بها إلا مرّة واحدة فقط من قبل، حين جاءت من سام ميرلوت. كانت هذه المرأة، مثل سام، مُتحوِّلة. واتسعَت عيناها الكبيرتان عندما التقطَت موجة "الاختلاف" مني. حاولتُ النظر في عينيها، وللحظةٍ تبادلنا النظرات؛ حاولتُ إرسال رسالة لها، وحاولت هي عدم استقبالها.

قالت سارة بينما واصلت المرأة الضئيلة سيرها سريعًا في الممر: "هل أخبرتكِ أن أول كنيسة أقيمَت في هذا الموقِع بُنِيَت في أوائِل الستّينات؟". التفتَت لتنظُر خلفها، وتلاقَت أعيُننا مرّة أخرى. امتلأت عيناها بالخوف، بينما صرخَت عيناي: "النجدة".

قلت، مُندهِشةً من التحوُّل المفاجئ في المُحادثة: "لا".

حثَّتني سارة بلطف: "فقط قليلًا بعد، وسنكون قد رأينا الكنيسة بأكملها". وصلنا إلى آخر باب في نهاية الممر. كان الباب المقابل في الجناح الآخر يؤدِّي إلى الخارج. وأفترض أن يكون الجناحان مُتطابقين تمامًا من الخارج. ومن الواضح أن مُلاحظتي كانت خاطِئة، ومع ذلك..

قال هوجو بنبرةٍ ودودة: "إنه مكان واسع بالفعل". وبدا أن كل المشاعِر المُتناقِضة التي أزعجته، قد تبدَّدت تمامًا. إذ لم يعد يبدو قلقًا على الإطلاق. لا يمكن إلا لشخصٍ لا يمتلك أي حس نفسي على الإطلاق ألا يشعر بالقلق من هذا الوضع.

وكان هذا هوجو، الذي لا يتمتّع بأي حسّ نفسي على الإطلاق. بدا مُهتمًا فقط عندما فتحت بولي الباب الأخير، المُسطّح في نهاية الممر، والذي أفترض به أن يؤدّي إلى الخارج.

لكنه، بدلًا من ذلك، أدّى إلى الأسفل.

الفصل السادس

قلت بسرعة: "بالمُناسبة، أنا أعاني من رهاب الأماكن الضيِّقة. لم أكن أعلم أن العديد من مباني دالاس تحتوي على قبو، ولكن بصراحة، لا أعتقد أنني أرغب في رؤيته". تشبَّثت بذراع هوجو، وحاولت الابتسام بطريقةٍ جذَّبة ولكن متواضِعة.

دقَّ قلب هوجو كالطبل؛ لأنه شعر بالخوف الشديد.. أقسِم أنه كان كذلك. أمام تلك السلالِم، وبطريقةٍ ما، بدا أن هدوءه قد بدأ يتلاشى مرة أخرى. ما خطب هوجو؟ الذي رغم خوفه، إلا أنه ربت على كتفي بلطف وابتسم باعتذارٍ لرفاقِنا مُغمغِمًا: "ربما يجب علينا الذهاب".

قالت سارة وهي تضحَك: "لكنني أعتقد حقًّا أنه يجب عليكما رؤية ما لدينا في الأسفل. في الواقع، لدينا ملجأ ضِد القنابِل، مُجهَّز بالكامل، أليس كذلك يا ستيف؟".

وافقها ستيف الرأي قائلًا: "لدينا كل أنواع الأشياء هناك". كان لا يزال يبدو مُسترخيًا وودودًا وواثِقًا، لكنني لم أعُد أرى هذه الصفات على أنها إيجابيَّة أو حميدة. تقدَّم خطوة للأمام، وبما أنه كان خلفنا، اضطُرِرتُ إلى التقدُّم إلى الأمام لأتفادى لمسه، وهو أمر لم أرغب فيه على الإطلاق.

قالت سارة بحماس: "هيا بنا! أراهن أن جيب في الأسفل، ويمكن لستيف الذهاب لرؤية ما يريده في

أثناء إلقائنا نظرة على بقيّة المُنشأة".

نزلَت السلالِم بخفّة، بنفس السرعة التي تحرّكت بها في الممر، ومؤخِرتها المُستديرة تتمايل بطريقةٍ كنت سأراها لطيفة لو لم أكن على وشك الشعور بالذُعر.

أشارَت بولي إلينا بالنزول أمامها، فنزلنا. تماشيتُ مع الأمر لأن هوجو بدا واثقًا تمامًا من أنه لن يُصاب بأي أذى. استشعرتُ ذلك بوضوحٍ تام؛ لقد تلاشى خوفه السابِق تمامًا. بدا وكأنه قد استسلَم لبرنامجٍ ما، وتلاشَت كل مشاعِره المُتضارِبة. عبثًا، تمنّيتُ لو كان من الأسهل قراءة أفكارهِ. حاولت التركيز على ستيف نيولِن، لكن كل ما استشعرته منه كان جدارًا سميكًا من الرضا عن النفس.

واصلنا النزول على الدرج، رغم أن خطواتي بدأت تتباطأ، ثم تباطأت أكثر. استطعتُ القول بأن هوجو مُقتنِع تمامًا بأنه سيصعَد هذه السلالِم مرة أخرى؛ ففي النهاية، إنه شخص مُتحضّر، وكل من حوله هنا أشخاص مُتحضّرون.

لم يكن بإمكان هوجو تصوُّر أنه قد يحدث له أي شيء لا يمكن إصلاحه، فهو أمريكي أبيض من الطبقة الوُسطى، حاصِل على تعليمٍ جامعي، شأنه شأن جميع الأشخاص الذين كانوا معنا على الدرج.

أما أنا فلم يكن لديّ مثل هذه القناعة، ولم أكن شخصًا مُتحضّرًا تمامًا.

كانت تلك فكرة جديدة ومُثيرة للاهتمام، ولكن مثل العديد من أفكاري في تلك الظهيرة، توجَّب عليَّ تنحيتها جانبًا، لأستكشِفها في وقت فراغي. إن حظيتُ بوقت فراغ مرَّة أخرى.

في أسفل الدرج انتظرنا باب آخر، طرقته سارة بنمطٍ مُعيَّن. ثلاث طرقات سريعة، وقفة، ثم طرقتان سريعتان، هكذا سجَّل عقلي. وسمعتُ أقفالًا تُفتَح.

فتح الرجُل الأسود ذو الشعر القصير - جيب - الباب، وقال بحماس: "عجبًا، لقد جلبتُم لي بعض الزوَّار، هذا رائِع!".

دَسَّ قميصه البولو بعنايةٍ في سرواله "الدوكرز" المكوي بعنايةٍ، وبدا حذاؤه "النايكي" جديدًا ونظيفًا تمامًا، كما بدا حليق الذقن بدقَّة وكأنه استخدم شفرة حادَّة للغاية. كنت مُستعِدَّة للمُراهنة على أنه يقوم بخمسين تمرين ضغط كل صباح. ساد شعور خفي بالحماس في كل حركاته وإيماءاته؛ وبدا جيب مُتحمِّسًا بشدَّةٍ لشيءٍ ما.

حاولتُ "قراءة" الأجواء بحثًا عن حياة، لكنني كنت مُضطرِبة للغاية حتى إنني لم أستطع التركيز.

قال جيب: "أنا سعيد بوجودك هنا يا ستيف. ربما يمكنك إلقاء نظرة على غرفة الضيوف، بينما تستعرِض سارة الملجأ لضيوفنا". أومأ برأسه نحو الباب في الجانب الأيمَن من الممر الخرساني الضيِّق. حيث قبع باب آخر في نهايته، وباب إلى

اليسار.

كرهتُ المكان هنا. كنت قد تذرَّعتُ برهاب الأماكن الضيِّقة للخروج من هنا، لكنني أدركتُ الآن، بعد إرغامي على نزول الدرج، أنه كان شعورًا حقيقيًا لديَّ. الرائحة العفِنة، وسطوع الإضاءة الاصطناعيَّة، والشعور بالعُزلة.. لقد كرهتُ كل شيء هنا. لم أرغب في البقاء. بدأت راحتا يديَّ تتعرَّقان، وشعرتُ بقدمي وكأنهما مُتجذِّرتان في الأرض.

همست واليأس يجتاح صوتي، حقيقة لا تظاهُرًا: "لا أريد فعل ذلك يا هوجو". لم أحب سماعه، لكنه كان موجودًا.

قال هوجو مُعتذرًا: "إنها حقًّا بحاجةٍ إلى العودة للطابِق العُلوي. إن لم يكن لديكم أي مانِع، سنعود إلى الأعلى، وننتظركُم هناك".

استدرتُ على أمل نجاح هذا الاقتراح، لكنني وجدتُ نفسي أواجِه ستيف. لم يعد يبتسِم بعد الآن، وقال بصوتٍ صارمٍ لا يحتمِل أي نقاش: "أعتقد أنكما بحاجةٍ للانتظار في الغرفة الأخرى هناك، ريثما أنتهي من عملي، ثم سنتحدَّث". فتحت سارة الباب لتكشِف عن غرفة صغيرة فارغة تحتوي على كُرسيين وسريرين صغيرين.

قلت: "لا، لا يمكنني فعل ذلك". ودفعتُ ستيف بكل قوَّتي. وكنت قويَّة للغاية، قويَّة للغاية فعلًا، منذ أن شربتُ دم مصَّاصي الدماء. ورغم حجمه، إلا أنه

ترنّح. هرعتُ نحو السلالِم بأسرَع ما يمكن، لكن يدًا أطبقَت حول كاحلي، وسقطتُ بطريقةٍ مؤلمةٍ للغاية. ضربتني حواف السلالِم في كل مكان؛ على عظمة وجنتي اليسرى، وصدري، وعظام فخذي، وركبتي اليسرى. آلمني ذلك بشدّةٍ حتى إنني كدتُ أتقيّأ.

قال جيب وهو يجذِبني لأنهض: "تعالي أيتها السيدة الصغيرة".

صرخ هوجو، بانزعاجٍ شديد: "ماذا فعلت؟ كيف أمكنك إيذاؤها بهذه الطريقة؟ لقد جِئنا إلى هنا بنيّة الانضمام إلى جماعتكم، وهذه هي الطريقة التي تُعامِلوننا بها؟".

نصحَني جيب ببرود: "توقّفا عن التمثيل". ولوى ذراعي خلف ظهري قبل أن أستعيد عافِيتي من السقوط. شهقتُ من الألم الجديد، ودفعني نحو الغرفة، وفي اللحظة الأخيرة قبل إغلاق الباب، مدَّ يده وانتزع شعري المُستعار من على رأسي.

دخل هوجو خلفي، رغم أنني شهقت: "لا!". ثم أغلقوا الباب خلفه.

وسمعنا صوت القِفل، وهكذا انتهى الأمر.

قال هوجو: "هناك كدمة على عظمة وجنتكِ يا سوكي".

تمتمَت بضعف: "يا للمُفاجأة!".

"هل تأذّيتِ بشدّة؟".

"ما رأيك؟".

أخذ كلامي حرفيًا، وقال: "أعتقد أنكِ مُصابة ببعض الكدمات وربما ارتجاج في المُخ. لكنك لم تكسري أي عظام، أليس كذلك؟".

أجبته: "ليس أكثر من عظمة أو اثنتين".

قال هوجو: "من الواضح أنكِ لم تتأذي بشدة بما يكفي لتتخلّي عن السُخرية". كان من الواضح أنه لو شعر بالغضب مني، لكان هذا سيُخفّف عنه، وتساءلتُ عن السبب. لكنني لم أتساءل عن ذلك، إذ كنت متأكدة من أنني أعلم السبب.

استلقيتُ على أحد السريرينَ الصغيرين، ووضعتُ ذراعي على وجهي، محاولة استجماع أفكاري والغرق في عُزلتي. لم نتمكن من سماع الكثير مما يحدث في الممر بالخارج. ذات مرة ظننتُ أنني سمعتُ بابًا يُفتَح، وسمعنا بعض الأصوات الخافِتة، لكن هذا كل شيء. لقد بُنِيَت هذه الجدران لتصمُد أمام انفجار نووي، لذا أعتقد أن الهدوء كان متوقّعًا.

سألتُ هوجو: "هل معك ساعة؟".

"نعم، إنها الخامسة والنصف".

ما زال لدينا حوالي ساعتين حتى يستيقِظ مصّاصو الدماء.

تركته يغرِق في صمته. عندما شعرتُ أن هوجو، الذي يصعُب قراءة ما يدور في ذهنه، قد غرق في

أفكاره، فتحتُ عقلي واستمعتُ بكل انتباهي.

"لم يُفترَض بهذا أن يحدث، ولا يُعجبني ذلك، بالتأكيد سيكون كل شيء على ما يرام، ماذا لو احتجنا إلى الذهاب للحمَّام، لا يمكنني قضاء حاجتي أمامها، ربما لن تعرف إيزابيل أبدًا، وتوجَّب عليَّ معرِفة ذلك بعد تلك الفتاة الليلة الماضية، كيف يمكنني الخروج من هذا والاستمرار في مُمارسة المُحاماة، إن بدأتُ في إبعاد نفسي بعد الغد، ربما أتمكن من الانسحاب ببطء..".

ضغطتُ بذراعي على عيني بقوة كافيةٍ لتؤلمني، لأمنع نفسي من النهوض والإِمساك بكُرسي وضرب هوجو آيريس حتى يفقِد وعيه. لم يكن هوجو يفهم قدرتي على قراءة الأفكار، وكذلك الزمالة، وإلا لما تركوني هنا معه.

أو ربما كان هوجو مُستهلكًا بالنسبة لهم كما كان بالنسبة لي. وبالتأكيد، إنه كذلك بالنسبة لمصَّاصي الدماء؛ لم أستطع الانتظار لأخبر إيزابيل أن فتاها المُدلَّل كان خائِنًا.

هدَّأ ذلك من شهوتي للانتقام. وعندما أدركتُ ما ستفعله إيزابيل بهوجو، عرفتُ أنني لن أشعُر برضا حقيقي إن شهدتُ ذلك. في الواقع، كان ذلك ليرعبني ويُصيبني بالاشمئزاز.

ولكن جُزءًا مني اعتقد أنه يستحِق ذلك تمامًا.

لمَن يَدين هذا المُحامي مُتضارِب الولاء؟ لا توجَد

سوى طريقة واحدة لمعرفة ذلك.

جلستُ بصعوبة، وأسندتُ ظهري إلى الجدار. سأتعافى بسرعة - بفضل دماء مصّاصي الدماء، مرة أخرى - لكنني ما زلتُ بشريّة، وما زلتُ أشعُر بالسوء. عرفتُ أن وجهي أصيب برضوضٍ شديدة، واستعددتُ للاعتقاد بأن عظمة وجنتي مكسورة. إذ بدأ الجانب الأيسَر من وجهي يتورّم بشدّة. لكن ساقيّ لم تنكسِرا، ولا يزال بإمكاني الركض، إن سنحت لي الفرصة؛ وهذا هو الشيء المُهم.

وبمُجرّد استعادتي لقوّتي وحصولي على أكبر قدر ممكن من الراحة، قلت: "منذ متى وأنت خائِن يا هوجو؟".

احمرّ وجهه بشكلٍ لا يُصدَّق، وهو يسألني: "لمَن؟ لإيزابيل أم للجنس البشري؟".

"اختر ما شِئت".

"لقد خُنتُ الجنس البشري عندما وقفتُ إلى جانب مصّاصي الدماء في المحكمة. لو كنت أعلم حقيقتهم.. لقد تولّيتُ القضيّة دون أن أراهم بعيني، لأنني اعتقدتُ أنها ستُمثّل تحديًا قانونيًا مُثيرًا للاهتمام. فلطالما كنت مُحاميًا يُدافِع عن الحقوق المدنيّة، ومُقتنِعًا بأن مصّاصي الدماء يتمتّعون بنفس الحقوق المدنيّة للآخرين".

قلت، محاولة عدم إظهار رأيي الصريح: "بالطبع".

تابع هوجو بصوتٍ مريرٍ مليء بالتعب: "اعتقدتُ أن منعهُم من العيش في أي مكانٍ يريدونه أمر غير أمريكي، حسبما أعتقد". وظهرَت على وجهه علامات المرارة والضجر من العالَم.

لم يكن قد رأى مرارة بعد.

"لكن أتعرفين يا سوكي؟ إن مصّاصي الدماء ليسوا أمريكيين. ولا هُم سود أو آسيويين أو هنود. وليسوا روتاريين أو معمدانيين. إنهم ببساطةٍ مُجرَّد مصّاصي دماء عاديون. هذا هو لونهم، وديانتهم، وجنسيّتهم".

حسنًا، هذا ما يحدث عندما تعيش أقليّة في الخفاء لآلاف السنين. وهذا بديهي، أليس كذلك؟

"في ذلك الوقت، اعتقدتُ أن ستان ديفيس له الحق كأي أمريكي في العيش في طريق "جرين فالي"، أو في غابة المئة فدّان. لذا دافعتُ عنه ضِد رابطة الحي، وفُزت. وكنت فخورًا للغاية بنفسي. ثم تعرَّفتُ على إيزابيل، وأخذتها إلى سريري ذات ليلة، وشعرتُ بالجرأة، وبأنني رجُل حقيقي، ومُفكِّر مُتحرِّر".

حدَّقتُ في وجهه، دون أن أرمِش أو أنبُس ببنت شفة.

"كما تعلمين، إن الجنس معهُم رائِع، بل هو الأفضل. واستُعبِدتُ لها، ولم أكتفِ أبدًا. تأثَّر عملي، وبدأت باستقبال العُملاء بعد الظهيرة فقط، لأنني

لم أستطع الاستيقاظ في الصباح. لم أعُد قادرًا على اللحاق بمواعيد المحكمة الصباحية، ولم أكن أستطيع ترك إيزابيل بعد حلول الظلام".

بدا لي هذا أشبه بقصّة مُدمِن كحول. لقد أدمَن هوجو مُمارسة الجنس مع مصّاصة دماء. لقد وجدتُ الفكرة مُذهِلة ومُثيرة للاشمئزاز.

تابع حديثه قائلًا: "بدأت أقوم ببعض الأعمال الصغيرة التي طلبتها مني. في الشهر الماضي، اعتدتُ الذهاب إلى هناك، لأقوم بأعمال النظافة، فقط لأبقى بالقرب من إيزابيل. وعندما طلبَت مني إحضار وعاء الماء إلى غِرفة الطعام، شعرتُ بالحماس. لا لقيامي بمثل هذه المُهِمَّة الوضيعة - فأنا مُحامٍ، بحق الله! - ولكن لأنهم كانوا قد اتَّصلوا بي من الزمالة، وسألوني إن كان بإمكاني تزويدهم بأي معلومات عمَّا ينوي مصّاصو دماء دالاس القيام به. عندما اتَّصلوا بي، كنت أستشيط غضبًا من إيزابيل؛ إذ كنا قد تشاجرنا بسبب طريقة تعامُلها معي. لذا، كنت مُنفتِحًا لسماعهم. سمعتُ اسمكِ يتردَّد بين ستان وإيزابيل؛ فنقلته إلى الزمالة. لديهم رجُل يعمل لدى شركة أنوبيس للطيران، وقد اكتشف موعِد وصول طائِرة بيل، وحاول اختطافكِ في المطار ليعرفوا ما الذي يريده مصّاصو الدماء منك، وماذا سيفعلون لاستعادتكِ. عندما دخلتُ حاملًا وعاء الماء، سمعتُ ستان أو بيل يُنادونكِ باسمك، لذا عرفتُ أنهم فشلوا في مُهِمَّتهم في

المطار. وشعرتُ بأن لديّ شيئًا لأخبرهم به، ليعوِّض عن فشل جهاز التنصُّت الذي زرعته في غرفة الاجتماعات".

قلت: "لقد خُنتَ إيزابيل، وخُنتني أيضًا، رغم أنني بشريَّة مثلك".

أجابني دون أن ينظر في عيني: "حقًّا؟".

"ماذا عن بيثاني روجرز؟".

قال بتردُّد: "النادلة؟". إنه يحاول كسب الوقت.

أجبته: "النادلة الميِّتة".

هزَّ رأسه من جانبٍ إلى آخر، وكأنه ينفي ما حدث، ثم قال: "لقد أخذوها.. ولم أكن أعلم ما الذي سيفعلونه بها. عرفتُ أنها كانت الوحيدة التي رأت فاريل مع جودفري، وأخبرتهم بذلك. وعندما استيقظتُ اليوم، وسمعتُ أنهم وجدوها ميِّتة، لم أستطع تصديق ذلك".

"لقد اختطفوها بعد أن أخبرَتهم أنها كانت في منزل ستان، وبأنها الشاهِدة الحقيقيَّة الوحيدة".

أجابني: "نعم، لا بد أنهم فعلوا ذلك".

"لقد اتَّصلتَ بهم الليلة الماضية".

قال: "نعم، لديَّ هاتِف خلوي. خرجتُ إلى الفِناء الخلفي، واتَّصلتُ بهم. كنت أجازِف حقًّا، لأنك تعرفين مدى قدرة مصَّاصي الدماء على سماع كل

شيء، لكنني اتصلت". حاول إقناع نفسه بأن ذلك كان عملًا شُجاعًا وجريئًا. إجراء مُكالمة من مقر مصّاصي الدماء للإبلاغ عن بيثاني المسكينة، التي انتهى بها المطاف مقتولة في زقاق.

"لقد أطلقوا عليها النار بعد خيانتك لها".

"نعم، أنا.. لقد سمعتُ ذلك في الأخبار".

"خمّن من الذي فعل ذلك يا هوجو؟".

أجابني مُتردِّدًا: "لا.. لا أعرف".

"بل تعرف يا هوجو، لأنها شاهِدة عيان، وكانت عبرة.. لمصّاصي الدماء. درسًا يقول هذا ما سنفعله بمن يعملون لصالحكم أو يكسبون رزقهم منكُم، إنِ خالفوا الزمالة. ماذا تعتقد أنهم سيفعلون بك يا هوجو؟".

قال مُندهشًا: "لقد كنت أساعدهم".

"ومن الذي يعرف ذلك؟".

"لا أحد".

"إذن من الذي سيموت؟ المُحامي الذي ساعَد ستان ديفيس على العيش حيثما يريد".

وجد هوجو نفسه عاجزًا عن الكلام.

"إن كنت بهذه الأهميَّة بالنسبة إليهم، فكيف يُعقل أنك في هذه الغرفة معي؟".

قال: "لأنَّكِ حتى الآن لم تكوني تعرفين ما فعلته،

كان من الممكن أن تُزوّديني بمعلوماتٍ أخرى يمكننا استخدامها ضدّهُم".

"إذن الآن، وبعد اكتشافي لحقيقتك، سيسمحون لك بالخروج، أليس كذلك؟ لمَ لا تُجرِّب وترى؟ لأنني أفضِّل البقاء بمفردي".

عندها فقط انفتحت فتحة صغيرة في الباب، لم أكن أعرف بوجودها من قبل، إذ أنني كنت مشغولة البال في أثناء وجودي في الممر. وظهر وجه عند الفتحة، التي كانت بقياس ربما عشرة بوصات في عشرة بوصات.

ظهر وجهٌ مألوفٌ، نظر جيب، مُبتسِمًا، وقال: "كيف حالكُما بالداخل، أنتما الاثنان؟".

قال هوجو: "تحتاج سوكي إلى طبيب، إنها لا تشتكي، لكنني أعتقد أن عظمة وجنتها قد كُسِرَت". بدا صوته مليئًا بتأنيب الضمير وهو يقول: "كما إنها تعلَم الآن بشأن تحالُفي مع الزمالة، لذا من الأفضل أن تُخرجني من هنا".

لم أكن أعرف ما الذي يُفكِّر فيه هوجو، لكنني حاولتُ التظاهُر بالانكسار قدر الإمكان، ولكم كان هذا سهلًا.

قال جيب: "لديّ فكرة. لقد بدأتُ أشعُر بالملل هنا في الأسفل، ولا أتوقّع أن ستيف أو سارة، أو حتى بولي العجوز، سيعودون إلى هنا في قريبًا. لدينا سجين آخر هنا يا هوجو، يُدعى فاريل، وقد يسعَد

بروِيتك حقًّا! أخبرني، هل التقيتَ به في مقر أولئِك الأشرار؟".

قال هوجو، وقد بدا غير سعيدٍ حقًّا بشأن هذا التحوُّل في مجرى المُحادثة: "نعم".

تابع جيب: "هل تعلَم كم سيكون فاريل سعيدًا برؤيتك؟ كما إنه شاذ، مصَّاص دماء مثلي. نحن في عمق كبير تحت الأرض حتى إنه بدأ يستيقِظ مُبكّرًا، لذا فكّرتُ في وضعك هناك معه، لكي أستمتِع قليلًا بالخائِنة الأنثى هنا". ثم ابتسم لي بطريقةٍ جعلَت معدتي تنقبِض.

تجمَّدَت ملامِح هوجو بشدَّة. وخطرَت لي عدَّة أشياء، كلماتٌ مُلائِمة لأقولها. لكنني تخيَّلتُ عن هذه المتعة المشكوك فيها، إذ كنت بحاجةٍ إلى توفير طاقتي.

قفزَت إحدى مقولات جدَّتي المُفضَّلة إلى ذهني بشكلٍ لا يُقاوَم بينما نظرتُ إلى وجه جيب الوسيم.

تمتمت: "الجميل هو جميل الأفعال". وبدأتُ في عمليةٍ مؤلمةٍ للنهوض للدِفاع عن نفسي. قد لا تكون ساقاي مكسورتين، لكن رُكبتي اليسرى كانت بالتأكيد في حالةٍ سيئةٍ، إذ تغيَّر لونها وتورَّمت بشدَّة.

تساءلتُ عمَّا إن كان بوسعنا أنا وهوجو معًا الإطاحة بجيب عندما يفتَح الباب، ولكن ما إن فُتِح، رأيتُ أنه قد سلَّح نفسه بمُسدَّس وبشيء أسود،

يبدو خطيرًا، خمَّنتُ أنه قد يكون صاعِقًا كهربائيًا.

ناديت: "فاريل!". سيسمعني إن كان مُستيقِظًا؛ فهو مصّاص دماء.

قفز جيب، ونظر إليّ بريبة.

جاء صوت عميق من غرفة في نهاية الممر: "نعم؟". وسمعتُ قعقعة السلاسِل عندما تحرَّك مصّاص الدماء. بالطبع، توجَّب عليهم تقييده بالسلاسِل الفضيَّة، وإلا لخلع الباب من مفصّلاته.

صرخت: "لقد أرسلنا ستان!". ثم ضربني جيب بيده المُمسِكة بالمُسدَّس. وبما أنني وقفتُ مُستنِدة على الحائِط، ارتدَّ رأسي عنه. أصدرتُ صوتًا بشعًا، لم يكن صراخًا تمامًا لكنه كان أعلى بكثيرٍ من أن يكون محض أنين.

صرخ جيب: "اخرسي أيتها العاهِرة!". صوَّب المُسدَّس إلى هوجو، وأمسَك الصاعِق الكهربائي على بعد بضع بوصات مني، جاهزًا للاستخدام. تابع حديثه قائلًا: "والآن، اخرُج إلى الممر أيها المُحامي. وابتعد عني، هل تسمعني؟".

تصبَّب العرق على وجه هوجو، وهو يتجاوز جيب إلى الصالة. واجهتُ صعوبة في مُتابعة ما يحدث، لكنني لاحظتُ أنه في الممر الضيِّق الذي تحرَّك فيه جيب، اقترب جدًا من هوجو وهو في طريقه لفتح زنزانة فاريل. وفقط عندما ظننتُ أنه ابتعد بما يكفي حتى أتمكن من الهرب، طلب من هوجو إغلاق

باب زنزانتي، ورغم أنني هززتُ رأسي بعصبيَّةٍ لهوجو، إلا أنه فعل ذلك.

لا أعتقد أن هوجو حتى رآني، إذ كان مُنغلقا على نفسه تمامًا؛ وكل شيء بداخله كان ينهار، وعجَّت أفكاره في حالةٍ من الفوضى. كنت قد بذلتُ قصارى جهدي من أجله بإخبار فاريل بأننا من طرف ستان، رغم أن هذا كان مُبالغة كبيرة في حالة هوجو، لكن هوجو شعر بالرُّعب أو الإحباط أو بالعار حتى إنه لم يُظهِر أي شجاعة تُذكر. وبالنظر إلى خيانته العميقة، اندهشتُ بشدَّة من أنني أزعجتُ نفسي بمحاولة مساعدته. لو لم أكن قد أمسكتُ يده، ورأيتُ صور ابنته، لما فعلت ذلك.

قلت: "أنت لا شيء يا هوجو". ظهر وجهه من جديد عند النافذة الصغيرة المفتوحة للحظات، وقد شحب من شدَّة الاضطراب، لكنه سُرعان ما اختفى. سمعتُ بابًا يُفتَح، وسمعتُ قعقعة سلاسِل، ثم سمعتُ الباب يُغلَق.

لقد أجبر جيب هوجو على دخول زنزانة فاريل. أخذتُ أنفاسًا عميقة، واحدًا تلو الآخر، حتى شعرتُ أنني قد أُصاب بالدوار. أمسكتُ أحد الكراسي، وهو كُرسي بلاستيكي بأربعة أرجُل معدنيَّة، من النوع الذي جلستُ عليه مليون مرة في الكنائِس والاجتماعات والفصول الدراسيَّة. حملته كأنني أروِّض أسدًا، موجِّهةً أرجله إلى الخارج. كان هذا كل ما خطر ببالي أن أفعله. فكّرتُ في بيل، لكن

ذلك كان مؤلمًا للغاية. وفكَّرت في أخي، چيسون، وتمنَّيتُ لو كان هنا معي. لقد مرَّ وقت طويل منذ أن تمنَّيتُ وجوده.

فُتِح الباب، ودخل جيب وهو يبتسِم بشدَّة. كانت ابتسامة بغيضة، سمحت لكل القُبح بالتسرُّب من روحه عبر فمه وعينيه. كانت هذه حقًّا فكرته عن الوقت المُمتِع.

سألني: "هل تعتقدين أن هذا الكرسي الصغير سيحميكِ؟".

لم أكن في مزاجٍ رائِق للحديث، ولم أكن أريد الاستماع إلى الفظائِع التي في ذهنه. رفعت أسوار حصوني، وحشدتُ كل طاقتي، وأعددتُ نفسي لمواجهته.

كان قد وضع المُسدَّس في جرابه، لكنه ظلَّ مُمسِكًا بالصاعِق الكهربائي في يده. كان واثقًا من نفسه، حتى إنه وضعه في جرابٍ جلدي صغير على حزامه، على جانبه الأيسَر. أمسَك بأرجُل الكرسي وبدأ يسحبه يمينًا ويسارًا.

اندفعتُ نحوه.

كدتُ أدفعه خارج الباب، إذ كان هجومي المُضاد قويًا وغير متوقَّع، لكنه في اللحظة الأخيرة تمكن من ليّ الأرجُل جانبًا، بحيث لم تستطِع المرور من خلال الباب الضيِّق. وقف مُستندًا على الجدار، في الجهة الأخرى من الممر، يلهث بوجهٍ أحمر.

همس: "أيتها العاهِرة". ثم هاجمني مرة أخرى، وهذه المرة حاول سحب الكرسي من يدي تمامًا. لكن كما قلت من قبل، لقد شربتُ دماء مصّاصي الدماء، ولن أتركه يأخُذ الكرسي، أو يصِل إليّ.

ودون أن ألاحِظ، سحب الصاعِق الكهربائي، وبسُرعة الأفعى، مدّ يده فوق الكرسي، ولمس كتفي به.

لم أنهَر كما توقّع، لكنني جثوتُ على رُكبتي، وأنا لا أزال مُمسِكةً بالكرسي. وبينما حاولتُ استيعاب ما حدث لي، انتزع الكرسي من بين يدي ودفعني إلى الخلف.

بالكاد استطعتُ الحركة، لكنني استطعتُ الصراخ وضم ساقيّ معًا، وفعلتُ ذلك.

صرخ: "اخرسي!". وبما أنه بدأ يلمسني، استطعتُ الشعور برغبته الحقيقيّة في جعلي أفقِد الوعي، لأنه سيستمتِع باغتصابي وأنا فاقِدة الوعي. بل وفي الواقع، كان ذلك خياره المثالي.

لهثت قائلة: "لا تُحب النساء وهُنّ مُستيقظات، أليس كذلك؟". مدّ يده وفتح بلوزتي بعُنف.

سمعتُ صوت هوجو يصرُخ، وكأن ذلك سيُفيد. عضضتُ كتف جيب بشراسة.

نعتني مُجددًا بالعاهِرة، وهو ما أصبح مُزعجًا. كان قد فتح سرواله، ويحاول الآن رفع تنورتي. ولكم

سعدتُ بشرائي لتنورةٍ طويلة.

صرخت: "هل تخشى أن يشتكين إن كُنّ مُستيقِظات؟ دعني وشأني، إليك عني! ابتعِد، ابتعِد، ابتعِد!". وأخيرًا، حرَّرتُ ذراعيّ. وفي لحظة، تعافيتُ بما يكفي من الصدمة الكهربائيّة لأتمكن من الحركة. كوَّرتُ كفيّ كالكوبين، وبينما صرختُ في وجهه، ضربته بيديّ على أذنيه.

صرخ، ثم تراجع للخلف، واضعًا يديه على رأسه. استشاط غضبًا بشدّة، حتى إنه غمرني بشدّة؛ بدا الأمر أشبه بالغرق في بحرٍ من الغضب. وعرفتُ حينها أنه سيُقتلني لو استطاع، بغضّ النظر عن العواقِب. حاولتُ التدحرُج إلى أحد جانبيه، لكنه ثبّتني بساقيه.

شاهدتُ قبضة يده اليُمنى، التي بدت لي بحجم صخرة ضخمة. وبشعورٍ قاتم، راقبتُ قوس قبضته وهي تهبط نحو وجهي، وعرفتُ أن هذه القبضة ستُفقدني الوعي، وسينتهي كل شيء..

لكن شيئًا لم يحدث.

ارتفع جيب في الهواء، وسرواله مفتوح وقضيبه يتدلى في الهواء، وقبضته تضرب الفراغ، وأقدامه تركل ساقي. أمسَك رجُلٌ قصير القامة به في الهواء؛ وأدركتُ بعد نظرة ثانية، أنه ليس رجُلًا. بل مُراهِقًا، مُراهِقًا قديمًا.

كان أشقر وعاري الصدر، غُطّيَ ذراعاه وصدره

بوشومٍ زرقاء. صرخ جيب وتلوَّى، لكن الفتى وقف بهدوء، وبوجهٍ خالٍ من التعبيرات، حتى توقَّف جيب عن الصراخ. وبمجرد أن عمَّ الصمت، حوَّل الفتى قبضته إلى ما يشبه عِناق الذب، مطوِّقًا خصر جيب، الذي تدلَّي إلى الأمام.

نظر الفتى إليَّ بلامُبالاة. تمزَّقت بلوزتي، وشُقَّت حمالة صدري من المنتصف.

سألني الفتى، على مضض تقريبًا: "هل أنتِ مُصابة بجروحٍ بليغة؟".

كان لدي مُنقِذ، لكنه لم يبدُ متحمِّسًا لمُساعدتي.

وقفتُ، وكان الأمر أصعب مَما يبدو. استغرقني الأمر وقتًا طويلًا. ارتجفتُ بعُنفٍ من الصدمة النفسيَّة. وعندما استقمتُ، كنت على مستوى نظر الفتى. في سنوات البشر، كان ليبدو في السادسة عشر من عمره عندما تحوَّل إلى مصَّاص دماء. لكن لا يمكن معرفة عدد السنوات التي مضت منذ ذلك الحين. لا بد وأنه كان أكبر من ستان، ومن إيزابيل. كانت لُغته الإنجليزيَّة واضحة، وإن شابتها لكنة ثقيلة. لم أتمكن من تحديد نوع لكنته. ربما اندثرَت لغته الأصلية ولم تعُد تُستخدم، ويا له من شعورٍ بالوحدة.

قلت: "سأتحسَّن، شكرًا لك". حاولتُ إعادة إغلاق بلوزتي، بالأزرار القليلة المُتبقية، لكن يديَّ ارتجفَتا بشدَّة. لم يكن مُهتمًا برؤية جسدي على أي حال؛

ولم يكن لذلك أي تأثير عليه. إذ كانت عيناه باردتين وخاليتين من المشاعِر.

قال جيب بصوتٍ خافت: "لقد حاولَت الهرب يا جودفري".

هزّه جودفري فصمت تمامًا.

إذن، جودفري هو مصّاص الدماء الذي رأيته من خلال عيني بيثاني، العينين اللتين تذكّرتا بوضوحٍ رؤيته في حانة "بات وِنج" في تلك الليلة، العينين اللتين لن تريا أي شيء مرة أخرى.

سألته، مُحافظةً على هدوء صوتي: "ماذا تنوي أن تفعل؟".

ارتعشت عينا جودفري الزرقاوان الشاحِبتان. لم يكن يعرف.

لقد حصل على تلك الوشوم عندما كان على قيد الحياة، وكانت غريبة للغاية. رموزًا فقدَت معانيها منذ قرون، وأنا متأكدة من ذلك. على الأرجَح سيُضحي أحد العُلماء بكل نفيس وغالٍ ليفحَص تلك الوشوم. فكنت محظوظة لمُشاهدتها دون مقابل.

قلت بأكبر قدرٍ ممكن من الكرامة: "أرجوك دعني أخرُج من هنا، سيقتلونني".

قال: "لكنك تُضاجعين مصّاص دماء".

تحرَّكت عيناي من جانبٍ إلى آخر، أحاوِل فهم ما يعنيه ذلك.

قلت بتردُّد: "أنت مصّاص دماء، أليس كذلك؟".

أجابني: "غدًا سأكفِّر عن خطيئتي علنًا، سأرحِّب ببزوغ الفجر، لأول مرة منذ ألف عام. سأرى الشمس، ثم سأقابِل وجه كريم".

قلت: "حسنًا، هذا اختيارك".

"نعم".

قلت: "لكنه ليس اختياري، لا أريد الموت". ألقيتُ نظرة سريعة على وجه جيب، الذي ازرقَّ بشدَّة. كان جودفري في خضم توتُّره، حتى إنه ضغط عليه أكثر مما ينبغي. تساءلتُ عمَّا إن كانِ ينبغي لي قول أي شيء.

اتهمني جودفري قائلًا: "أنتِ تُضاجعين مصّاص دماء". نظرتُ إلى وجهه مُجددًا، وعرفتُ أنه من الأفضل ألا أسمَح لتركيزي بأن يتشتَّت مرة أخرى.

قلت: "نعم، أنا مُغرمة بمصّاص دماء، يُدعى بيل كومبتون".

قال: "جميع مصّاصي الدماء ملعونون، ويجب أن يُقابِلوا الشمس، نحن دنس، رجس على وجه الأرض".

سألته: "وهؤلاء الأشخاص..". أشرتُ إلى الأعلى لأخبره أنني أقصد الزمالة، ثم تابعت: "وهؤلاء الأشخاص أفضل يا جودفري؟".

بدا مصّاص الدماء مُضطرِبًا وغير سعيد. ولاحظتُ أنه يتضوَّر جوعًا؛ إذ كانت وجنتاه شبه مجوَّفتين، وشديدتي الشحوب. وكاد شعره الأشقر يطفو حول رأسه، وكأنه تعرَّض لصاعقةٍ كهربائيَّة، أما عيناه فبدتا كالرُّخام الأزرق بفضل شحوبه.

قال بهدوء: "إنهم، على الأقل، بشر، جُزء من خطَّة الله. أما مصّاصو الدماء فهُم رجس".

قلت: "ومع ذلك، كنت ألطَف معي من هذا البشري". الذي أدركتُ فجأة أنه قد مات، عندما نظرتُ إلى وجهه. حاولتُ ألا أجفل، وأعدتُ تركيزي إلى جودفري، الذي كان أكثر أهميَّة لمُستقبلي.

نظر جودفري في عينيّ بعينيه الزرقاوين الشاحِبتين: "لكننا نأخُذ دماء الأبرياء".

سألته سؤالًا بلاغيًا: "ومن هم الأبرياء؟". مُتمنيةً ألا أبدو مثل بيلاطس البنطي(8) وهو يسأل: "وما هو الحق؟". وهو يعرف الإجابة جيدا.

أجابني جودفري: "حسنًا، الأطفال".

وضعتُ يدي على فمي، وقلت: "هل كنت.. تتغذَّى على الأطفال؟".

"لقد قتلتُ بعض الأطفال".

لم أستطع التفكير في شيءٍ أقوله لفترةٍ طويلة. وقف جودفري هناك يُطالعني بحزن، مُمسكًا بجُثَّة جيب بين ذراعيه، وكأنما نسيَ وجوده.

سألته: "وما الذي أوقفك؟".

"لا شيء سيوقفني، لا شيء سوى الموت".

قلت بشيءٍ من عدم الرضا: "أنا آسفة جدًا". إنه يُعاني، وكنت أعتذِر له بصدقٍ عن مُعاناته. لكن لو كان إنسانًا، لقُلت إنه يستحِق الإعدام دون أن أفكّر مرّتين.

سألته، لمعرفتي أنني بحاجةٍ لشيءٍ أقوله: "متى سيحل الظلام؟".

لم يكن لدى جودفري ساعة بالطبع. وافترضتُ أنه مُستيقظ لأنه تحت الأرضِ، ولأنه كبير جدًا في السِن. قال جودفري: "ساعة".

"أرجوك دعني أذهب. إن ساعدتني، يمكنني الخروج من هنا".

"لكنك ستُخبرين مصّاصي الدماء، وسيُهاجِمونني ويمنعونني من لقاء الشمس".

سألته، وأنا أستشيط غضبًا فجأة: "ولماذا تنتظِر حتى الصباح؟ اخرُج وافعلها الآن".

رمقني بذهول. وترك جيب الذي ارتطم بالأرض بصوتٍ مكتوم. لم يلتفِت إليه جودفري حتى بنظرةٍ عابرة، وشرح لي: "من المُقرَّر إقامة المراسِم عند بزوغ الفجر، في ظلّ حضور العديد من المؤمنين، وسيُحضر فاريل أيضًا للقاء الشمس".

"وما الدور الذي كنت سألعبه في هذا؟".

هزَّ كتفيه قائلًا: "لقد أرادت سارة رؤية ما إذا كان مصّاصو الدماء سيُبادِلون أحدهم من أجلكِ. أما ستيف فلديه خطط أخرى. إذ تقتضي فكرته على ربطكِ بفاريل، بحيث تحترقين عندما يحترِق".

أصابني الذهول. ليس لأن ستيف نيولن قد خطرَت له هذه الفكرة، بل لأنه اعتقد أنها ستروق لجماعته، لأن هذا ما كانوا عليه. كان نيولن مُتطرِّفًا أكثر مما توقَّعت. سألته: "وهل تعتقد أن الكثير من الناس سيستمتِعون برؤية ذلك، امرأة شابّة تُعدَم دون أي نوع من أنواع المُحاكمة؟ وأنهِم سيعتبرونها مراسِم دينيّة صحيحة؟ هل تعتقد أن الأشخاص الذين خطّطوا لميتتي الرهيبة هذه مُتديِّنون حقًّا؟".

للمرة الأولى، راوده بعض الشك، ووافقني الرأي قائلًا: "حتى بالنسبة للبشر، يبدو ذلك شديد التطرُّف، لكن ستيف اعتقد أنه سيكون تصريحًا قويًا".

"نعم، بالتأكيد سيكون تصريحًا قويًا. سيقول: أنا مجنون. أعرف أن هذا العالم مليء بأناس سيئين، ومصّاصي دماء أشرار، لكنني لا أعتقد أن غالبية الناس في هذا البلد، أو حتى هنا في تكساس، سيشعرون بالرضا عند رؤية امرأة تصرُخ وهي تحترِق حتى الموت".

بدا جودفري مُتردِّدًا. رأيتُ أنني عبَّرتُ عن الأفكار

التي راودته، وهي أفكار أنكرها على نفسه. قال: "لقد دعوا وسائِل الإعلام". وبدا اعتراضه أشبه باعتراض عروس مُزمَع أن تتزوج عريسًا بدأت تشُك فيه فجأة؛ لكن دعوات حفل الزفاف قد أرسِلَت يا أمي!

قلت: "أنا متأكدة أنهم فعلوا. لكنها ستكون نهاية مُنظمتهم، يمكنني تأكيد ذلك لك بشكلٍ قاطع. ودعني أكرِّر، إن أردتَ حقًّا التعبير عن ندمك بهذه الطريقة، وباعتذارٍ كبير، فكل ما عليك هو الخروج من هذه الكنيسة الآن، والوقوف في حديقتها. وسيراك الله، أعدك بذلك؛ إذ أنه هو من يجب أن تهتم بأمره".

سأعترِف له أنه تصارَع مع هذه الفكرة.

قال: "لقد جهَّزوا لي رداءً أبيض خاصًّا لأرتديه". لكنني اشتريتُ ثوب الزفاف وحجزتُ الكنيسة بالفعل.

"يا لها من مشكلة كبيرة. إن كنا سنتجادَل بشأن الملابس، فأنت لا تُرغب في القيام بذلك حقًّا. أراهن أنك ستتراجع".

بالتأكيد، لقد فقدت تركيزي على هدفي. وندمت على هذه الكلمات، بمُجرَّد أن فارقت شفتي.

قال بحزم: "سترين".

"لا أريد أن أرى، إن كنت سأربَط بفاريل آنذاك. أنا

لستُ شريرة، ولا أريد الموت".

تحدّاني قائلًا: "متى كانت آخر مرة زُرتِ فيها كنيسة؟".

أجبته: "قبل حوالي أسبوع، وتناولتُ القُربان المُقدّس أيضًا". لم أكن يومًا أكثر سعادةً لمواظبتي على ارتياد الكنيسة، لأنني لم أكن لأكذِب بشأن ذلك قط.

قال جودفري بذهول: "عجبًا".

قلت: "أرأيت؟". وشعرتُ بأنني قد سلبته كل جلاله الجريح بهذا الجِدال، لكن اللعنة، لم أكن أريد الموت حرقًا. بل أردتُ بيل، أردته بشَوقٍ عارمٍ حتى إنني تمنّيتُ أن ينفتِح تابوته، ويُدرِك ما يحدث. لو تمكنتُ فقط من إخباره بما يجري..

قال جودفري وهو يمد يده: "هيا بنا".

لم أكن أريد منحه فرصة لإعادة التفكير في موقفه، ليس بعد هذا النقاش الطويل، لذلك أمسكتُ بيده، وخطوتُ فوق جُثّة جيب المُلقاة أرضًا إلى الخارج في الممر. كان هناك صمت مشؤوم لمُحادثة فاريل وهوجو، وبصراحة، خشيتُ بشدّة من التواصل معهما لمعرفة ما يجري. فكّرتُ أنني إن تمكنتُ من الخروج، فسيمكنني إنقاذهما على أي حال.

شمّ جودفري رائحة الدماء التي لطّخت وجهي

واكتسَت ملامحه بشوقٍ عميق. كنت أعرف تلك النظرة، لكنها خلت من أي شهوة، إذ لم يكن يهتم بجسدي إطلاقًا. إن الصلة بين الدم والجنس قويَّة للغاية لدى جميع مصّاصي الدماء، لذا اعتبرتُ نفسي محظوظة لأنني بكل تأكيد كنت بالِغة. أملتُ وجهي نحوه من باب المُجاملة. وبعد تردُّد طويل، لعق قطرات الدم المُتساقِطة من جرح عظمة وجنتي. أغمَض عينيه للحظة، مُتلذِّذًا بالمذاق، ثم انطلقنا نحو الدرج.

وبمُساعدةٍ كبيرةٍ من جودفري، صعدتُ الدرج شديد الانحدار. استخدم ذراعه الحُرَّة لكِتابة الرقم السرِّي للباب، ثم فتحه، وقال بَصوتٍ خافت لم يُعكِر صفو الصمت: "لقد كنت أُقيم هنا في الأسفل، في الغرفة التي في النهاية".

كان الممر خاليًا، لكن في أي لحظة قد يخرُج أحدهم من أحد المكاتِب. وبدا أن جودفري لم يكن يخشى ذلك على الإطلاق. ولكنني كنت خائِفة؛ فأنا من كانت حُرِّيته على المحك. لم أسمَع أي أصوات؛ وبدا أن الموظفين قد ذهبوا إلى منازلهم للاستعداد لحفل المبيت، ولم يكن ضيوف الحفل قد بدأوا في الوصول بعد. أُغلقت بعض أبواب المكاتِب، وكانت النوافِذ في المكاتِب هي الوسيلة الوحيدة لدخول ضوء الشمس إلى الممر. سيطَر الظلام بما يكفي ليشعر جودفري بالارتياح، حسبما أعتقد، لأنه لم يُظهِر أي علامات انزعاج. كما تسرَّب ضوء صناعي

ساطِع من تحت باب المكتب الرئيسي.

أسرعنا، أو على الأقل حاولنا ذلك، لكن ساقي اليسرى لم تكن مُتعاوِنة تمامًا. لم أكن متأكدةً إلى أي باب يتجه جودفري، ربما نحو الباب المزدوَج الذي رأيته سابقًا في الجزء الخلفي من الكنيسة. إن تمكنتُ من الخروج بأمانٍ عبر تلك الأبواب، فلن أضطر إلى عبور الجناح الآخر. لم أكن أعلَم ما سأفعله عندما أخرُج. لكنني كنت متأكدة من أن التواجُد بالخارج سيكون أفضل بكثير من البقاء في الداخل. بمُجرَّد وصولنا إلى مدخَل المكتب قبل الأخير على اليسار، وهو المكتب الذي خرجَت منه السيدة الصغيرة ذات الأصولَ الإسبانيَّة، فتح باب مكتب ستيف. تجمَّدنا في مكاننا، وشعرتُ بذراع جودفري حولي وكأنها قبضة حديديَّة. خرجَت بولي وهي لا تزال تنظر إلى الغرفة، كنا على بعد ياردتين فقط.

قالت: "موقِد".

أجابتها سارة بصوتها العذب: "أعتقد أن لدينا ما يكفي، لو أعاد الجميع بطاقات حضورهم، لعرِفنا بالتأكيد. لا يمكنني تصديق مدى سوء الناس في عدم الرد. إنه استهتار شديد، خاصَّة بعد أن سهَّلنا الأمر عليهم ليخبرونا ما إن كانوا سيأتون أم لا!". نِقاش حول آداب السلوك. يا إلهي، تمنَّيتُ لو كانت الآنسة صاحِبة آداب السلوك هنا لتُقدِّم لي نصيحة حول هذا الموقِف. فأنا ضيفَة غير مدعوَّة في

كنيسةٍ صغيرة، وغادرتُ دون توديعهم. هل يجب عليّ كِتابة رسالة شُكر، أم يمكنني الاكتفاء بإرسال بعض الزهور؟

بدأت بولي تُدير رأسها، وعرفتُ أنها ستَرانا في أي لحظة. وبينما تشكّلت هذه الفكرة في ذهني، دفعني جودفري إلى داخل المكتب المُظلِم الخالي.

سألته بولي: "ماذا تفعَل هنا في الأعلى يا جودفري؟". لم تبدُ خائِفة، لكنها لم تبدُ سعيدة كذلك. وكان الأمر أشبه بعثورها على البُستاني في غرفة المعيشة، وهو يتصرَّف وكأنه في منزله.

"جئتُ لأرى ما إن كان هناك أي شيء آخر يجب عليّ فعله".

"أليس الوقت مُبكّرًا للغاية على استيقاظك؟".

قال بأدب: "أنا عجوز للغاية، ولا يحتاج كِبار السِن إلى الكثير من النوم مثل الشباب".

ضَحِكَت بولي، ثم قالت بمرح: "لقد استيقظ جودفري يا سارة!".

بدا صوت سارة أقرَب عندما تحدثت: "حسنًا، مرحبًا يا جودفري!". ثم أضافَت بنفس المرح: "هل أنت مُتحمِّس؟ أراهن أنك كذلك!".

لقد تحدَّثن إلى مصّاص دماء عمره ألف عام وكأنه طِفل في ليلة عيد ميلاده.

قالت سارة: "رداؤك جاهِز، وكل شيء على ما

يرام!".

سألها جودفري: "ماذا لو غيَّرتُ رأيي؟".

ساد صمت طويل، وحاولتُ التنفُّس ببطءٍ وهدوءٍ شديدين. وكلما اقترَب حلول الظلام؛ زاد الأمل في داخلي بأنني قد أتمكن من الخروج من هذا المأزق.

لو كان بإمكاني الاتصال بـ.. نظرتُ إلى المكتب في الغرفة. ورأيتُ الهاتف هناك. لكن ألن تُضيء أزرار الخط في المكاتِب الأخرى إن استخدمته؟ وفي هذه اللحظة، سيُحدِث ذلك الكثير من الضوضاء.

سألته بولي بنبرةٍ واضحة تعكِس نفاد صبرها: "هل غيَّرتَ رأيك؟ هل هذا ممكنٌ؟ لقد جئتَ إلينا، هل تذكُر ذلك؟ لقد أخبرتنا عن حياتك المليئة بالذنوب، والخزي الذي شعرتَ به عندما قتلت الأطفال، وقُمت.. وقُمتُ بأشياء أخرى. هل تغيَّر أي من هذا؟".

قال جودفري وهو يبدو غارقًا في التفكير: "لا، لم يتغيَّر أي من هذا. لكنني لا أرى ضرورة لإشراك أي بشر في هذه التضحية. في الواقع، أعتقد أنه يجب ترك فاريل ليجِد سلامه مع الله بطريقته الخاصَّة. لا يجب أن نُجبره على التضحيَة بنفسه".

قالت بولي لسارةٍ بصوتٍ خافِت: "يجب أن نُعيد ستيف إلى هنا".

بعد ذلك، سمعتُ صوت بولي فقط، فافترضتُ أن سارة عادَت إلى المكتب لتتَّصِل بستيف.

أضاء أحد أضواء الهاتف. نعم، هذا ما كانت تفعله. كانت ستعرف لو حاولتُ استخدام أي من الخطوط الأخرى. ربما بعد دقيقة.

حاولَت بولي إقناع جودفري بلطف ومنطِق. جودفري الذي لم يكن يتحدّث كثيرًا، ولم يكن لديّ أي فكرة عمّا يدور في رأسه. وقفتُ بلا حول ولا قوة، مُستنِدة على الجدار، على أمل ألا يدخُل أحد إلى المكتب، وألا ينزل أحد إلى الطابِق السُفلي لإطلاق الإنذار، وألا يُغيّر جودفري رأيه مُجدّدًا.

قلتُ في ذهني: النجدة! ليتني أستطيع طلب المُساعدة بهذه الطريقة، عبر حِواسي الأخرى!

راودتني فكرة عابِرة. أجبرتُ نفسي على الوقوف بهدوء، رغم أن ساقيّ كانتا لا تزالان ترتجِفان من الصدمة، وآلمتني رُكبتي ووجهي وكأنني في جحيمٍ لا يُطاق. ربما يمكنني الاستنجاد بشخصٍ ما؛ مثل باري، خادِم الفُندق. إنه قارئ أفكار مثلي، وربما يستطيع سماعي. لم يسبِق لي محاولة القيام بذلك من قبل - حسنًا، لكنني لم أقابِل قارئ أفكار آخر من قبل، أليس كذلك؟ حاولتُ بيأسٍ تحديد موقعي بالنسبة لباري، على افتراض أنه في العمل. كان هذا تقريبًا نفس الوقت الذي وصلنا فيه من شرِفبورت، لذا ربما يكون كذلك. تخيّلتُ موقِعي على الخريطة، والتي لحُسن الحظ كنت قد اطّلَعتُ عليها مع هوجو - رغم أنني عرفتُ الآن أنه كان يتظاهَر بعدم معرفته مكان مركز الزمالة - وأعتقِد أننا كنا جنوب

غرب فندق "سايلنت شور".

كنت في منطقة ذهنيَّةٍ جديدة. استجمعتُ البقية الباقية من طاقتي، وحاولتُ تكثيفها على شكل كرة في ذهني. ولوهلةٍ شعرتُ بأنني سخيفة للغاية، ولكن عندما فكّرتُ في إمكانية التحرُّر من هذا المكان وهؤلاء الناس، لم يكن هناك ما أخسره في التصرُّف بسخافة. فكّرتُ في باري، من الصعب تحديد كيف فعلت ذلك بالضبط، لكنني أطلقتُ نداء. ساعدتني معرِفة اسمه، ودرايتي بموقعه.

قرَّرت البدء ببساطة: باري! باري! باري! باري! باري!

أجابني: ماذا تريدين؟ بدا مذعورًا للغاية، إذ لم يحدث له هذا من قبل.

تمنَّيتُ أن أبدو مُطمئِنة؛ أنا لم أفعل هذا أيضًا من قبل، أنا بحاجةٍ إلى المُساعدة، فأنا في ورطةٍ كبيرة.

"مَن أنتِ؟"

حسنًا، ذلك سيُساعِد. يا لغبائي. أنا سوكي، الشقراء التي جاءت الليلة الماضية مع مصّاص الدماء ذي الشعر البُني، جناح الطابِق الثالث.

ذات النهدين الرائِعين؟ أعتذِر عن ذلك.

على الأقل اعتذر؛ نعم أنا صاحِبة النِهدين، ومعها صديقها مصّاص الدماء.

إذن، ما المشكلة؟

الآن، كل هذا يبدو واضحًا ومُنظَّمًا، لكنه لم يكن حوارًا فعليًا. بدا الأمر أشبه بتبادُل برقيات وصور عاطفية ذهنية.

حاولتُ التفكير في كيفية شرح مأزقي. أحضِر صديقي مصّاص الدماء حالما يستيقظ.

وبعد ذلك؟

أخبره أنني في خطر. خطر كبير، خطر عميق، خطر مُحدق..

حسنًا، لقد فَهِمتُ الفكرة. أين؟

الكنيسة. اعتقدتُ أن هذا سيكون اختزالًا لمركز الزمالة. لم أستطع التفكير في كيفية نقل ذلك لباري.

هل يعرف المكان؟

إنه يعرفه، أخبره أن ينزل الدرج.

هل هذا حقيقي؟ لم أكن أعلم أن هناك شخصًا آخر..

نعم، هذا حقيقي. ساعدني من فضلك.

شعرتُ بحزمةٍ مُعقَّدةٍ من المشاعِر تتدفَّق في عقل باري. كان خائِفًا من التحدُّث إلى مصّاص دماء، ومرعوبًا من اكتشاف أرباب عمله بأنه يُعاني من "خطبٍ في دماغه"، ومُتحمِّسًا لوجود شخص مثله. لكن الأهم من ذلك، أنه كان خائِفًا من هذا الجانب من نفسه الذي حيَّره وأخافه لفترةٍ طويلة.

كنت على درايةٍ بكل هذه المشاعر. قلت له: لا بأس، أنا أفهمك. لم أكن لأطلِب منك ذلك لو لم أكن مُهدَّدة بالقتل. انتابه الخوف مرة أخرى، الخوف من مسؤوليته في هذا الموقِف. لم يكن يجدر بي إضافة هذه المُلاحظة الأخيرة.

ثم، بطريقةٍ ما، أقام حاجزًا هشًا بيننا، ولم أكن متأكدةً مما سيفعله باري.

وبينما صببتُ جام تركيزي على باري، تحرَّكت الأمور في الممر. وعندما بدأتُ أسترِق السمع مرة أخرى، كان ستيف قد عاد. وحاول بدوره التحلِّي بالمنطِق والإيجابيّة مع جودفرِي.

قال: "والآن يا جودفري، إن لم تكن ترغب في القيام بذلك، فكل ما كان عليك فعله هو إخبارنا. لقد التزمتُ بذلك، وشاركنا جميعًا في هذا الالتزام، ومضينا قدمًا على أساس توقُّعاتنا بأنك ستلتزِم بكلمتك. سيُصاب الكثيرون بخيبة أمل كبيرة إن تخلَّيتَ عن التزامك بالمراسِم".

"ماذا ستفعل بفاريل؟ وبذلك الرجُل هوجو، وتلك المرأة الشقراء؟".

قال ستيف، مُتحليًا بنفس الصوت العقلاني اللطيف: "فاريل مصَّاص دماء، وهوجو والمرأة فمِن أتباع مصَّاصي الدماء. يجب أن يذهبا للقاء الشمس بدورهما، مُقيَّدين بمصَّاص دماء. هذا هو المصير الذي اختاراه في حياتهما، ويجب أن يكون قدرهما

الموت".

قال جودفري: "أنا مُذنِب، وأعلم ذلك، لذا عندما أموت، ستذهَب روحي إلى الله. أما فاريل، فهو لا يعرف هذا. وعندما يموت، لن تُتاح له فرصة. وكذلك الرجُل والمرأة، لم تُتَح لهُما الفرصة للتوبة عن أسلوب حياتهُما. هل من العدل قتلهما وإدانتهما إلى الجحيم؟".

أجابه ستيف بحزم: "يجب أن نذهب إلى مكتبي".

وأدركتُ أخيرًا أن هذا ما سعى إليه جودفري طوال الوقت. سمعتُ بعض الخطوات الثقيلة، ثم سمعتُ جودفري يُتمتِم بلباقة: "من بعدك".

أراد أن يكون الأخير ليتمكن من إغلاق الباب خلفه.

شعرتُ أخيرًا أن شعري قد جف، بعد تحرُّره من الشعر المُستعار الذي أغرقه في العرق. تدلَّى شعري حول كتفي في خُصلات مُنفصِلة، لأنني فككته بصمتٍ في أثناء المُحادثة. بدا لي ذلك شيئًا عاديًا لأفعله، بينما أستمِع إلى مصيري وهو يُقرَّر، لكن تحتَّم عليَّ الانشغال بشيءٍ ما. والآن، وضعتُ دبابيس الشعر بحذرٍ في جيبي، ومرَّرتُ أصابعي عبر الفوضى المُتشابِكة، واستعددتُ للتسلُّل خارج الكنيسة.

نظرتُ بحذرٍ من مدخَل الغرفة. نعم، لقد أغلق باب مكتب ستيف. تسلَّلتُ على أطراف أصابعي من المكتب المُظلِم، وانعطفتُ يسارًا، وتابعتُ السير

حتى الباب المؤدي إلى القاعة الرئيسيَّة. أدرتُ مقبضه بهدوءٍ شديدٍ وفتحته ببطء. دخلتُ إلى القاعة، التي غرقَت في الظلام. كان هناك ما يكفي من الضوء القادِم من النوافِذ الزُجاجيَّة المُلوَّنة الكبيرة ليُساعِدني على السير في الممر دون أن أتعثَّر في المقاعِد.

ثم سمعتُ أصواتًا تزداد ارتفاعًا، قادمة من الجِناح البعيد. أُضيئَت الأنوار في القاعة. اندفعتُ إلى أحد الصفوف وتدحرجتُ تحت أحد المقاعِد. ودخلت عائلة، يتحدَّث جميع أفرادها بصوتٍ عالٍ، وتذمَّرَت الفتاة الصغيرة لأنها ستُفوِّت بعض برامِجها التليفزيونيَّة المُفضَّلة لأنها اَضطرَّت للقدوم إلى "حفل المبيت القديم الكريه"، على حد قولها.

وبدت وكأنها قد تلقَّت صفعة على مؤخِّرتها، وأخبرها والدها أنها محظوظة لأنها ستحظى بفرصةٍ لرؤية دليل مُذهِل على قوَّة الله، وستُشاهِد الخلاص وهو يتحقَّق.

حتى في ظلِّ هذه الظروف، كنت مُستاءةً من ذلك. وتساءلتُ عمَّا إن كان هذا الأب يفَهم حقًّا أن قائِده خطَّط ليُشاهِد أتباعه اثنين من مصَّاصي الدماء يحترِقان حتى الموت، أحدهما على الأقل مربوط ببشريَّة ستحترِق بدورها. وتساءلتُ كيف سيؤثِّر هذا "الدليل المُذهِل على قوَّة الله" على صحة الفتاة الصغيرة النفسيَّة.

لكن ما أثار فزعي هو أنهم شرعوا في وضع أكياس نومهم في الطرف البعيد من القاعة، ولا يزالون يتحدَّثون. على الأقل، كانت هذه عائلة تتواصَل بعضها مع بعض. وبالإضافة إلى الفتاة الصغيرة المُتذمِّرة، كان هناك طِفلان أكبر سنًا، صبي وفتاة، يتشاجران كالكلاب والقطط مثل أي شقيقين حقيقيين.

هروَل زوج من الأحذية الحمراء الصغيرة المسطَّحة عند نهاية المقعد الذي اختبأت تحته، واختفت عبر الباب المؤدي إلى جناح ستيف. تساءلتُ عمَّا إن كانت المجموعة في مكتبه لا تزال تتناقَش.

مرَّت الأقدام مرة أخرى بعد بضع ثوان، هذه المرَّة بسرعة كبيرة. وأثار ذلك تساؤلًا لدي أيضًا.

انتظرتُ حوالي خمس دقائق أخرى، لكن شيئًا آخر لم يحدث.

من الآن فصاعدًا، سيأتي المزيد من الناس. إما الآن أو لا. تدحرجتُ من تحت المقعد ونهضت. ولحُسن حظي، نظروا جميعًا إلى الأسفل في مُهِمَّتهم حين نهضت، وبدأت أمشي بسرعة إلى الأبواب المُزدوجة في مؤخِّرة الكنيسة. وبفضل صمتهم المفاجئ، عرفتُ أنهم قد اكتشفوا وجودي.

نادتني الأم: "مرحبًا!". ثم نهضَت على قدميها بجانب كيس نومها الأزرق اللامِع. امتلأت قسمات

وجهها البسيط بالفضول وهي تقول: "يبدو أنكِ جديدة في الزمالة، أنا فرنسي بولك".

حاولت التظاهُر بالمرح، وأنا أقول: "نعم، يجب أن أسرِع! سأتحدَّث إليكِ لاحقًا!".

اقتربَت أكثر، ثم سألتني: "هل أنتِ مُصابة؟ أنت.. معذرة.. تبدين في حالةٍ سيِّئة. هل هذا دم؟".

نظرتُ إلى بلوزتي؛ ورأيتُ بعض البُقع الصغيرة تُلطِّخ صدري.

قلت، محاولة التظاهُر بالحزن: "لقد سقطت، ويجب عليَّ الذهاب إلى المنزل لأقوم ببعض الإسعافات الأوليَّة، وتغيير ملابَسي، وما إلى ذلك. ثم سأعودا!".

استطعتُ رؤية الشك يعتلي قسمات وجه فرنسي بولك، قبل أن تقول: "هناك صندوق إسعافات أوليَّة في المكتب، لم لا أذهب لجلبه؟".

لأنني لا أريدكِ أن تفعلي ذلك. قلت لها: "لكنني أحتاج إلى بلوزةٍ جديدةٍ أيضًا". تجعَّد وجهي لأُظهِر انزعاجي من فكرة التجوُّل ببلوزة مُتَّسِخة طوال المساء.

دخلت امرأة أخرى من نفس الباب الذي تمنَّيتُ الخروج منه، ووقفَت تستمِع إلى المُحادثة، وعيناها الداكنتان تنتقِلان ذهابًا وإيابًا بيني وبين فرنسي العنيدة.

قالت المرأة ذات الأصول الإسبانيّة، المُتحوّلة، بصوتٍ خافِتٍ وهي تُعانقني: "مرحبًا يا عزيزتي". لقد نشأتُ في ثقافة تُقدّر العِناق، لذا كان من التِلقائي أن أُبادِلها العِناق بالمثل. وشعرتُ بها تقرصني قرصة ذات مغزى في خضم عناقنا.

سألتها بمرح: "كيف حالك؟ لقد مرَّ وقت طويل".

ابتسمَت في وجهي، لكن عيناها لمعَتا بالحذر، وهي تقول: "كما تعلمين.. لا جديد تحت الشمس". كان شعرها بُنيًا داكنًا للغاية، لا أسود، وكان خشنًا وكثيفًا. وكانت بشرتها بلون الكراميل الحليبي، يشوبه بعض النمش الداكن، بينما طُلِيَت شفتاها المُمتلِئتان بلون فوشيا لامِع. وظهرَت أسنانها البيضاء الكبيرة عبر ابتسامتها العريضة. نظرتُ إلى قدميها، ورأيت الحذاء الأحمر المسطّح. قالت: "تعالي معي إلى الخارج، أريد تدخين سيجارة".

بدت فرنسي بولك أكثر ارتياحًا.

قالت بورع: "ألا ترين أن صديقتكِ بحاجةٍ لزيارة الطبيب يا لونا؟".

أجابتها لونا وهي تفحصني: "أنتِ مُصابة ببعض الكدمات والرضوض، هل سقطتِ مرة أخرى يا عزيزتي؟".

"تعرفين أن والدتي دائمًا ما تقول لي: أنتِ خرقاء كالفيل يا ماريجولد".

هزّت لونا رأسها باستياء، وقالت: "يا لأملكِ هذه، وكأن ذلك سيجعلكِ أقل تعثرًا".

هززتُ كتفيّ بلامُبالاة قائلًا: "ماذا سنفعل إذن؟ بعد إذنكِ يا فرنسي؟".

قالت: "حسنًا، بالتأكيد، سأراك لاحقًا، على ما أعتقد".

قالت لونا: "بالتأكيد سأفعل، لن أفوّت ذلك أبدًا".

وخرجتُ مع لونا من قاعة اجتماعات زمالة الشمس، وركّزتُ بشدّةٍ على الحِفاظ على مشيتي ثابِتة حتى لا تلاحظ فرنسي عرجي، وتزداد شكوكها.

قلت بتنهيدة ارتياح، عندما خرجنا: "الحمد لله".

أجابتني بسرعة: "لقد عرفتني على حقيقتي، كيف فعلتِ ذلك؟".

"لديّ صديق متحوِّل".

"من هو؟".

"إنه ليس من السُكّان المحليين، ولن أخبركِ بهويته دون إذنه".

حدّقَت في وجهي، وسقطَت كل ادّعاءات الصداقة في تلك اللحظة.

ثم قالت: "حسنًا، أنا أحترِم ذلك. لماذا أنتِ هنا؟".

"وما شأنكِ أنتِ؟".

"لقد أنقذتْ حياتكِ للتو".

حسنًا، لديها وجهة نظر، ووجهة نظر جيدة أيضًا. أجبتها: "حسنًا، أنا قارئة أفكار، وقد وظَّفني مصّاص الدماء، قائِد منطِقتكم، لمعرفة مصير مصّاص دماء مفقود".

"هذا أفضل، لكنه ليس قائِدي. أنا خارِقة، ولكنني لستُ مصّاصة دماء لعينة. من هو مصّاص الدماء الذي تعاملتِ معه؟".

أجبتها: "لستُ مُضطرَّة لإخباركِ بذلك".

رفعَت حاجبيها في دهشة.

"لن أخبركِ".

فتحت فمها وكأنها تريد الصراخ.

"أصرخي كما تشائين. هناك بعض الأشياء التي لن أصرِّح بها. لكن، ما معني خارِقة؟".

قالت لونا: "كائِن خارِق للطبيعة. والآن، اسمعيني". كنا نسير في موقف السيارات، وبدأتْ السيارات تدخُل بانتظام من الطريق. ابتسمَت ولوَّحت للكثيرين، وحاولتْ التظاهُر بالسعادة على الأقل. لكن لم يعد بإمكاني إخفاء عرجي، كما انتفخ وجهي بشكلٍ عاهِر، كما تقول آرلين.

يا إلهي، لقد شعرتْ بالحنين إلى الوطن فجأة. لكنني تخلَّصتْ منه بسرعة لأنتبِه إلى لونا التي بدا

أن لديها الكثير لتُخبرني به.

"أخبري مصّاصي الدماء أن هذا المكان يخضع لمُراقبتنا..".

"من تقصدين بصيغة الجمع؟".

"أعني متحوّلي منطقة دالاس الكُبرى".

"هل أنتم مُنظّمون؟ هذا رائِع! سأخبر أصدقائي بذلك".

أدارَت عينيها في سخط، وبدت غير مُعجبة بذكائي، قالت: "اسمعيني يا آنسة، أخبري مصّاصي الدماء أنه بمُجرّد اكتشاف الزمالة لأمرنا، سيُلاحِقوننا أيضًا. ونحن لسنا في طريقنا لنكون ضِمن المجتمع العام؛ نحن باقون في الخفاء للأبد. يا لمصّاصي الدماء الأغبياء هؤلاء. لذلك نحن نُراقِب الزمالة".

"وطالما أنكُم بارعين لهذه الدرجة في مُراقبتهم، لماذا لم تتصِلوا بمصّاصي الدماء لتُخبِروهم أن فاريل في القبو؟ وماذا عن جودفري؟".

"بحقك، يريد جودفري قتل نفسه، ولا يعنينا ذلك. لقد جاء للزمالة، ولم يذهبوا إليه. وكادوا يُبلّلون سراويلهم من شدّة الفرح، بعد تجاوزهم لصدمة الجلوس في نفس الغرفة مع أحد الملعونين".

"وماذا عن فاريل؟".

اعترفَت لونا قائلة: "لم أكن أعرف من كان هناك،

كل ما عرفته هو أنهم قبضوا على شخصٍ ما، لكنني لستُ من الدائِرة المُقرَّبة بعد، ولم أتمكن من معرفة هويته. حتى إنني حاولت تملُّق ذلك الأحمق، جيب، لكن ذلك لم يُجدِ نفعًا".

"ستُسرِّين لمعرفة أن جيب قد مات".

ابتسمَت بصدقٍ لأول مرة، قبل أن تقول: "بحقك! هذا خبر رائِع".

"إليك بقية الخبر. بمُجرَّد تواصلي مع مصّاصي الدماء، سيأتون إلى هنا لإنقاذ فاريل. لذا لو كنت مكانكِ، لما عُدت إلى الزمالة الليلة".

عضَّت شفتها السُفلي لدقيقَة، ووقفنا في نهاية موقِف السيارات.

قلت: "في الواقع، سيكون من المثالي لو أوصلتني إلى الفُندق".

استعادَت شخصيتها الجادَّة، وزمجَرت قائلة: "حسنًا، لستُ هنا لجعل حياتكِ مثالية، عليّ العودة إلى تلك الكنيسة قبل أن تسوء الأمور هناك، لكي أخرِج بعض الأوراق. فكِّري في هذا يا فتاة، ماذا سيفعل مصّاصو الدماء مع جودفري؟ هل سيتركونه على قيد الحياة؟ إنه مُتحرِّش بالأطفال وقاتِل مُتسلسِل، لا يمكن لأحد حتى عد ضحاياه. ولا يمكنه التوقُّف، وهو يعلم ذلك".

إذن، كان هناك جانب جيد للكنيسة.. هو أنها تُقدِّم

لمصّاص دماء مثل جودفري مكانًا للانتحار بينما يُشاهِده الناس؟

قلت: "ربما يجب عليهم بث ذلك على قناةٍ مدفوعة".

أجابتني بجديَّة: "سيفعلون ذلك لو استطاعوا. يحاول مصّاصو الدماء هؤلاء الاندماج في المجتمع، ويتعامَلون بقسوةٍ شديدةٍ مع أي شخص قد يُعرقِل خطَّتهم. إن جودفري ليس الصورة المثاليَّة تمامًا".

"لا يمكنني حل جميع المُشكِلات يا لونا. بالمُناسبة، اسمي الحقيقي هو سوكي.. سوكي ستاكهاوس. على أي حال، لقد بذلتُ قصارى جهدي. وقُمت بالمُهِمة التي وُظِّفتُ للقيام بها، والآن يجب عليَّ العودة وتقديم تقريري. إما أن يعيش جودفري، أو يموت. وشخصيًا أعتقد أنه سيموت".

قالت بتشاؤم: "من الأفضل أن تكوني على حق".

لم أستطع أن أفهم لماذا سيكون خطأي إن غيَّر جودفري رأيه. لقد شكَّكتُ فقط في مكان انتحاره. لكن ربما كانت مُحِقَّة؛ ربما أتحمَّل بعض المسؤولية هنا.

كان كل هذا أكبر من قدرتي على الاحتمال.

قلت: "وداعًا". وبدأتُ أعرُج باتجاه نهاية موقف السيارات نحو الطريق. لم أكن قد ابتعدتُ كثيرًا عندما سمعتُ ضجَّة من الكنيسة، قبل أن تُضاء

جميع الأضواء الخارجية، ويعميني الوهج المفاجئ.

قالت لونا، وهي تنظر من نافذة سيارة سوبارو أوتباك: "ربما لن أعود إلى مركز الزمالة على أي حال، إنها ليست فكرة جيدة". هرعتُ إلى مقعد الراكب، وانطلقنا نحو أقرَب مخرَج إلى الطريق السريع رُباعي الحارات، ووجدتُ نفسي أربُط حزام الأمان بشكلٍ تلقائي.

لكن آخرين تحرَّكوا بنفس السرعة الكبيرة التي تحرَّكنا بها، وهكذا تزاحمَت العديد من السيارات العائِليَّة لسدِّ مخارج موقف السيارات.

قالت لونا: "تبًا".

توقَّفنا في مكاننا لدقيقة، بينما غرقت في تفكيرٍ عميق.

عضَّت لونا شفتها أكثر، قبل أن تقول: "لن يسمحوا لي بالمغادرة، حتى لو أخفيناكِ بطريقةٍ ما، ولا يمكنني إعادتكِ إلى الكنيسة. يمكنهم تفتيش ساحة الانتظار بمُنتهى السهولة". وضعت سيارتها الأوتباك في وضع الاستعداد، ثم قالت: "عجبًا، يا له من عملٍ سخيف، على أي حال..". قادَت سيارتها بحذرٍ في البداية، في محاولة لجذب أقل قدر ممكن من الانتباه، وهي تُضيف: "هؤلاء الناس لا يعرفون عن الدين شيئًا، حتى لو قابلوه وجهًا لوجه".

وعند الكنيسة، قادَت السيارة فوق الرصيف الذي يفصِل ساحة الانتظار عن الحديقة. ثم انطلقنا

بأقصى سرعة عبر الحديقة، ودُرنا حول منطقة اللعب المُسيَّجة، واكتشفتُ أنني أبتسِم ابتسامة عريضة، رغم أن ذلك آلمني حقًا.

صرختُ: "مرحى!". ونحن نرتطِم برأس رشَّاش ماء نظام ري الحديقة. طِرنا عبر الساحة الأمامية للكنيسة، ومن هول الصدمة، لم يُلاحِقنا أحد. سيُنظِّمون أنفُسهم بعد لحظة، أولئِك المُتطرِّفون، أولئِك الذين لم يتبنَّوا التدابير الأكثر تطرُّفًا في هذه الزمالة، سيحصلون على صدمةٍ حقيقيَّةٍ الليلة.

بالطبع، نظرَت لونا في مرآتها الخلفيَّة، وقالت: "لقد فتحوا المخارج، وهناك من يُلاحِقنا". توقفنا في الزحام المروري على الطريق الذي يمر أمام الكنيسة، وهو طريق رئيسي آخر رُباعي الحارات، وانطلقَت أبواق السيارات من حولنا بسبب دخولنا المفاجئ وسط الزحام المروري.

قالت لونا: "يا إلهي". خفَّفَت من سُرعتها إلى سُرعةٍ معقولة، وواصلَت مُراقبة المرآة الخلفيَّة باستمرار. تابعَت حديثها قائلة: "الظلام حالِك الآن، ولا يمكنني معرِفة أي من المصابيح الأمامية هي مصابيحهم".

تساءَلتُ عمَّا إن كان باري قد نبَّه بيل، وسألتها: "هل لديكِ هاتِف خلوي؟".

"إنه في حقيبتي، جنبًا إلى جنبٍ مع رخصة قيادتي، التي لا تزال في مكتبي بالكنيسة. هكذا عرفتُ أنكِ تحرَّرتِ. دخلتُ إلى مكتبي، وشممتُ

رائِحتك. وعرفتُ أنكِ قد أُصِبتِ، فخرجتُ لأستطلِع المكان، وعندما لم أجدكِ؛ عُدتُ للداخل. نحن محظوظتان للغاية لأن مفاتيحي كانت في جيبي".

ليُبارك الله جميع المُتحوِّلين. شعرتُ بالحسرة بشأن الهاتف، لكن لم يكن بيدي حيلة. تساءلتُ فجأة أين حقيبتي، ربما لا تزال في مكتب زمالة الشمس. على الأقل، أخرجتُ جميع بطاقات هويّتي منها.

"هل يجب علينا التوقُّف عند هاتِف عمومي أو قِسم شرطة؟".

سألتني لونا بنبرةٍ مُشجِّعةٍ تُشبِه نبرة شخص يوجِّه طفلًا صغيرًا إلى الحكمة: "إن اتَّصلتِ بالشرطة، فماذا سيفعلون؟".

"سيذهبون إلى الكنيسة".

"وماذا سيحدُث بعد ذلك يا فتاة؟".

"سيسألون ستيف عن سبب احتجازه لبشريٍّ كرهينة".

"بالضبط، وماذا سيقول عندها؟".

"لا أعرف".

"سيقول؛ نحن لم نحتجِزها كرهينة قط. لقد تشاجَرَت مع موظَّفنا جيب، وانتهى الأمر بمقتله، لذا اعتقلوها من فضلكم!".

"هل تعتقدين ذلك؟".

"نعم، أعتقد ذلك".

"وماذا عن فاريل؟".

"إن بدأت الشرطة بالدخول، يمكنكِ التأكُّد من أن لديهم شخصًا مُكلَّفًا بالذهاب إلى القبو وغرس الوتد في قلبه. وعندما تصِل الشرطة، لن يكون هناك أي بقايا لفاريل. يمكنهم فعل الشيء ذاته مع جودفري، إن لم يدعمهُم. ومن المُحتمَل أن يقِف ساكنًا أمام ذلك، لأنه يريد الموت".

"حسنًا، وماذا عن هوجو؟".

"هل تعتقدين أن هوجو سيشرَح لكِ كيف انتهى به الأمر محبوسًا في القبو هناك؟ لا أعرف ما قد يقوله هذا الأحمَق، لكنه لن يبوح بالحقيقة. لقد عاش حياة مُزدوَجة لأشهر، ولا يمكن الجزم بما إن كان عقله سليمًا أم لا".

"حسنًا، لا يمكننا الاتصال بالشرطة، فبمن يمكننا الاتصال إذن؟".

"يجب أن ألتقي بجماعتكِ، لكنكُم لستم بحاجةٍ للقاء جماعتي، ولا حاجة لهم بمعرفة ذلك، هل تفهمين؟".

"بالتأكيد".

"لا بد وأنكِ غير عادية نوعًا ما بدوركِ، لتتعرَّفي علينا، أليس كذلك؟".

"نعم".

"إذن ماذا تكونين؟ فأنتِ لستِ مصّاصة دماء بالتأكيد، ولا واحدةً منّا أيضًا".

"أنا قارئة أفكار".

قلّدَت ما يبدو أنه صوت الشبح، وقالت: "حقًّا! لا تمزَحين! عوا!".

قلت، وأنا أشعُر أنه يمكنني عذر نفسي إن بدا صوتي مُستاءً بعض الشيء: "لستُ أكثر غرابةً منكِ!".

قالت دون أن تعني ذلك حقًّا: "أنا آسفة. حسنًا، إليكِ الخطّة..".

لكنني لم أتمكن من سماع خطّتها، لأننا تعرَّضنا لصدمةٍ من الخلف في نفس اللحظة.

الشيء التالي الذي عرفته بعد ذلك هو أنني عُلقتُ رأسًا على عقبٍ في حزام الأمان. بينما امتدَّت يد لتسحبني للخارج. تعرَّفتُ على أظافرها؛ إنها سارة، لذا عضضتها.

صرخَت، وهي تسحَب يدها. وسمعتُ صوتها العذب وهي تتحدَّث لشخصٍ آخر، شخص لا علاقة له بالكنيسة: "من الواضح أنها فقدَت الوعي". استوعبتُ ذلك، وأدركتُ ضرورة التصرُّف.

صرخت: "لا تُنصِتوا إليها، إنها هي من صدمتنا، لا تدعوها تلمسني".

نظرتُ إلى لونا، التي لامَس شعرها السقف الآن. كانت مُستيقِظة، ولكنها لم تكن تتحدَّث. تلوَّت يمينًا ويسارًا، وتوقَّعتُ أنها تحاول فك حزام الأمان.

دار الكثير من النقاش خارج النافذة، معظمها جدلي بلا فائِدة.

قالت بولي لشخصٍ ما: "أؤكِّد لك أنني شقيقتها، وأنها ثَمِلة".

قلتُ بصوتٍ وقور قدر الإمكان، بالنظر إلى أنني كنت في حالة صدمة، ومُعلَّقة رأسًا على عقب: "أنا لستُ كذلك، وأطالِب بإجراء اختبار الرصانة الآن. استدعوا الشرطة على الفور، من فضلكم، وسيارة إسعاف".

ورغم أن سارة بدأت تتلعثَم، إلا أن صوت رجُلٍ غليظ قال: "لا يبدو أنها تريدكِ بجانبها يا سيِّدتي، ويبدو أن لديها وجهة نظر منطقيَّة في ذلك".

ظهر وجه رجُل في النافذة، جثا على رُكبتيه وانحنى جانبًا لينظر إلى الداخل، ثم قال بصوتٍ غليظ: "لقد اتَّصلتُ بالطوارئ". كان رجُلًا أشعث وذا لحية خفيفة، ووجدته رائِعًا.

توسَّلتُ إليه: "أرجوك، ابقَ هنا حتى يأتوا".

وعدني قائلًا: "سأبقى". ثم اختفى وجهه.

سمعتُ المزيد من الأصوات الآن، وتعالَت صرخات سارة وبولي. لقد صدمَتا سيَّارتنا، وشَهِد العديد

من الناس ذلك. ولم يلق ادّعاؤهما أنهما شقيقتان أو ما شابه قبولًا لدى هذا الجمع. وكما يبدو، كان معهُما رجلان من جماعة "زمالة الشمس" لم يكونا محبوبين بأي حال.

قالت بولي والغضب يملأ صوتها: "إذن، سنذهب فحسب".

قال الرجل الرائع المُقاتِل: "لا، لن تذهبوا. عليكُما تبادُل تفاصيل التأمين معهُما على أي حال".

ارتفع صوت شاب أصغر سنًا: "هذا صحيح، أنتم فقط لا تريدون دفع تكاليف إصلاح سيارتهما. ثم ماذا لو تعرَّضنا للأذى؟ ألا يجب عليكم دفع تكاليف المُستشفى؟".

تمكنت لونا من فكّ حزامها، وانقلبَت حين سقطَت على السقف، الذي أصبح الآن أرضيَّة السيارة . وبليونةٍ لا يمكنني إلا أن أحسِدها عليها، أخرجَت رأسها من النافذة المفتوحة، ثم بدأت تُثبِّت قدميها بأي مكان يمكنها العثور عليه. وبالتدريج، بدأت تتلوى لتخرُج من النافذة. تصادَف أن إحدى النقاط التي اعتمدَت عليها هي كتفي، لكنني لم أنبُس ببنت شفة. إذ تحتَّم على إحدانا أن تكون حُرة.

ارتفعَت صيحات الدهشة في الخارج عندما ظهرَت لونا، ثم سمعتها تقول: "حسنًا، أيكم كان يقود السيارة ؟".

تعالَت أصوات مُختلِفة، وكل منها يُشير إلى

شخصٍ مختلف، لكنهم جميعًا عرفوا أن سارة وبولي وأتباعهما هُم المُذنِبون، وأن لونا هي الضحيَّة. احتشَد الكثير من الأشخاص حولنا، حتى إنه عندما وصلَت سيارة أخرى مليئة برجال من الزمالة، لم يكن بإمكانهم سحبنا بعيدًا. قلت لنفسي: ليُبارك الله حُب الأمريكيين لمشاهدة الحوادِث. ووجدتُ نفسي في حالةٍ عاطفيَّة.

كان المُسعِف الذي انتهى به الأمر بانتشالي من السيارة هو أوسَم رجُل رأيته في حياتي. كان اسمه سالازار، وفقًا لشارته. نطقتُ اسمه لأتأكَّد من أن بإمكاني نطقه، وتحتَّم عليَّ لفظه ببطء.

رفع جفني ليفحَص عيني، وقال: "نعم، هذا اسمي، وأنتِ مُصابة قليلًا يا سيِّدتي".

أوشكتُ على إخباره بأنني تعرَّضتُ لبعض هذه الإصابات قبل الحادِث، لكنني سمعتُ لونا تقول: "لقد طارَت مُفكِّرتي من فوق لوحة القيادة وضربتها في وجهها".

قال أحدهم بنبرةٍ جافَّة: "سيكون من الآمن أكثر لو احتفظتِ بلوحة القيادة خالية يا سيِّدتي".

"حسنًا يا حضرة الضابِط".

ضابِط؟ حاولتُ إدارة رأسي، فوبَّخني سالازار قائلًا بصرامة: "ابقي ثابِتة حتى أنتهي من فحصك".

قلت: "حسنًا". وبعد لحظة، سألته: "هل الشرطة

هنا؟".

"نعم يا سيِّدتي. والآن، ما الذي يؤلمكِ؟".

خضعتُ لقائِمةٍ طويلةٍ من الأسئلة، تمكنتُ من الإجابة عن معظمها.

قال سالازار وشريكته، وهي امرأة ثقيلة الوزن، بنبرةٍ عمليَّة: "أعتقد أنكِ ستكونين بخيرٍ يا سيِّدتي، لكننا بحاجةٍ لنقلكِ أنتِ وصديقتكِ إلى المُستشفى للتأكُّد من سلامتكما".

قلتُ بقلق: "عجبًا، لا نحتاج للذهاب إلى المُستشفى، أليس كذلك يا لونا؟".

قالت وهي تبدو مُندهِشة قدر الإمكان: "بالتأكيد، علينا فحصكِ بالأشعة السينيَّة يا عزيزتي، أعني أن وجنتكِ تبدو سيِّئة".

ذُهِلتُ قليلًا من هذا التحوُّل في الأحداث، لذا قلت: "حسنًا، طالما أنكِ تعتقدين ذلك".

"بلى، تمامًا".

ثم توجَّهَت لونا إلى سيارة الإسعاف، بينما حُمِلتُ أنا على نقَّالة، وانطلقنا مع صوت صفَّارات الإنذار. كان آخر منظَر رأيته قبل إغلاق سالازار للأبواب هو بولي وسارة وهُما تتحدَّثان إلى شُرطيٍّ طويل القامة. وبدت عليهما علامات القلق الشديد. حسنًا، هذا جيد.

كان المُستشفى مثل كل المُستشفيات. تبعتني

لونا كظلّي، وعندما جلسنا في نفس الغرفة، ودخلت مُمرِّضة لتدوين المزيد من التفاصيل، قالت لونا: "أخبري الدكتور جوزيفوس أن لونا جارزا وشقيقتها هنا".

رمقتها المُمرِّضة، وهي شابَّة من أصول إفريقيَّة، بنظرة شك. لكنها قالت: "حسنًا". وغادرت على الفور.

سألتها: "كيف فعلتِ ذلك؟".

"كيف جعلت المُمرِّضة تتوقَّف عن ملء المُخطَّطات؟ لقد طلبتُ القدوم إلى هذا المُستشفى عن قصد. لدينا شخص في كل مُستشفى في المدينة، لكنني أعرف رجلنا هنا جيدا".

"رجُلنا؟".

"رجُلنا نحن، ثُنائي الهيئة".

إنها تقصد المُتحوِّلين. لم أستطع الانتظار حتى أخبر سام بذلك.

قال بصوت هادئ: "أنا الدكتور جوزيفوس".

رفعتُ رأسي لأرى رجُلًا نحيلًا ذا شعر فضي قد دخل إلى خلف السِتارة، بدأ يفقِد شعره قليلًا، وله أنف حاد تربض عليه نظَّارة ذات إطارٍ سلكي، كبَّرَت عينيه الزرقاوين الحادَّتين.

قالت لونا وكأنها شخص آخر، حتى إنني التفتُّ لأتأكَّد ما إن كانت هي لونا نفسها: "أنا لونا جارزا، وهذه صديقتي ماريجولد. لقد واجهنا بعض

المتاعِب الليلة في أثناء أداء واجِبنا".

نظرَ الطبيب إليّ بشيءٍ من الشك.

قالت لونا بجدّيةٍ كبيرة: "إنها جديرة بالثِقة". لم أرغب في إفساد اللحظة بالضحك، لكنني اضطُرِرتُ إلى عضّ فمي من الداخل.

قال الطبيب بعد النظر إلى وجهي وفحص رُكبتي المتورِّمة بشكلٍ بشع: "علينا فحصكِ بالأشعة السينيّة". كنت أعاني من سحجات وكدمات مُختلِفة، ولكنها كانت إصاباتي المُهِمّة الوحيدة.

قالت لونا بصوتٍ لا يقبَل الرفض: "إذن، نحن بحاجةٍ إليها بسرعة كبيرة، ثمَ نحتاج إلى الخروج من هنا بطريقةٍ آمنة".

لم يتحرَّك أي مُستشفى بمثل هذه السرعة من قبل. ولم أستطع إلا افتراض أن الدكتور جوزيفوس كان أحد أعضاء مجلِس الإدارة، أو ربما كان رئيس الطاقِم الطبّي. نُقِلَ جهاز الأشعة السينيّة المحمول إلى الداخل، وأُخذت إلى الأشعة، وبعد بضع دقائق أخبرني الدكتور جوزيفوس أن لديّ كسرًا دقيقًا في عظمة وجنتي، وأنه سيشفى من تِلقاء نفسه. أو يمكنني رؤية جرّاح تجميل عندما يخف التورُّم. أعطاني وصفة لحبوب مُسكِّنة للألم، والكثير من النصائِح، وحزمتي ثلج، واحدة لوجهي، وأخرى لرُكبتي التي وصفها بـ "الملتوية".

في غضون عشر دقائق بعد ذلك، كنا في طريقنا

للخروج من المُستشفى. دفعتني لونا على كُرسي مُتحرِّك، وقادنا الدكتور جوزيفوس عبر ما يشبه نفق الخدمة. مررنا ببعض الموظفين في طريقهم للعمل. بدا أنهم من ذوي الدخول المُنخفِضة، أشخاص يعملون في وظائِف متواضِعة مثل عُمَّال النظافة والطُهاة في المُستشفى. لم أستطع تصديق أن الدكتور جوزيفوس، الواثِق من نفسه بهذا القدر، قد وطأ هذا الممر من قبل، لكنه بدا واثقًا من طريقه، ولم يُبدِ الموظَّفون أي انزعاج عند رؤيته. وفي نهاية النفق، دفع بابًا معدنيًا ثقيلًا ليفتحه.

أومأت لونا جارزا برأسها بوقار، وقالت: "شكرًا جزيلًا". ثم دفعتني إلى الخَارج في ظلمة الليل. حيث توقَّفَت سيارة قديمة وكبيرة بالخارج، كان لونها أحمر أو بُنيًا داكنًا. وعندما تلفَّتُ حولي قليلًا، أدركتُ أننا كنا في زقاق. تراصَت حاويات قمامة كبيرة على الحائِط، ورأيتُ قطَّة تنقض على شيءٍ ما، لم أرغب في معرِفة ماهيته، بين حاويتين منهم. بعد أن أغلق الباب خلفنا بإحكام، ساد الهدوء في الزقاق، وبدأتُ أشعُر بالخوف مُجدَّدًا.

ووجدتُ نفسي قد سئمتُ الخوف بشكلٍ لا يُصدَّق.

توجَّهَت لونا إلى السيارة، وفتحت الباب الخلفي، وقالت شيئًا لمَن كان بالداخل. ومهما كان الرد الذي تلقَّته، فقد أغضبها، وهو ما دفعها للتحدُّث بلغةٍ أخرى.

ودار مزيد من الجِدال.

عادَت لونا إليّ بخطوات غاضبة، وقالت: "يجب أن تضعي عصابة على عينيك". وكانت متأكدة من أنني سأشعُر بإهانةٍ كبيرة.

قلت، ملوِّحةً بيدي للإشارة لمدى تفاهة الأمر: "لا بأس".

"ألا تُمانعين ذلك؟".

"لا، أنا أتفهَّم ذلك يا لونا. يُقدِّس الجميع الخصوصيَّة".

قالت: "حسنًا إذن". ثم أسرَعت إلى السيارة ، وعادَت بوشاحٍ في يدها، من الحرير الأخضَر والأزرَق بلون ذيل الطاووس. طوَته وكأننا سنلعب لعبة "الدبوس على الذيل"، وربطته بإحكامٍ خلف رأسي. وهمسَت في أذني قائلة: "اسمعيني جيدا. هذان الاثنان قاسيان، لذا توخَّي الحذر". جيد، لقد كنت بحاجةٍ لمزيد من الخوف فعلًا.

دفعتني باتجاه السيارة وساعدتني على الدخول. أعتقد أنها أعادَت الكرسي إلى الباب في انتظار من يأخُذه؛ على أي حال. بعد دقيقة، دخلتْ هي من الجانب الآخر للسيارة . جلس شخصان في المقعد الأمامي، أنصتُّ إلى عقليهما، بلمسةٍ حذرة، واكتشفتُ أن كليهما متحوِّلان؛ على الأقل، كان لديهما نفس شعور المُتحوِّلين، ذلك التشابُك المُعتِم شبه الغامِض، الذي حصلتْ عليه من سام

ولونا. عادةً ما يتحوَّل رئيسي سام إلى كلب كولي. وتساءلت إلامَ تتحوَّل لونا. كان هناك اختلاف في هذين الاثنين، نوع من الثِقَل النابِض. وبدت الخطوط العريضة لرأسيهما مُختلِفة بشكلٍ خافت، وليست بشرية تمامًا.

ساد الصمت لبضع دقائق، بينما خرجَت السيارة من الزقاق، وسارَت في ظُلمة الليل.

قالت السائقة: "فندق "سايلنت شور"، أليس كذلك؟". بدا صوتها خشِنًا قليلًا. ثم أدركتُ أن القمر كان شبه مُكتمِل. يا للهول، عليهم التحوُّل عند اكتمال القمر. ربما كان هذا هو السبب الذي جعل لونا تتصرَّف بتلك الحُريَّة في الزمالة الليلة، بمُجرَّد حلول الظلام. ربما ألهب القمر مشاعرها.

قلت بأدب: "نعم، من فضلكِ".

قال الراكب بصوتٍ أقرب للهمهمة: "أول مرة أرى طعامًا يتحدَّث".

لم يعجبني ذلك على الإطلاق، لكن لم يكن لديَّ أي فكرة عن كيفيَّة الرد. يبدو أن هناك الكثير لأتعلَّمه عن المُتحوِّلين، كما هو الحال مع مصَّاصي الدماء.

قالت لونا: "كفى، إنها ضيفتي".

قال الراكب: "يبدو أن لونا تتسكَّع مع طعام الجراء". لقد بدأتُ أكره هذا الرجُل فعلًا.

قالت السائقة: "رائِحتها أشبه برائحة الهامبرجر

بالنسبة لي، إنها مُصابة بخدش أو اثنين، أليس كذلك يا لونا؟".

صرخَت لونا: "أنتما تعطونها انطباعًا رائِعًا عن مدى تحضُرنا، أظِهرا بعض السيطرة. لقد مرَّت بليلةٍ سيئةٍ بالفعل، ولديها عظمة مكسورة أيضًا".

لم تكن الليلة قد انتصفت بعد. حرَّكتُ كيس الثلج الذي وضعته على وجهي. لا يمكنك تحمُّل الكثير من البرودة على الجيوب الأنفيَّة.

همسَت لونا في أذني: "لماذا توجَّب على جوزيفوس استدعاء المُستذئبين اللُعناء؟". لكنني عرفتُ أنهم سمعوا؛ لأن سام-كان يسمع كل شيء، ومع ذلك، لم يكن بقوَّة مُستذئب حقيقي. أو على الأقل، كان هذا هو تقييمي. وإحقاقًا للحق، حتى هذه اللحظة، لم أكن متأكدة من وجود مُستذئبين حقيقيين.

قلتُ بلباقةٍ وبصوتٍ مسموع: "أعتقد أنه ظنَّ أن بإمكانهما الدِفاع عنَّا بشكلٍ أفضل إن تعرَّضنا لهجومٍ آخر".

شعرتُ بالمخلوقات في المقعد الأمامي وهي تُرهِف السمع، بكل ما تحمِله الكلِمة من معنى.

قالت لونا بسخط: "لقد كنا بخير". ثم انتفضَت وتململَت بجانبي وكأنها شربَت ستَّة عشر كوبًا من القهوة.

قلت: "لقد صدمتنا سيارة ، وتحطَّمَت سيَّارتكِ يا لونا، وكنا في غرفة الطوارئ. ماذا تقصدين بـ "بخير" على أي حال؟".

ثم أدركتُ أنني بحاجةٍ للإجابة على سؤالي بنفسي، فقُلت: "أنا آسفة يا لونا. لقد أخرجتني من هناك عندما كانوا على وشك قتلي، ليس ذنبكِ أنهم صدمونا".

سأل الراكب بصوتٍ أكثر تهذيبًا: "هل مررتما بليلةٍ صعبة؟". بدا وكأنه يتوق إلى الشجار، ولم أكن أعرف ما إن كان لدى جميع المُستذئبين لديهم مثل هذه الروح القتالية كهذا الرجُل، أمِ إن ذلك كان جزءًا من طبيعته فحسب.

قالت لونا بفخر: "أجل، مع زمالة الشمس اللعينة. لقد حبسوا هذه الفتاة في زنزانة، داخل قبو".

سألتها السائقة، بنفس النبض المُفرِط الذي ملأها: "حقًّا؟". حسنًا، لم أجِد كلمة أفضل من "هالتها" لوصف الأمر.

قلت بحزم: "حقًّا". ثم أضفتُ لتلطيف الجو بالمُحادثة: "كما إنني أعمل لدى متحوِّل، في مدينتي".

"حقًّا؟ ماذا تعملين؟".

"في حانة، إنه يمتلك حانة".

"إذن، هل أنتِ بعيدة عن وطنكِ؟".

قلت: "بعيدة للغاية".

"وهل أنقذَت هذه الخُفَّاش الصغيرة حياتكِ الليلة فعلًا؟".

قلت بصدقٍ شديد: "نعم، لقد أنقذَت لونا حياتي". تُرى، هل تقصد ذلك حرفيًا؟ هل يمكن أن تتحوَّل لونا إلى.. يا إلهي!

قال الصوت العميق الأجش بنبرة احترام خفيف: "أحسنتِ يا لونا".

وجدَت لونا المديح لطيفًا، كما يجب أن يكون، وربتَت على يدي. وفي صمتٍ أكثر ودًا، انطلقت السيارة لخمس دقائق أخرَى تقريبًا، ثم قالت السائقة: "لقد كدنا نصِل إلى "سايلنت شور".

تنهَّدتُ تنهيدة طويلة من الارتياح.

سمعتها تقول: "هناك مصَّاص دماء ينتظر بالخارج".

كدتُ أنزع العصابة عن عيني، قبل أن أدرِك أن ذلك سيكون تصرُّفًا غير لائِق، سألتها: "كيف يبدو؟".

"طويل للغاية، أشقر، ذو شعر كثيف. عدو أم حبيب؟".

توجَّب عليَّ التفكير في ذلك قليلًا، ثم قلتُ محاولة التظاهُر بالثقة: "حبيب".

قالت السائقة: "إنه مُثير، هل يواعِد غير مصَّاصي

الدماء؟".

"لا أدري، هل تريدينني أن أسأله؟".

أصدروا أصواتًا تدل على الاشمئزاز، ثم قالت لونا مُحتجَّة: "لا يمكنكِ مواعدة ميِّت! هيا يا فتاة!".

قالت السائقة: "حسنًا، إن بعضهم ليس سيئًا لهذا الحد. سأتوقَّف على الرصيف أيتها الجميلة".

همسَت لونا في أذني: "إنها تقصدكِ".

توقَّفت السيارة ، وانحنَت لونا لفتح بابي. وبينما خرجتُ، وهي تدفعني وتوجِّهني بيديها، سمعتُ صوت تعجُّب من الرصِيف. وبسُرعة البرق، أغلقت لونا الباب خلفي. وانطلقَت السيارة المليئة بالمُتحوِّلين مُبتعِدةً عن الرصيف بصريرٍ عال. وتعالَى عواءٌ سُرعان ما تلاشى في هواء الليل الثقيل.

قال بصوت مألوف: "سوكي؟".

"إريك!".

تحسَّستُ عصبة العينين، لكن إريك أمسَك بطرفها وسحبها. ووجدتُ أنني قد حصلتُ لتوِّي على وشاحٍ جميل، وإن تلطَّخ قليلًا. أضيئَت واجهة الفُندق، بأبوابه الثقيلة المُغلقة، بشدَّة في ظُلمة الليل، وبدا إريك شاحبًا بشكلٍ ملحوظ. ارتدى بدلة رسميَّة مُخطَّطة باللون الأزرق الداكن، وهو أمر غير مُعتاد تمامًا.

في الواقع، سَعِدتُ برؤيته. أمسَك بذراعي ليمنعني من الترنُّح، ونظر إلى بتعبيرٍ لا يمكن قراءته، وهو ما برع فيه مصَّاصو الدماء. ثم قال: "ما الذي حدث لكِ؟".

"لقد.. حسنًا، من الصعب شرح ذلك في لحظة. أين بيل؟".

قال: "في البداية، ذهب إلى "زمالة الشمس" لإنقاذك، ولكننا علمنا ونحن في الطريق، من أحدنا، وهو شُرطي، أنكِ تعرَّضتِ لحادثٍ ونُقِلتِ إلى المُستشفى. لذا ذهب إلى هناك. وفي المُستشفى، اكتشف أنكِ قد غادرتِ بطرِيقةٍ غير رسميَّة. لم يخبره أحد بأي شيء، ولم يتمكن حتى من تهديدهم بالطريقة المناسبة". بدا إريك مُحبطًا للغاية، فلطالما كانت حقيقة اضطراره للعيش ضمن قوانين البشر مصدر إزعاج دائِم له، رغم استمتاعه بفوائِدها. تابع حديثه قائلًا: "وبعد ذلك، لم يكن هناك أي أثر لك. لم يسمَع البوَّاب منكِ سوى مرَّة واحدة فقط، أقصد عقليًا".

"باري المسكين، هل هو بخير؟".

قال إريك بنبرةٍ جافَّة: "أغنى بعدَّة مئات من الدولارات، وسعيد جدًا بذلك. والآن، نحتاج فقط إلى بيل. يا لكِ من مُشاغِبة يا سوكي". أخرَج هاتفًا خلويًا من جيبه، وضغط على رقم ما، وبعد ما بدا وقتًا طويلًا، أجابه الطرف الآخر، فقال: "إنها هنا يا

بيل، لقد جلبها بعض المُتحوِّلين إلى هنا". تفحَّصني للحظة، ثم تابع: "مُصابة، لكنها قادِرة على السير". استمع أكثر قليلًا، قبل أن يسألني: "هل معكِ مفتاحكِ يا سوكي؟".

تحسَّستُ جيب تنورتي حيث وضعتُ البطاقة البلاستيكيَّة قبل مدة طويلة.

قلت: "نعم". ولم أصدق ببساطة أن شيئًا قد سار على ما يرام أخيرًا، ثم سألته فجأة: "لحظة! هل أنقذوا فاريل؟".

رفع إريك يده ليُشير إلى أنه سيُجيبني بعد دقيقة، وقال: "سآخذها للأعلى وأبدأ في مُعالجتها يا بيل". تصلَّب جسده، وقال بلهجةٍ ملؤها التهديد: "لكن يا بيل.. حسنًا إذن، إلى اللقاء". ثم التفتَ إليَّ وكأن شيئًا لم يُقاطِعه.

قال: "نعم، فاريل بأمان. لقد داهموا الزمالة".

"هل.. هل تعرَّض الكثيرون للأذى؟".

"خاف معظمهم بشدَّة من مُجرَّد الاقتراب، لذا تفرَّقوا وعادوا إلى منازلهم. ووجدنا فاريل في زنزانةٍ تحت الأرض، مع هوجو".

"نعم، ماذا حدث لهوجو؟".

ويبدو أن صوتي كان مُفعمًا بالفضول، لأن إريك نظر إليَّ في أثناء تقدُّمنا نحو المصعد. مُجاريًا سُرعتي، لأنني كنت أعرُج بشدَّة.

سألني: "هل يمكنني حملكِ؟".

أجبته: "لا أعتقد ذلك، بعدما وصلتُ إلى هذا الحد". رغم أنني كنت سأقبَل عرض بيل على الفور. لوَّح لي باري، عند مكتب الاستقبال. وكان سيهرع إليّ لو لم أكن مع إريك. رمقته بما تمنَّيتُ أن تكون نظرة ذات مغزى، لأخبره أنني سأتحدّث معه لاحقًا، ثم فتح باب المصعَد وأخذنا مكاننا بداخله. ضغط إريك على زر طابقِنا، واتَّكأ على الجدار المُغطَّى بمرآة والمقابل لي. وعندما نظرتُ إليه، لمحتُ انعكاس صورتي.

قلتُ بذُعرٍ تام: "يا إلهي، لا!". إذ تسطَّح شعري بسبب الشعر المُستعار، ثم مشَّطته بأصابعي، فتحوَّل إلى كارثة فوضويَّة. رفعتُ يدي إلى رأسي، بلا حولٍ ولا قوَّة، وارتعش فمي بدموعٍ مكبوتة. وكان شعري أقل ما يُقلقني؛ إذ انتشرَت كدمات واضحة تتراوَح بين الخفيفة والشديدة على معظم جسدي، وكان ذلك في الجزء الذي يمكن رؤيته فقط. تورَّم الجانب الأيسَر من وجهي وتغيَّر لونه. بينما كان هناك جرح في منتصف الكدمة فوق عظم وجنتي. في حين فقدَت بلوزتي نصف أزرارها، وتمزَّقت تنورتي واتَّسَخَت، وامتلأت ذراعي اليُمنى بالكُتل الدمويَّة.

بدأت أبكي. إذ بدا مظهري فظيعًا للغاية؛ حتى إنه حطَّم ما تبقى من روحي.

يُحسَب لإريك أنه لم يضحَك، رغم أنه ربما أراد ذلك. قال وكأنه يتحدَّث إلى طفلة: "تحتاجين إلى حمَّام وملابس نظيفة، وستُصبحين بخيرٍ يا سوكي". ولأكون صادِقة، لم أشعُر بأنني أكبر سنًا في تلك اللحظة.

قلت له: "لقد ظنَّت المُستذئبة أنك لطيف". ثم واصلت البكاء، قبل أن نخرُج من المصعَد.

قال: "مُستذئبة؟ لقد خُضتِ مغامرة مُثيرة الليلة يا سوكي". ضمَّني إليه وكأنه يجمَع كومةً من الملابس، واحتواني بين ذراعيه. فبللتُ سُترته الأنيقة بالماء والمخاط، ولم يعد قميصه الأبيض ناصِع البياض بعد الآن.

ابتعدتُ قليلًا، ونظرتُ إلى ملابسه قائلة: "أنا آسفة جدًا!". ثم بدأت أمسحها بوشاحي.

قال على عجل: "فقط لا تبكي مُجدَّدًا، ولن أمانِع أخذ ذلك إلى المغسَلة، بل لن أمانِع حتى شراء بدلة جديدة بالكامل".

اعتقدتُ أنه من المُسلِّي للغاية أن إريك، سيِّد مصَّاصي الدماء المُخيف، يخاف من النساء الباكيات. وضَحِكتُ من بين دموعي وتنهيداتي.

سألني: "هل هناك شيء مُضحِك؟".

هززتُ رأسي نفيًا.

فتحتُ البطاقة، ودخلنا. قال إريك: "يمكنني

مُساعدتكِ على الاستحمام إن أردتِ يا سوكي".

قلت: "لا أظن ذلك". كان الاستحمام هو أكثر ما أريده في العالم، هذا بالإضافة إلى عدم ارتداء هذه الملابس مرة أخرى، لكنني بالتأكيد لم أكن لأستحِم في ظلّ وجود إريك في أي مكان قريب.

قال إريك، مُحاولًا رفع معنوياتي: "أراهن أنكِ جميلة وأنتِ عارية".

قلت: "أنت تعرف ذلك، أنا لذيذة تمامًا مثل حلوى الإكلير الشهيّة". وجلستُ بحذرٍ على أحد المقاعِد، قبل أن أضيف: "رغم أنني أشعُر في الوقت الحالي أنني أشبِه البودين". علمًا بأن البودين هو نوع من النقانِق، يُصنع من خليطٍ من المُكوِّنات، التي لا تمُت للأناقة بصِلة. دفع إريك كرسيًا مُستقيم الظهر ورفع ساقي لمستوى الرُكبة. أعدتُ وضع كيس الثلج عليها وأغمضتُ عيني. اتَّصل إريك بمكتب الاستقبال، وطلب ملقطًا، ووعاءً، ومرهمًا مُطهِّرًا، وكُرسيًا مُتحرِّكًا. ووصلت الأشياء في غضون عشر دقائق، سأعترِف أن الموظفين هنا جيدون.

وقف مكتب صغير بجانب أحد الجدران. حرَّكه إريك إلى الجانب الأيمَن من مقعدي، ورفع ذراعي، ووضعها على سطح المكتب، وأضاء المصباح. مسح ذراعي بمنشفةٍ مُبلَّلةٍ، ثم بدأ يُزيل الشظايا، التي لم تكن سوى قطعٍ صغيرةٍ من زُجاج نافذة سيارة لونا. وعلَّق قائلًا: "لو كنت فتاة عادية، لفتنتكِ كيلا

تشعُري بذلك، تحلَّي بالشجاعة". لقد آلمني بشدَّة، وانهمرَت الدموع على وجهي طوال الوقت الذي عمل فيه، لكنني بذلتُ جهدًا كبيرًا لأظل صامِتة.

أخيرًا، سمعتُ صوت الباب يُفتَح، ففتحتُ عيني. ألقى بيل نظرة على وجهي، وتألَّم، ثم تابع ما كان إريك يفعله، وأومأ له برأسه بتقدير.

سألني وهو يلمِس وجهي بلطف شديد: "كيف حدث هذا؟". ثم قرَّب الكرسي المُتبقِّي وجلس عليه، بينما تابع إريك عمله.

بدأتُ في الشرح. كنت مُرهقة حتى إن صوتي تهدَّج من وقتٍ لآخر، وعندما وصلتُ للجُزء المُتعلق بجيب، لم يكن لديَّ ما يكفي من الذكاء لأخفِّف من حدَّة القصَّة، ورأيتُ بيل يتمالَك أعصابه بصعوبة. رفع بلوزتي بلطف، ليتفحَّص حمَّالة صدري المُمزَّقة، والكدمات على صدري، حتى في ظلِّ وجود إريك معنا. (والذي نظر بالطبع).

سألني بيل، بهدوءٍ شديد: "ماذا حدث لجيب هذا؟".

قلت: "حسنًا، لقد مات. قتله جودفري".

انحنى إريك للأمام، وسألني: "هل رأيتِ جودفري؟". لم يكن قد نطق بكلمةٍ حتى هذه اللحظة. كان قد انتهى من مُعالجة جرحي، ووضع مرهَمًا مُضادًا حيويًا على ذراعي، وكأنه يحمي طِفلة من طفح الحفَّاضات.

"لقد كنت مُحقًا يا بيل، إنه مُختطِف فاريل، رغم أنني لم أحصُل على تفاصيل كثيرة. ومنع جودفري جيب من اغتصابي. رغم أنه يجب عليّ الاعتراف بأنني قد قاومته بشدّة بدوري".

قال بيل بابتسامةٍ صغيرة: "لا تتباهي. إذن، فالرجل ميّت". لكنه لم يبدُ راضيًا عن ذلك.

"لقد أبلى جودفري حسنًا في إيقاف جيب، ومُساعدتي على الخروج. خاصّة وأنه فكّر فقط في لقاء الشمس. أين هو بالمُناسبة؟".

قال بيل: "لقد هرب في جنح الليل خلال هجومنا على الزمالة، ولم يستطع أحد منّا اللحاق به".

"ماذا حدث في الزمالة؟".

"سأخبركِ يا سوكي، لكن دعينا نقول ليلة سعيدة لإريك، وسأخبركِ بينما أحمّمكِ".

وافقته قائلة: "حسنًا، طابَت ليلتكِ يا إريك، وشكرًا على الإسعافات الأوليّة".

قال بيل لإريك: "أعتقد أن هذه هي النقاط الرئيسيّة. إن كان هناك المزيد، سأزور غُرفتك لاحقًا".

نظر إليّ إريك بعينين نصف مفتوحتين: "حسنًا". كان قد لعق ذراعي الملطخة بالدماء في أثناء مُعالجتها، وبدا أن الطعم قد جعله مُنتشيًا، تابع حديثه قائلًا: "ارتاحي جيدا يا سوكي".

قلت بعينين مفتوحتين فجأة: "حسنًا. أتعلمان، نحن ندين للمتحوِّلين".

حدَّق كلا مصّاصي الدماء في وجهي، فتابعتُ حديثي قائلة: "حسنًا، ربما لا تدينان لهما يا رِفاق، لكنني بالتأكيد مدينةٌ لهُم".

قال إريك: "سيُطالِبون بردِّ الجميل، هؤلاء المُتحوِّلون لا يُقدِّمون أي خدمة مجانًا. تصبحين على خيرٍ يا سوكي، وأنا سعيد لأنكِ لم تُغتصبي أو تُقتلي". ثم ابتسم لي فجأة، وبدا أكثر شبهًا بنفسه.

قلت له وأنا أغمض عيني مرة أخرى: "يا للطفك، شكرًا جزيلًا، تصبح على خير".

بعدما أغلق الباب خلف إريك، حملني بيل من على الكرسي، وأخذني إلى الحمَّام، الذي كان بحجم معظم حمَّامات الفنادِق، لكن حوض الاستحمام كان كافيًا. ملأه بيل بالماء الساخِن، وخلع ملابسي بعنايةٍ فائِقة.

قلت له: "تخلَّص منها يا بيل".

زمَّ شفتيه، ونظر إلى الكدمات مرة أخرى، قبل أن يقول: "ربما سأفعل ذلك".

وضَّحتُ له قائلة: "بعض هذه الكدمات من السقوط على السلم، وبعضها الآخر من حادِث السيارة ".

قال بيل، وكأنه يُحدِّث نفسه: "لو لم يمُت جيب، لوجدته وقتلته، ولفعلتُ ذلك ببطء". رفعني بسهولةٍ

وكأنني طِفلةٌ، ووضعني في حوض الاستحمام، وبدأ يغسلني بقطعة قماش وصابونة.

"شعري قذِر للغاية".

"نعم، هذا صحيح. لكن قد نضطر للاعتناء به في الصباح. فأنتِ بحاجةٍ للنوم".

بدءًا من وجهي، فرك بيل جسدي بلطف. تغيَّر لون الماء بالأوساخ والدماء القديمة. فحص ذراعي بعناية، للتأكُّد من إزالة إريك لكل شظايا الزُجاج. ثم فرَّغ الحوض وأعاد تعبِئته، وأنا أرتجِف من البرد. وهذه المرة، أصبحتُ نظيفة تمامًا. وبعد تذمُري بشأن شعري مرة ثانية، استسلم بيل. وبلَّل رأسي، وغسل شعري بالشامبو، وشطفه بشكلٍ مُتكرِّر. لا يوجد شيء أروَع من الشعور بالنظافة من الرأس إلى أخمَص القدمين بعد أن تكون مُتسِّخًا، وأن تستمتِع بسريرٍ مُريحٍ بملاءات نظيفة، والنوم فيه بأمان.

قلتُ له وهو يحمِلني إلى السرير: "أخبرني عمَّا حدث في الزمالة، حدِّثني عن الأمر".

وضعني بيل تحت الغطاء، وزحف إلى الجانب الآخر. وَضَع ذراعه تحت رأسي، واقترب مني. وضعتُ جبيني بحذر على صدره وفركته.

قال: "عندما وصلنا إلى هناك، بدا المكان أشبه بعشِّ النمل المعطوب. إذ امتلأت ساحة الانتظار بالسيارات والأشخاص، واستمرَّ المزيد في الوصول

للمُشاركة في.. النوم طوال الليل؟"

غمغمت: "حفل المبيت". ثم انقلبتُ بحذرٍ على جانبي الأيمَن لأحتمي به.

قال: "عمَّت الفوضى عندما وصلنا. اندفعوا كلهم تقريبًا إلى سياراتهم، وغادروا بأسرَع ما تسمَح به حركة المرور. حاول قائِدهم، نيولِن، منعنا من دخول قاعة الزمالة، التي من المؤكَّد أنها كانت كنيسة في وقتٍ من الأوقات، وقال لنا إننا سنحترِق إن دخلناها لأننا ملعونون". ثم أضاف بسُخرية: "حمله ستان ووضعه جانبًا، ودخلنا الكنيسة، ونيولِن وامرأته خلفنا مُباشرة. لم يحترِق أي منَّا، مما بدا وكأنه أثار صدمة كبيرة لدى الكثيرين".

غمغمتُ في صدره: "أراهن على ذلك".

"أخبرنا باري أنه عندما تواصَل معكِ، راوده إحساس بأنكِ "بالأسفل"، تحت مستوى الأرض. اعتقد أنه قد التقط كلِمة "درج" منك. كنا ستَّة أشخاص، ستان وجوزيف فيلاسكيز وإيزابيل وآخرين، واستغرقنا حوالي ستّ دقائق لاستبعاد جميع الاحتمالات والعثور على الدرج".

سألته: "ماذا فعلتم بالباب؟". إذ تذكَّرتُ أنه كان مُغلقًا بأقفال قويَّة.

"لقد نزعناه من مفصَّلاته".

من شأن هذا توفير وصول سريع بكل تأكيد.

قال: "اعتقدتُ أنكِ لا تزالين هناك بالطبع، عندما وجدتُ الغرفة التي بها الرجُل الميّت، وبنطاله مفتوح..". صمت للحظةٍ طويلة، ثم تابع قائلًا: "كنت متأكدا أنكِ كنت هناك، واستطعتُ شم رائِحتك في الهواء. وجدتُ لطخة من الدماء عليه، دمائك، ووجدتُ آثارًا أخرى له في أنحاء المكان. لقد شعرتُ بالقلق الشديد".

ربَتُّ عليه. وشعرتُ بالتعب والضعف حتى إنني لم أستطع التربيت عليه بقوة، لكن ذلك كان كل ما استطعتُ تقديمه من مواساة في تلك اللحظة.

قال بحذرٍ شديد: "هل هناك أي شيء آخر تريدين إخباري به يا سوكي؟".

كنت مُتعبةً للغاية لأستوعِب هذا السؤال، قلت وأنا أتثاءب: "لا، أعتقد أنني أخبرتك بكل شيء عن مغامراتي".

"ظننتُ أنه ربما لأن إريك كان في الغرفة من قبل، لم تريدي البوح بكل شيء".

وأخيرًا، أدركتُ ما يقصده. قبّلتُ صدره، فوق قلبه، وقلت: "لقد وصل جودفري في الوقت المناسب".

ساد صمتٌ طويل. نظرتُ إلى الأعلى، ورأيتُ وجه بيل مُتصلّبًا كالتمثال. برزَت رموشه الداكنة بوضوحٍ مُذهلٍ بسبب شحوبه. بدت عيناه الداكنتان بلا قاع. قلت له: "أخبرني بالباقي".

"ثم توغّلنا أكثر في الملجأ، ووجدنا الغرفة الأكبر، إلى جانب منطقة مُمتدّة مليئة بالمؤن، كالطعام والأسلِحة، حيث كان من الواضح أن مصّاص دماء آخر أقام فيها".

لم أرَ ذلك الجزء من الملجأ، وبالتأكيد لم يكن لديّ أي خطط لزيارته مُجددًا لرؤية ما فاتني.

"وفي الزنزانة الثانية، وجدنا فاريل وهوجو".

"هل كان هوجو على قيد الحياة؟".

قبّل جبيني قائلًا: "بالكاد، لحسن حظه أن فاريل يُفضّل الرجال الأصغر سنًا".

أومأ بيل برأسه وقال: "ربما لهذا السبب اختار جودفري فاريل ليختطِفه، عندما قرّر أن يجعل من آثِم آخر عبرة، وهذا ما قاله فاريل. لكنه حُرِمَ من الجنس أو الدماء لفترةٍ طويلة، وتضوّر جوعًا بكل ما تحمِله الكلِمة من معنى. وبدون الأصفاد الفضيّة، كان هوجو.. سيقضي وقتًا سيئًا. حتى في ظلٍّ وجود الفضّة على معصميه وكاحليه، واستطاع فاريل التغذّي على دماء هوجو".

"هل كنت تعلم أن هوجو هو الخائِن؟".

"لقد سمع فاريل مُحادثتكِ معه".

"كيف.. عجبًا، بسبب حدّة سمع مصّاصي الدماء. يا لغبائي".

"يريد فاريل أيضًا معرِفة ما الذي فعلته بجيب؛

ليجعله يصرُخ".

كوَّرت قبضتي لأريه، وقلت: "ضربته على أذنيه".

"لقد سُرَّ فاريل بذلك. فقد كان جيب أحد أولئِك الرجال الذين يستمتِعون بالتسلُّط على الآخرين، وقد عرَّض فاريل للعديد من الإهانات".

قلت: "إن فاريل محظوظ لأنه ليس امرأة، أين هوجو الآن؟".

"في مكانٍ آمن".

"آمِن بالنسبة لمَن؟".

"آمِن لمصَّاصي الدماء، بعيدًا عن أعيُن وسائِل الإعلام. الذين سيستمتِعون بقصَّة هوجو كثيرًا".

"ماذا سيفعلون به؟".

"هذا ما سيُقرِّره ستان".

"أتتذكَّر الاتفاق الذي أبرمناه مع ستان؟ إن ثبتت إدانة البشر بأدِلَّة مني، فلن يُقتَلوا".

بدا من الواضح أن بيل لم يرغَب في مُناقشتي في هذا الأمر الآن. فقد اكفهرَّ وجهه، وقال: "عليك الخلود للنوم الآن يا سوكي، وسنتحدَّث عن ذلك عندما تستيقظين".

"ولكن بحلول ذلك الوقت قد يكون ميِّتًا".

"ولماذا تهتمِّين بذلك؟".

"لأن ذلك كان الاتفاق! أعلم أن هوجو شخص بغيض، وأنا أكرهه بدوري، لكنني أشعُر بالشفقة عليه؛ ولا أعتقد أنه يمكنني التورُّط في موته، والعيش بضميرٍ مُرتاح".

"سيظل على قيد الحياة عندما تستيقظين يا سوكي، وسنتحدَّث عن الأمر حينها".

شعرتُ بالنعاس يجذِبني للأسفل كجرفٍ تحت سطح الماء. ووجدتُ صعوبةً في تصديق أن الساعة لم تتجاوز الثانية صباحًا.

"شكرًا لأنك أتيتَ من أجلي".

قال بيل، بعد لحظة من الصمت: "في البداية، لم أجدكِ في الزمالة، لم أجِد سوى آثار دمائكِ وجُثَّة مُغتصبك. وعندما اكتشفتُ أنكِ لستِ في المُستشفى، وأنكِ خرجتِ من هناك بطريقةٍ ما..".

"ممم".

"شعرتُ بخوفٍ شديد. لم يكن لدى أحد أي فكرة عن مكانك. في الواقع، اختفى اسمك من على شاشة الحاسوب، في أثناء وقوفي هناك أتحدَّث إلى المُمرِّضة التي أدخلتكِ".

انبهرتُ بذلك، إذ كان هؤلاء المُتحوِّلين مُنظَّمين بشكلٍ مُذهل. قلت وأنا بالكاد أستطيع نُطق الكلمات: "ربما يجب عليَّ إرسال بعض الزهور للونا".

قبَّلني بيل، قُبلة مُرضية للغاية، وكان ذلك آخر

شيء أتذكّره.



الفصل السابع

انقلبتُ على جانبي بشقّ الأنفس، ونظرتُ إلى الساعة المُضيئة على الطاولة بجانب السرير. لم يطلَع الفجر بعد، لكنه سيبزغ قريبًا. رقد بيل في تابوته بالفعل؛ وأغلق الغطاء. سألت نفسي: لماذا استيقظت؟

هناك شيء يجب عليّ فعله. وقف جُزء مني مُندهِشًا من مدى غبائي بينما ارتديتُ سروالًا قصيرًا وقميصًا ودسستُ قدميّ في صندلي. نظرتُ إلى نفسي في المرآة بنظرةٍ جانبيّةٍ سريعة، وبدا مظهَري أسوأ مما توقَّعت. أدرتُ ظهري إليها وبدأتُ أمشّط شعري. ولدهشتي وسعادتي، وجدتُ حقيبتي على طاوِلة غرفة الجلوس، إذ استعادها أحدهم من مقر الزمالة في الليلة الماضية. وضعتُ بطاقتي البلاستيكيّة فيها، وشققتُ طريقي بألمٍ عبر الممرّات الهادِئة.

لم يكن باري في نوبته بعد الآن، لكن بديله تدرَّب جيدا بما يكفي لئلا يسألني عن سبب تجوُّلي بهذا المظهَر البائِس. أحضَر لي سيارة أجرة وأخبرتُ السائق بالمكان الذي أردتُ الذهاب إليه. نظر إليّ السائق في المرآة الخلفيّة، وسألني بحذر: "ألا تُفضّلين الذهاب إلى المُستشفى؟".

قلت: "لا، لقد ذهبتُ بالفعل". ولم يبدُ أن ذلك قد طمأنه.

"يعاملكِ مصّاصو الدماء هؤلاء بشكلٍ سيئٍ للغاية، لماذا تتسكّعين معهُم؟".

قلت: "هذا من فعل البشر، لا مصّاصي الدماء".

انطلقنا بالسيارة . لم يكن الزحام المروري كثيفًا، إذ اقترَب بزوغ فجر يوم الأحد. استغرَق الأمر خمس عشرة دقيقة فقط للوصول إلى نفس المكان الذي كنت فيه في الليلة الماضية، موقف سيارات الزمالة.

سألت السائق، الذي كان رجلًا في الستّينيات من عمره، أشيَب الفودين وفاقدًا لأحد أسنانه الأمامية، وارتدى قميصًا منفوشًا بكبسولات بدلًا من الأزرار: "هل يمكنك انتظاري؟".

قال: "أعتقد أن بإمكاني فعل ذلك". وأخرج رواية للكاتِب لويس لامور من تحت مقعده، وأشعَل ضوء السيارة الداخلي ليبدأ بالقراءة.

تحت وهج الأضواء الاصطناعيّة، لم تكشِف ساحة الانتظار عن أي آثار واضحة لأحداث الليلة الماضية. لم يتبقَّ هناك سوى سيارتين فقط، وأعتقِد أن أصحابهما ربما قد هجروهما في الليلة الماضيَة. كانت إحدى هاتين السيارتين هي سيارة جيب. وتساءَلتُ عمّا إن كان لديه عائلة، وتمنَّيتُ أن تكون إجابة سؤالي لا. فمن ناحية، كان ساديًا حتى إنه ولا شك قد أحال حياتهم جحيمًا، ومن ناحية أخرى، سيظلُّون طوال حياتهم يتساءلون كيف ولماذا مات؟ وما الذي سيفعله ستيف وسارة نيولِن الآن؟ هل

سيكون هناك ما يكفي من الأعضاء المُتبقين في زمالتهم لمواصلة ما بدؤوه؟ من المفترض أن تكون الأسلِحة والمؤن لا تزال في الكنيسة. ربما خزَّنوها تحسُّبًا لنهاية العالَم.

ومن بين ظلال الكنيسة الداكنة ظهر شخص ما. جودفري، الذي لا يزال عاري الصدر، ويبدو وكأنه شاب في السادسة عشرة من عمره، وحدها طبيعة الوشوم الغريبة وعيناه الغريبتان كذَّبتا مظهر جسده.

قلت له، عندما اقترب منّي: "جئتُ لأراقِب". رغم أن كلمة "أشهَد" ربما كانت تعبيرًا أدق.

"لماذا؟".

"أنا مدينة لك بذلك".

"أنا مخلوق شرير".

لم يكن هناك مفر من الاعتراف بذلك، لذا قلت: "نعم، أنت كذلك. لكنك فعلتَ شيئًا جيدا بإنقاذي من جيب".

"بقتل رجُل آخر؟ بالكاد شعر ضميري بالفرق، فقد قتلتُ الكثيرين. على الأقل، لقد أنقذتكِ من بعض المذلَّة".

استحوذ صوته على قلبي. وكان الضوء المُتزايِد في السماء لا يزال خافتًا بحيث ظلَّت أضواء الأمن في ساحة الانتظار مُضاءة، وفي وهجها.. تأمَّلت

وجه الشاب الصغير.

وفجأة، وبشكلٍ سخيف، بدأتُ أبكي.

قال جودفري: "هذا جميل". ثم خفتَ صوته من جديد، وهو يُضيف: "يبدو أن هناك من سيبكي من أجلي في النهاية، لم أتوقَّع ذلك". قبل أن يتراجع إلى الوراء مُحافظًا على المسافة الآمنة.

ثم أشرقَت الشمس.

وعندما عدتُ إلى سيارة الأجرة، أخفى السائق كِتابه.

وسألني: "هل أشعلوا نارًا هناك؟ ظننتُ أنني رأيتُ بعض الدُخَان، وكدتُ آتي لرؤية ما يحدث".

قلت: "لقد انطفأت الآن".

مسحتُ وجهي بمنديلٍ لعدَّة أميال، ثم حدَّقتُ عبر النافذة، بينما خرجَت أطراف المدينة من قبضة عتمة الليل.

عُدتُ إلى الفُندق، ودخلتُ إلى غُرفتنا مُجدَّدًا. خلعتُ سروالي، واستلقيتُ على السرير، وبينما هيَّأتُ نفسي لأرقٍ طويل، غفوتُ في نومٍ عميق.

أيقظني بيل عند الغروب بطريقته المُفضَّلة. إذ رفع قميصي، ولامَس شعره الداكن صدري. بدا الأمر أشبه بالاستيقاظ في منتصف الطريق، إن جاز لي التعبير؛ وهو يمُص بحنانٍ شديدٍ ما وصفه بأجمل ثدي في العالَم. كان حذرًا للغاية بشأن أنيابه، التي

برزت بالأسفل، ولم تكن سوى دليلٍ آخر على شدّة استثارته.

همس في أذني: "هل تشعُرين بأنكِ مُستعِدة للاستمتاع بذلك، إن توخّيث الحذر الشديد؟".

همهمث: "إن عاملتني وكأنني مصنوعة من الزُجاج". رغم علمي أنه يستطيع القيام بذلك.

قال ويداه تتحرّكان برفق: "لكن هذا لا يبدو كالزُجاج. إنه يجعلني أشعُر بالدفء والبلل".

شهقت.

سألني: "هل أؤلمكِ هكذا؟". وحرّك يده بقوةٍ أكبر.

لم أتمكن من قول شيء سوى: "بيل". ثم وضعث شفتيّ على شفتيه، وبدأ لسانه يتحرّك بإيقاعٍ مألوف.

همس قائلًا: "استلقي على جانبكِ، وسأعتني بكل شيء".

وهكذا فعل.

سألني لاحقًا: "لماذا كنت ترتدين بعض ملابسكِ؟". بعد نهوضه ليجلب زجاجة دماء من ثلاجة الغرفة، ويسخّنها في الميكروويف. لم يمُص أيًا من دمائي مُراعاةً لضعفي الشديد.

"ذهبتُ لرؤية جودفري يلقى حتفه".

لمعَت عيناه وسألني: "ماذا؟".

قلت: "لقد قابَل جودفري الشمس عند بزوغ الفجر". خرجَت العبارة التي اعتبرتها ذات يوم مُبتذلة ومُحرجة من فمي بشكلٍ طبيعيٍّ للغاية.

وساد صمت طويل.

"كيف عرفتِ أنه سيفعل ذلك؟ وكيف عرفت مكانه؟".

هززتُ كتفيَّ بقدر ما يسمح به استلقائي على السرير، وقلت: "توقَّعتُ أنه سيلتزِم بخطّته الأصليّة، إذ بدا مُصمِّمًا على ذلك، ناهيك عن إنقاذه لحياتي. كان هذا أقل ما يمكنني فعله من أجله".

"هل أظهَر شجاعة؟".

نظرتُ في عينيه، وقلت: "لقد مات بشجاعةٍ كبيرة، وكان مُتحمِّسًا للذهاب".

لم يكن لديَّ أي فكرة عمَّا دار في ذهن بيل، لكنه قال: "علينا الذهاب لرؤية ستان، وإخباره بذلك".

قلت: "لماذا علينا الذهاب لرؤية ستان مرة أخرى؟". ولو لم أكن امرأة ناضِجة، لعبستُ في وجهه. ومع ذلك، رمقني بيل بواحدةٍ من نظراته.

"يجب أن تروي له ما حدث من جانبكِ، حتى يقتنِع بأننا أدّينا مُهِمَّتنا. وأيضًا، هناك مسألة هوجو".

كان ذلك كافيًا لإصابتي بالاكتئاب. وكنت مُتعبة للغاية حتى إن فكرة ارتداء أي ملابس زائِدة عن الحاجة جعلتني أشعُر بالغثيان، لذا ارتديتُ فُستانًا

طويلًا بدون أكمام، بلون رمادي داكن، مصنوع من قماش ناعم، ودسست قدميّ بحذرٍ في صندلي، واكتفيث بهذه الإطلالة. صفّف بيل شعري، ووضَع لي أقراطي، لأن رفع ذراعيّ آلمني بشدّة، وقرَّر أنني بحاجةٍ إلى سلسلةٍ ذهبيّة. حتى بدوت وكأنني ذاهِبة لحفلٍ في جناح العيادات الخارجية للنِساء المُعنّفات. اتصل بيل ليحضروا لنا سيارة مُستأجرة. ولم أعرف متى وصلت إلى المرآب السُفلي، أو حتى من الذي أحضرها. قاد بيل السيارة ، لكنني لم أعُد أنظر من نافِذتها بعد، فقد سئمتُ من دالاس.

عندما وصلنا إلى المنزل في "جرين فالي"، بدا هادِئًا تمامًا كما كان قبل ليلتين. لكن بمجرد دخولنا، وجدته يعُج بمصّاصي الدماء. إذ كنا قد وصلنا في خضم حفلة ترحيب بعودة فاريل، والذي وقف في غرفة المعيشة مُحتضِنًا شابًا وسيمًا يبدو بالكاد في الثامنة عشر من عمره. حمل فاريل زجاجة دم اصطناعي (ترو بلود) من فصيلة "و- سالب" في يده، بينما حمل رفيقه زجاجة مياه غازيّة. وبدا مصّاص الدماء متورِّدًا مثل الفتى تقريبًا.

لم يسبِق لفاريل رؤيتي من قبل، لذا سعد بالتعرُّف عليّ. ارتدى زي رُعاة بقر الغرب من رأسه حتى أخمص قدمه، وعندما انحنى ليُقبِّل يدي، توقَّعتُ سماع قعقعة المهماز.

قال بإفراط، وهو يلوِّح بزجاجة الدماء الاصطناعيّة: "أنتِ فاتِنة، لو كنت أميل للنِساء،

لحظيتِ باهتمامي الكامل لأسبوع. أعلم أنكِ تشعُرين بالحرج من كدماتك، لكنها تُبرِز جمالكِ بشدّة".

لم أستطع منع نفسي من الضحك. إذ لم أكن أمشي وكأنني في الثمانين من عمري فحسب، بل امتلأ نصف وجهي الأيسَر بالكدمات.

قال فاريل لبيل: "اسمح لي يا بيل كومبتون، أنت مصّاص دماء محظوظ للغاية".

قال بيل مُبتسِمًا، وإن شاب كلماته بعض البرود: "أنا أدرِك ذلك جيدًا".

"إنها شُجاعة وجميلة!".

قلت: "شكرًا يا فاريل، أين ستان؟". بعد أن قرَّرتُ قطع سيل المديح هذا. ليس فقط لأنه أصاب بيل بالتوتُّر، بل لأن رفيق فاريل الشاب بدا فضوليًا للغاية. نويتُ أن أروي هذه القصّة مرة واحدة فحسب.

قال مصّاص الدماء الشاب، الذي أحضر بيثاني المسكينة إلى غرفة الطعام، عندما كنا هنا من قبل: "إنه في غرفة الطعام". لا بد وأنه جوزيف فيلاسكيز. الذي كان طوله ربما (١٧٢) سم. بينما منحه أصله اللاتيني بشرة باللون البرونزي وعينين داكنتين سوداوين، وأعطاه كونه مصّاص دماء نظرة ثاقِبة، واستعدادًا فوريًا للعُنف. تفحَّص الغرفة، مُترقِبًا أي مشكلة، مما جعلني أعتقد أنه بمثابة

مسؤول الأمن في العُزن، قبل أن يُضيف: "سيسعد برؤيتكما".

تلفَّتُ حولي لرؤية مصّاصي الدماء والبشر القلائِل المُنتشرين في غُرف المنزل الواسِعة. لم أرَ إريك، وتساءلتُ عمّا إن كان قد عاد إلى شرِفبورت. همستُ لبيل: "أين إيزابيل؟".

قال بصوتٍ يكاد لا يُسمَع: "إنها مُعاقبة". لم يكن يريد التحدُّث عن هذا بصوتٍ أعلى، وعندما يعتقِد بيل أن هذه فكرة حكيمة، أعلم أنه من الأفضل لي أن أصمُت. تابع حديثه هامسًا: "لقد أحضرَت خائنًا إلى العُزن، وعليها دفع ثمن ذلك".

"لكن..".

"صه".

دخلنا إلى غرفة الطعام لنجِدها مُكتظّة، تمامًا مثل غرفة المعيشة. جلس ستان على نفس الكرسي، مُرتديًا تقريبًا نفس الزي الذي ارتداه في آخر مرة رأيته فيها. وقف عندما دخلنا، ومن طريقته في القيام بذلك، فَهِمتُ أنه يُفترَض بهذا الإشارة إلى أهميتنا.

قال بشكلٍ رسمي، وهو يُصافحني بحذرٍ بالغ: "آنِسة ستاكهاوس". ثم قال: "بيل".

تفحَّصني ستان بعينيه الزرقاوين الباهِتتين، اللتين لم تُفوِّتا أي تفصيلة من تفاصيل إصاباتي. كان قد

أصلَح نظّارته بشريطٍ لاصِق شفّاف. لم يترك ستان شيئًا للصُدفة في تنكُّره، حتى إنني فكّرتُ في إرسال واقٍ للجيب كهديةٍ في عيد الميلاد.

قال ستان: "أرجو أن تُخبريني بما حدث لكِ بالأمس، دون أن تحذِفي شيئًا من فضلك".

ذكّرني هذا بشكلٍ لا يُقاوَم بأسلوب "آرتشي جودوين" عندما يُقدّم تقريره لمديره "نيرو وولف"(9). قلت: "سيمَلُّ بيل". على أمل أن أجِد لنفسي مفرًا من تكرار السرد.

"لن يمانع بيل قليلًا من الملل".

لم يكن هناك مفر من القيام بهذا. وهكذا تنهّدتُ، وبدأتُ بسرد الحكاية منذ أن جاء هوجو ليقلّني من فندق "سايلنت شور". حاولت تجنُّب ذكر اسم باري، إذ لم أعرف كيف سيشعر حيال معرِفة مصّاصي دماء دالاس بشأنه. اكتفيتُ بدعوته بلقب "خادِم الفُندق". بالطبع، سيمكنهم معرِفة هويّته إذا حاولوا. وعندما وصلتُ إلى الجزء الذي أرسَل فيه جيب هوجو إلى زنزانة فاريل ثم حاوَل اغتصابي. ارتسمَت على شفتيَّ ابتسامةٌ مُقتضبة مشدودة، وشعرتُ بوجهي مُتوتّرًا حتى إنني خشيتُ أن يتشقّق.

سأل ستان بيل، وكأنني لستُ موجودة: "لماذا تفعل ذلك؟".

أجابه بيل: "هكذا تفعل كلما شعرَت بالتوتُّر".

قال ستان: "عجبًا". ثم نظر إليّ بتأمُّلٍ أكبر. رفعتُ يديّ، وبدأتُ أجمع شعري لأربطه على شكل ذيل حصان. ناولني بيل رباطًا مطاطيًا من جيبه، وببعض الصعوبة، أمسكتُ شعري بإحكامٍ لأتمكن من لفِّ الرباط حوله ثلاث مرّات.

عندما أخبرتُ ستان عن المُساعدة التي قدّمها لي المُتحوِّلون، مال إلى الأمام باهتمام. أراد معرفة أكثر مما أخبرته به، لكنني لم أكن لأُفصِح عن أي أسماء. وغرق في تفكيرٍ عميقٍ بعدما أخبرته عن تركي في الفُندق. لم أكن أعرف ما إن كنت سأذكُر اسم إريك أم لا؛ لذا تجنّبتُ ذكر اسمه تمامًا، إذ أفترض به البقاء في كاليفورنيا، وهكذا عدّلتُ روايتي لأخبره بأنني صعدتُ إلى غُرفتنا لانتظار بيل.

ثم أخبرته عن جودفري.

ولدهشتي، بدا أن ستان لم يستطع استيعاب موت جودفري، وجعلني أكرِّر القصّة. دار بكُرسيه ليواجِه الجهة الأخرى في أثناء حديثي. ومن وراء ظهره، ربت عليّ بيل بلمسةٍ مُطمئنة. وعندما التفت إلينا ستان مرة أخرى، كان يمسَح عينيه بمنديل مُلطَّخ باللون الأحمر. وهكذا تأكّد لي أن مصّاصي الدماء يمكنهم البكاء، وأنهم يبكون دماءً.

بكيتُ معه. لقد استحقَّ جودفري الموت، لقرونٍ طويلةٍ من إيذاء وقتل الأطفال. تساءلتُ عن عدد

البشر الذين زُجَّ بهم خلف قُضبان السجون بسبب الجرائِم التي اقترفتها يداه. لكن جودفري ساعدني، وحمل في قلبه أثقل عبء من الذنب والحزن قابلته في حياتي.

قال ستان بإعجاب: "يا له من تصميم وشجاعة". لم يكن حزينًا على الإطلاق، وإنما غارقًا في الإعجاب، تابع حديثه قائلًا: "وهذا يجعلني أبكي". قالها بطريقةٍ عرفتُ أنها كانت تعبيرًا عن إشادةٍ عظيمة، ثم أضاف: "بعد أن تعرَّف بيل على جودفري في تلك الليلة، قُمت ببعض التحرِّيات، ووجدتُ أنه ينتمي إلى عُزنٍ في سان فرانسيسكو. سيحزَن رِفاقه في العُزن لسماع هذا، ولخيانته لفاريل. لكنهم سيسعدون بشجاعته في الوفاء بوعده، وفي تنفيذ خطَّته!". بدا الأمر وكأنه قد مسَّ نياط قلب ستان.

شعرتُ بألمٍ يجتاح سائِر أنحاء جسدي. بحثتُ في حقيبتي عن قنينة المُسكِّن الصغيرة، أخذتُ حبَّتين في راحة يدي. وبإشارةٍ من ستان، أحضَر لي مصَّاص الدماء الشاب كوبًا من الماء، وقلت له: "شكرًا لك". مما أثار دهشته.

قال ستان فجأة، وكأنه تذكَّر أخلاقه فجأة: "شكرًا لكِ على جهودك. لقد قُمتِ بالعمل الذي استأجرناكِ لأجله، بل وأكثر من ذلك. فبفضلكِ عرفنا مكان فاريل وحرَّرناه في الوقت المناسب، وأنا آسف لأنكِ تعرَّضتِ لهذا الكمِّ من الأذى خلال العمليَّة".

بدا هذا وكأنه إنهاء رسمي للمُهِمّة.

قلت: "معذرةً؟". وتحرَّكتُ للأمام على الكرسي. تحرَّك بيل بحركةٍ مفاجئة خلفي، لكنني تجاهلته.

رفع ستان حاجبيه الخفيفين مُندهِشًا من جرأتي، وقال: "معذرةً؟ سنُرسِل الشيك الخاص بكُم بالبريد إلى مُمثِّلكُم في شرِفبورت، وفقًا لاتفاقنا. أرجو أن تبقيا معنا هذا المساء، للاحتفال بعودة فاريل".

"لقد نصَّ اتفاقنا على أنه إذا ما أدّى ما اكتشفته إلى إدانة بشري، فلن يُعاقِبه مصّاصو الدماء، بل سيُسلَّم إلى الشرطة، ليخضَع للمُحاكمة. والآن، أين هوجو؟".

انجرفَت عينا ستان من على وجهي ليُحدِّق في وجه بيل خلفي. وبدا وكأنه يسأل بيل بصمتٍ عن السبب الذي يمنعه من السيطرة على بشريته بشكلٍ أفضل.

قال ستان بغموض: "إن هوجو وإيزابيل معًا".

لم أرغب أبدًا في معرِفة ما يعنيه ذلك. لكن واجبي الأخلاقي دفعني لمُتابعة الأمر. لذا قلت، وأنا أعلم أن هذا يُمثِّل تحديًا حقيقيًا لستان: "إذن، فلن تلتزِم باتفاقك؟".

ينبغي أن يكون هناك قول مأثور يقول: "فخور كمصّاص دماء". فجميعهم كذلك، ويبدو أنني طعنتُ ستان في كبريائه، إذ أغضب تلميحي بأنه غير

شريف مصّاص الدماء. كدتُ أن أتراجَع، لأن وجهه أصبح مُخيفًا للغاية. وفي غضون ثوانٍ قليلة، لم يتبقَّ فيه أي شيء إنساني. انفرجَت شفتاه لتكشِفا عن أسنانه، وامتدَّت أنيابه، وانحنى ظهره وكأنه يستطيل.

وبعد لحظة، وقف، وأشار إليّ بإيماءةٍ صغيرةٍ مُقتضبة أن أتبعه. ساعدني بيل على النهوض، وسرنا خلف ستان وهو يسير بين أحضان المنزل. لا بد أن المنزل يحتوي على ست غُرف نوم، وأبوابها جميعًا مُغلقة. من خلف أحد الأبواب، سمعتُ أصوات مُمارسة جنس لا تُخطِئها أذن، وشعرتُ بالراحة عندما تجاوزناه. صعدنا السلالِم، وكان ذلك مؤلمًا بالنسبة لي. لم يلتفِت ستان للخلف، ولم يُبطئ من سُرعته، وإنما صَعَد الدرج بنفس الوتيرة التي سار بها. توقَّف عند بابٍ بدا مثل بقية الأبواب الأخرى. فتحه، ووقف جانبًا، وأشار لي بالدخول.

وكان ذلك شيئًا لم أرغب في القيام به.. أبدًا.

لكنني اضطُررتُ لذلك. لذا تقدَّمت، ونظرتُ إلى الداخل.

كانت الغرفة فارغة، باستثناء السجاد الأزرق الداكن الذي يُغطِّي الأرضيَّة. قُيِّدَت إيزابيل إلى الحائِط على أحد جانبي الغرفة، بسلاسِل من الفضَّة طبعًا. بينما قُيِّد هوجو على الجانب الآخر، بالسلاسِل أيضًا. وكان كلاهُما مُستيقظًا، ونظرا إلى الباب فورًا.

أومأت إيزابيل برأسها وكأننا التقينا في مركزٍ تُجاري، رغم أنها كانت عارية. ورأيتُ أن معصميها وكاحليها قد بُطّنا لمنع الفضّة من حرقها، رغم أن السلاسِل كانت لا تزال تُضعِف من همّتها.

قُيِّد هوجو عاريًا بدوره، ولم يستطع رفع عينيه عن إيزابيل. بالكاد نظر إليّ ليرى هويتي قبل أن تعود نظراته إليها. حاولتُ ألا أشعُر بالحرج، لأن ذلك بدا لي تافهًا للغاية في مثل هذا الموقِف؛ لكنني أعتقد أنها كانت المرة الأولى التي أرى فيها شخصًا بالِغًا عاريًا في حياتي، باستثناء بيل.

قال ستان: "لا يمكنها التغذّي على دمائه، وإن تضوَّرَت جوعًا. ولا يمكنه مُمارسة الجنس معها، رغم إدمانه. وهذا هو عِقابهما لأشهُر. ماذا سيحدُث لهوجو في محاكِم البشر؟".

فكّرت: ما الذي فعله هوجو بالفعل، ويمكنني اتهامه به؟

لقد خدع مصّاصي الدماء بوجوده في عُزَن دالاس تحت ادِّعاءات كاذِبة. صحيح أنه أحبَّ إيزابيل بالفعل، لكنه خان رفاقها. هممم، لا يوجد قانون يُعاقِب بشأن ذلك.

قلت: "لقد تنصَّت على غرفة الطعام، وهذا غير قانوني".

على الأقل، هكذا اعتقدت.

سألني ستان: "وكم من الوقت سيقضي في السجن بسبب ذلك؟".

سؤال جيد.. وإجابته: ليس كثيرًا. اقتضى تخميني أن هيئة المُحلّفين البشريّة قد تشعر أن التنصُّت على مكان استراحة مصّاصي الدماء له ما يُبرّره. تنهّدت، وكان ذلك كافيًا كإجابةٍ لستان.

سألني: "ما العقوبة الأخرى التي سيقضيها هوجو؟".

"لقد قادني إلى الزمالة تحت ادّعاءات كاذِبة.. وهذا غير قانوني. كما إنه.. حسنًا.. إنه..".

"بالضبط".

لم تتزحزح نظرات هوجو المفتون عن إيزابيل. لقد ساهم هوجو وحرّض على الشر، تمامًا مثل جودفري.

سألته: "إلى متى ستُبقيهما هناك؟".

هزّ كتفيه قبل أن يقول: "ثلاثة أو أربعة أشهُر. سنُطعِم هوجو بالطبع، أما إيزابيل فلا".

"وبعد ذلك؟".

"سنفُك قيوده أولًا، قبلها بيوم، ليحظى بفرصته للهرب".

اشتدّت يد بيل على معصمي، إذ أرادني أن أتوقّف عن طرح المزيد من الأسئلة.

نظرَت إليّ إيزابيل وأومأت برأسها، وكأنها تقول إن

هذا يبدو عادلًا بالنسبة لها. رفعتُ كفيَّ إلى الأمام وقلت: "حسنًا، حسنًا". ثم استدرتُ وبدأتُ أنزل الدرج ببطءٍ وحذر.

شعرتُ أنني فقدتُ بعضًا من نزاهتي، لكنني لم أستطع معرِفة ما الذي يمكنني فعله بشكلٍ مختلف. وكلما حاولتُ التفكير في الأمر، ازددتُ حيرة. لم أكن مُعتادة على التفكير في المسائِل الأخلاقيَّة. فإما أن تكون الأمور سيِّئة فتُمنَع، أو لا.

حسنًا، كانت هناك منطقة رماديَّة. حيث حدثت بعض الأمور، مثل النوم مع بيل رغم أننا لسنا متزوِّجين، أو إخبار آرلين أن فُستانها يبدو جيدا، بينما في الحقيقة جعلها تبدو في حالةٍ مُزرية. في الواقع، لا أستطيع الزواج من بيل؛ لأنه ليس قانونيًا، ولكن أيضًا، لأنه لم يطلب مني ذلك.

دارَت أفكاري في دائِرةٍ من الحيرة بشأن الزوجين البائسين في غرفة نوم الطابِق العلوي. ولدهشتي، شعرتُ بتعاطُفٍ أكبر مع إيزابيل أكثر من هوجو. لأن هوجو، بعد كل شيء، مُذنبٌ بالجرم المشهود. أما إيزابيل، فمُذنِبة بالإهمال فقط.

كان في جُعبتي الكثير من الوقت لأغوص في بحرٍ من هذه الأفكار التي تقود إلى طرق مسدودة، لأن بيل قضى وقتًا مُمتِعًا في الحفلة. لم يسبِق لي ارتياد حفلة مُختلطة بين مصَّاصي الدماء والبشر سوى مرة أو مرَّتين من قبل، وما زال هذا المزيج

غير مُريح، حتى بعد عامين من الاعتراف القانوني بوجود مصّاصي الدماء. كان الشرب العلني، أي مص دماء البشر، أمر غير قانوني تمامًا، ويمكنني إخبارك أنهم يُطبّقون هذا القانون بدقة في غُرَن مصّاصي دماء دالاس. فمن وقتٍ لآخر، رأيت زوجين يختفيان لفترةٍ من الوقت في الطابِق العُلوي، ولكن جميع البشر عادوا بصحة جيّدة. وأعلم ذلك، لأنني أحصيتهم وراقبتهم.

لقد اندمج بيل في المجتمع البشري لأشهُر عديدة؛ حتى إنه بدا مُستمتِعًا بقضاء الوقت مع مصّاصي دماء آخرين، إذ استغرق في الحديث مع مصّاص الدماء هذا أو ذاك، مُستعيدًا ذكريات شيكاغو في العشرينيّات أو مُناقشة فرص الاستثمار في مُختلف ممتلكات مصّاصي الدماء حول العالم. ارتجف جسدي حتى إنني سعدتُ بالجلوس على أريكة مُريحة ومشاهدة ما يجري، مُرتشِفةً مشروبي من وقتٍ لآخر. كان الساقي شابًا لطيفًا، وتحدّثنا قليلًا عن الحانات. وكان من المفترض أن أستمتِع باستراحتي من عملي كنادلةٍ في حانة ميرلوت، لكنني كنت سأسعَد بارتداء زيي الرسمي وتلقّي الطلبات. إذ لم أكن مُعتادة على تغييرات كبيرة في روتيني.

ثم جلست بجانبي شابّة ربما أصغَر مني قليلًا على الأريكة. واتّضَح أنها كانت تواعد مصّاص الدماء المسؤول عن الأمن، جوزيف فيلاسكيز، الذي ذهب

مع بيل إلى مركز الزمالة ليلة أمس. كان اسمها ترودي فايفر، وصفَّفت شعرها على شكل أشواك حمراء حادَّة، وامتلكَت أنفًا ولسانًا مثقوبين، وزينة مُرعِبة، بما في ذلك أحمر شِفاه أسود، أخبرتني بفخرٍ أن لونه يُدعى "جريف روت(10)". ارتدَت سروالًا من الجينز مُنخفِضًا للغاية حتى إنني تساءلتُ كيف تتحرَّك به، لكنها ارتدته ليُبرِز حلقة سُرَّتها، وكذلك قميصها الصوفي. حتى بدا الزي الذي ارتديته في الليلة التي هاجمتني فيها الميناد باهتًا للغاية بالمُقارنة به. لذا، ظهرَ الكثير من جسد ترودي لتراه الأعيُن.

وعندما تحدَّثتُ إليها، لم تبدُ غريبة الأطوار كما يوحي مظهرها، إذ كانت طالِبة جامعيَّة. واكتشفتُ، من خلال استماعي البريء تمامًا، أنها اعتقدَت أنها تستفِز الثور بالرداء الأحمر من خلال مواعدتها لجوزيف. واستنتجتُ أن والدها هو الثور في هذا المثال.

قالت لي بفخر: "إنهما يُفضِّلان حتى أن أواعِد شخصًا أسود".

حاولتُ أن أبدو مُندهِشة كما ينبغي، وقلت: "إنهم حقًّا يكرَهون مشهد الموتى، أليس كذلك؟".

أومأت برأسها عدَّة مرَّات، ولوَّحت بأظافرها السوداء بإسراف، وقالت: "بكل تأكيد". شرِبَت من مشروبها الـ "دوس إيكويز"، ثم أضافَت: "لطالما

سألتني والدتي: ألا يمكنك مواعدة شخص على قيد الحياة؟". وضحِكنا معًا.

حركت حاجبيها لأعلى وأسفل للإشارة إلى مدى أهميّة السؤال: "إذن، كيف حالكِ أنت وبيل؟".

"أنتِ تقصدين..؟".

"كيف يُبلي في الفراش؟ إن جوزيف غير معقول".

لا يمكنني القول بأنني كنت مُندهِشة، لكنني شعرتُ ببعض الضيق. تدبَّرتُ الأمر لدقيقة، ثم قلتُ أخيرًا: "أنا سعيدة لأجلك". لو كانت صديقتي المُقرَّبة، آرلين، لربما غمزتُ لها وابتسمت، لكنني لم أكن مُستعِدة لمُناقشة حياتي العاطفيّة مع شخص غريب تمامًا، ولم أكن أرغب حقًّا في معرفة شيء عن علاقتها بجوزيف.

ذهبَت ترودي لإحضار زجاجة جِعَّة أخرى، وبقيَت تتحدَّث مع الساقي. أغمضتُ عينيَّ في راحة، وشعرتُ بالأريكة تنخفِض بجواري. رفعتُ بصري إلى اليمين لأتبيَّن رفيقي الجديد، إريك. رائِع، هذا ما كان ينقصني.

سألني: "كيف حالكِ؟".

أجبته: "أفضل مما أبدو". لم يكن ذلك صحيحًا.

"هل رأيتِ هوجو وإيزابيل؟".

أجبته وأنا أنظر إلى يديَّ المطويَّتين في حضني: "نعم".

"هذا عِقاب مُناسِب، أليس كذلك؟".

شعرتُ أنه يُحاول استفزازي.

قلت: "بطريقةٍ ما، نعم. بافتراض أن ستان سيلتزِم بكلِمته".

قال: "أرجو ألا تكوني قد قلت ذلك". لكنه بدا مُستمتِعًا للغاية.

"لا، لم أفعل. ليس بنفس الكلمات، فأنتم جميعًا تمتلكون قدرًا لا بأس به من الكبرياء".

بدا مُتفاجئًا وهو يقول: "نعم، أعتقد أن هذا صحيح".

"هل جئتَ فقط لتطمئِن عليّ؟".

"إلى دالاس؟".

أومأتُ برأسي.

هزَّ كتفيه، وقال: "نعم". ارتدى قميصًا صوفيًا بنقوشٍ جميلةٍ ذات لونين بيج وأزرق، وجعلَت الحركة يبدو عريض المنكبين بشكلٍ لافِت، تابع حديثه قائلًا: "نحن نعيركِ للمرة الأولى. وأردتُ التأكُّد من أن الأمور تسير بسلاسة، دون أن أكون هناك بصفتي الرسميَّة".

"هل تعتقد أن ستان يعرف هويَتك الحقيقيَّة؟".

بدا مُهتمًا بالفكرة، قبل أن يقول: "ليس مُستبعدًا، ربما كان سيفعل الشيء نفسه لو كان مكاني".

سألته: "هل تعتقد من الآن فصاعدًا أن بإمكانك تركي أبقى في الوطن، وتركنا أنا وبيل وشأننا؟".

قال: "لا، أنتِ مُفيدة للغاية. بالإضافة إلى أنني أتمنى أن يزداد إعجابكِ بي أكثر، كلما رأيتني أكثر".

"مثل الفطريات؟".

ضَحِك، لكن عينيه ثُبّتتا عليّ بطريقةٍ جادّة. يا إلهي!

قال إريك: "تبدين فاتِنة بشكلٍ خاص في هذا الفستان بدون شيء تحته. بالمُناسبة، إن هجرتِ بل وجئتِ إليّ بمحض إرادتك، فسيتقبّل ذلك".

قلت: "لكنني لن أفعل أي شيء من هذا القبيل". ثم انتبهتُ إلى شيءٍ ما.

بدأ إريك يقول شيئًا آخر، لكنني وضعتُ يدي على فمه. وحرّكتُ رأسي يمينًا ويسارًا، محاولة التقاط إشارة؛ هذه أفضل طريقة يمكنني شرح الأمر بها.

قلت: "ساعدني على النهوض".

وبدون كلِمة، وقف إريك وسحبني بلطف لأنهَض. شعرتُ بحاجبيّ ينعقِدان.

إنهم حولنا.. يُحاصِرون المنزل.

كانت أدمغتهم مشحونة إلى أقصى حد. لو لم تكن ترودي تُثرثِر في وقتٍ سابق، لربما كنت سمعتهم وهُم يزحفون ليُحاصِروا المنزل.

قلت، وأنا أحاوِل التقاط أكبر عدد ممكن من الأفكار: "إريك!". استمعتُ للعد التنازلي، يا إلهي!

صرختُ بأعلى صوتي: "انبطحوا!".

وأطاعني جميع مصّاصي الدماء فورًا.

لذا عندما فتحت الزمالة النار، كان البشر هُم من لقوا حتفهم.



الفصل الثامن

على بعد قدم واحدة، اخترقَت رُصاصة بُندقيَّة جسد ترودي، وقسمته إلى نصفين.

تحوَّل لون شعرها الأصهَب الداكن إلى درجةٍ أخرى من الحُمرة، وحدَّقت عيناها المفتوحتان في وجهي للأبد. في حين سقط تشاك، الساقي، جريحًا، إذ وفَّر له هيكل البار بعض الحماية.

استلقى إريك فوقي. ونظرًا لحالتي المُزرية، فقد آلمني ذلك بشدَّة، لذا بدأتُ في دفعه، قبل أن أدرِك أنه سينجو على الأرجَح، حتى لو أصابته الرُّصاصات. أما أنا، فلن أنجو. لذا قبِلتُ حمايته بامتنانٍ خلال الدقائِق الرهيبة للموجة الأولى من الهجوم الضاري، حينما أطلقت رُصاصات البنادِق والمُسدَّسات والأسلِحة على القصر بلا توقُّف.

وبشكلٍ غريزي، أغمضتُ عينيَّ في أثناء استمرار القصف.

تحطَّم الزُجاج، وزأر مصَّاصو الدماء، وصَرَخ البشر. أغرقني الضجيج، بينما اجتاحتني موجة عارمة من عشرات الأدمِغة الغاضبة بأقصى سُرعة. وعندما بدأت حِدَّة الهجوم تهدأ، نظرتُ إلى عيني إريك. بدا مُتحمّسًا بشكلٍ لا يُصدَّق، ابتسم لي قائلًا: "لطالما عرفتُ أنني سأعتليكِ في يومٍ من الأيام".

"هل تحاول إغضابي حتى أنسى خوفي؟".

"لا، أنا فقط أستغِل الفرص".

تحرَّكت، محاولة الخروج من تحته، فقال: "أرجوكِ، افعلِ ذلك مرَّة أخرى، فقد كان شعورًا رائعًا".

"إريك.. تلك الفتاة التي كنت أتحدَّث معها للتو على بعد ثلاثة أقدام منَّا، وجزء من رأسها مفقود".

قال بجديةٍ مفاجئة: "أنا ميِّت منذ مئات السنين يا سوكي، كما أنني مُعتاد على ذلك. لكنها لم تفنَ تمامًا، هناك بارقة أمل، هل تريدينني أن أعيدها؟".

صُدِمت، وعجزتُ عن الرد. كيف يمكنني اتخاذ مثل هذا القرار؟

وبينما أفكِّر في الأمر، قال: "لقد ماتَت".

ثم ساد الصمت، وأنا أحدِّق في وجهه. وهدأ المنزل إلا من نحيب رفيق فاريل الجريح، الذي ضغط بكلتا يديه على فخذه المُصاب. ومن الخارج، سمعتُ أصوات السيارات التي فرَّت مُسرِعة من الشارِع الهادئ. لقد انتهى الهجوم. وبدا أنني أواجِه صعوبة في التنفُّس، وفي محاولة فهم ما يجب عليَّ فعله بعد ذلك. بالتأكيد كان هناك شيء ما، أو إجراء ما، يجب عليَّ اتخاذه؟

كان هذا أقرَب ما يكون إلى الحرب.

امتلأت الغرفة بعويل الناجين وعواء مصَّاصي الدماء الغاضبين. تطايرت قطع من حشو الأريكة والكراسي في الهواء كندفات الثلج. وتناثر الزجاج

المكسور في كل مكان، واجتاحت حرارة الليل أرجاء الغرفة. لاحظتُ أن العديد من مصّاصي الدماء قد أفاقوا من صدمتهم وبدأوا في المُطاردة، من بينهم جوزيف فيلاسكيز.

قال إريك بتنهيدةٍ ساخرة، وهو ينهض من فوقي: "لا عذر للبقاء". ثم نظر إلى نفسه، قبل أن يُضيف: "دائمًا ما تتلف قُمصاني عندما أكون بصُحبتكِ".

نهضتُ على رُكبتي بارتباكٍ أخرق، وقلت: "يا إلهي يا إريك، أنت تنزِف! لقد أُصِبت! أين بيل؟ يا بيل!". تطاير شعري حول كتفيّ وأنا أتلفَّت من جانبٍ إلى آخر بحثًا في أرجاء الغرفة. آخر مرة رأيته فيها كان يتحدَّث إلى مصّاصة دماء ذات شعر أسود وجبهة عريضة، وتُشبِه بياض الثلج من وجهة نظري. الآن، وقفتُ لأبحَث في المكان، ورأيتها مُمدَّدة بالقرب من النافذة. برز شيء من صدرها. كانت النافذة قد أصيبَت بطلقة بُندقيّة، وتطايرَت بعض شظاياها إلى الغرفة، فاخترقَت إحداها صدرها وقتلتها. لكن بيل لم يكن هنا، بين الأحياء أو الأموات.

خلع إريك قميصه المنقوع بالدماء، ونظر إلى كتفه. ثم قال بصوتٍ مُتهدِّج من شدَّة الألم: "لقد استكانت الرُصاصة داخل الجرح يا سوكي، أخرجيها".

سألته في دهشة: "ماذا؟".

"إن لم تُخرجيها، فسيلتئِم الجرح عليها. إن كنت شديدة الحساسيّة لهذه الدرجة، فاذهبي وأحضري

سكينًا وشقّي الجرح لتُخرجيها".

قلت: "لكن لا يمكنني فعل ذلك". كان معي سكين صغير في حقيبتي الصغيرة المُخصّصة للحفلات، ولكنني لم أكن أعرف أين وضعتها، ولم أستطع ترتيب أفكاري للبحث عنها.

كشّر عن أنيابه في وجهي، وهو يقول: "لقد أصبت بتلك الرُصاصة لأحميك، لذا يمكنكِ إخراجها من أجلي. فأنتِ لستِ جبانة".

أجبرتُ نفسي على التماسُك، واستخدمتُ قميصه المُلقى أرضًا لأمسَح الدماء عن جرحه. تباطأ النزيف، وبالنظر إلى اللحم المُمزَّق، استطعتُ رؤية الرُصاصة. لو كانت أظافري طويلة مثل ترودي، لربما تمكنتُ من إخراجها، لكن أصابعي قصيرة وغير حادّة، وأظافري مقصوصة. تنهّدتُ باستسلام.

أخذت عبارة "أخرجيها" معنى جديدًا تمامًا عندما انحنيتُ نحو كتِف إريك.

أصدَر إريك أنينًا طويلًا بينما حفرتُ طريقي بأسناني، حتى شعرتُ بالرُصاصة في فمي. كان مُحقًّا، إذ كان من الصعب تلطُّخ السجادة أكثر مما هي عليه بالفعل، لذلك رغم شعوري بأنني وحش حقيقي، إلا أنني بصقتُ الرُصاصة على الأرض، مع معظم الدماء التي لوّثت فمي. لكنني ابتلعتُ بعضها حتمًا. بدأ كتفه يلتئِم بالفعل.

همس قائلًا: "تفوح رائحة الدماء من هذه الغرفة".

قلت: "حسنًا، ها قد فعلتها". ثم رفعتُ عينيّ، وأضفت: "كان ذلك أكثر شيء مُقرِف..".

قال: "شفتاكِ مُلطَّختان بالدماء". ثم أمسَك وجهي بكلتا يديه وقبّلني.

من الصعب ألا تستجيب الفتاة منا عندما يُقبّل خبير في فن التقبيل شفتيها، وربما كنت سأسمَح لنفسي بالاستمتاع بها، حسنًا.. بالاستمتاع بها أكثر، لو لم أكن قلقة بشأن بيل؛ لأنه، فلنكن صُرحاء، يترُك الدنو من الموت أثره. إذ يجِد المرء نفسه مُضطرًا لتأكيد حقيقة أنه ما زال على قيد الحياة. رغم أن مصّاصي الدماء ليسوا كذلك في الواقع، ويبدو أنهم لا يختلِفون في ذلك عن البشر، واشتعلَت شهية إريك الجنسيَّة بسبب الدماء في الغرفة.

لكنني شعرتُ بالقلق بشأن بيل، وصُدِمتُ من العُنف، لذا بعد لحظة طويلة ساخِنة من نسيان الرُعب من حولي، ابتعدتُ عنه. ورأيت شفتي إريك مُلطَّختان بالدماء الآن. لعقهما ببطء، وقال بصوتٍ أجش: "اذهبي وابحثي عن بيل".

نظرتُ إلى كتفه مُجدَّدًا، ورأيتُ الثُقب وقد بدأ ينغلق. التقطتُ الرُصاصة عن السجادة، وقد لطَّختها الدماء، ولففتها بقطعةٍ من قميص إريك. إذ بدت لي كتذكارٍ جيد، في ذلك الوقت. لا أعرف حقًّا بم كنت أفكِّر. لا يزال هناك جرحى وقتلى على الأرض في الغرفة، لكن معظم الأحياء كانوا يتلقَّون المُساعدة

من بشر آخرين أو من مصّاصي دماء لم ينضمُّوا للمُطاردة.

دَوّت صفّارات الإنذار من بعيد.

تصدّع الباب الأمامي الجميل وملأته الثقوب. وقفتُ جانبًا لفتحه، تحسّبًا لوجود أحد المُتربّصين في الفِناء، لكن شيئًا لم يحدث. نظرتُ حول إطار الباب.

ناديت: "بيل؟ هل أنت بخير؟".

في تلك اللحظة، عاد مُتبخترًا في الفِناء، وبدا وجهه متورّدًا بشكلٍ إيجابي.

قلت: "بيل". وشعرتُ بالكِبَر والكآبة والشحوب. اجتاح رُعب كئيب جسدي، لم يكن في الحقيقة سوى مُجرّد خيبة أمل عميقة.

توقّف في مكانه.

قال وأنيابه تلمع، وملامحه مُشبعة بالحماس: "لقد أطلقوا النار علينا، وقتلوا بعضنا".

"لقد قتلتَ أحدهم للتو".

"دفاعًا عن أنفُسنا".

"بل ثأرًا لنا".

كان هناك فرق واضح بين الأمرين، في ذهني، في تلك اللحظة. بدا وكأنه مُحرج.

قلت: "لم تنتظِر حتى للاطمئنان عليّ". يبقى

مصّاص الدماء على حاله أبد الآبدين، ولا يمكن للضواري تغيير طِباعها، ولا يمكنك تعليم كلب عجوز حيَلًا جديدة. سمعتُ كل تحذير قيل لي يومًا، يتردَّد بلهجةٍ مألوفةٍ في رطوبة المنزل الدافئة.

استدرتُ وعُدتُ إلى المنزل، عبرتُ بلامُبالاة عبر بُقع الدم والفوضى والتشوُّش وكأنني مُعتادة على رؤية هذه الأشياء كل يوم. لم تُسجِّل ذاكرتي بعض الأشياء التي رأيتها حينها، حتى بدأ عقلي يعرِض لي صور مفاجئة في الأسبوع التالي؛ كصورةٍ مُقرّبةٍ لجُمجُمةٍ مُهشَّمة، أو شُريانٍ ينزف. ما كان يهمُّني في تلك اللحظة هو العثور على حقيبتي، التي وجدتها في ثاني مكانٍ بحثتُ فيه. بينما انشغل بيل بمُساعدة الجرحى ليتجنَّب الحديث معي، خرجتُ من ذلك المنزل، وركبتُ سيَّارتنا المُستأجرة، ورغم قلقي، قُدتُ السيارة. إذ تغلَّب كره وجودي في هذا المنزل على خوفي من زحام المدينة الكُبرى. ابتعدتُ عن المنزل، قبل وصول الشرطة بلحظات.

بعد قيادة السيارة لعدَّة شوارع، صففتُها أمام مكتبة، وأخرجتُ الخريطة من صندوق القفازَّات. ورغم أن الأمر استغرق مني ضعف الوقت المُعتاد، لأن عقلي كان مشوَّشًا حتى إنه تعطَّل تقريبًا، إلا أنني اكتشفتُ طريق الوصول إلى المطار.

ذهبتُ إلى هناك. اتَّبعتُ اللافِتات التي تقول "سيارات مُستأجرة"، وأوقفتُ السيارة ، وتركتُ المفاتيح فيها وانصرفت. حصلتُ على مقعدٍ في

الرحلة التالية إلى شرِفبورت، والتي كانت ستُغادِر في غضون ساعة. حمدتُ الله أن معي بطاقتي الائتمانيَّة.

وبما أنني لم أفعل ذلك من قبل، فقد استغرق الأمر بضع دقائق لمعرفة مكان الهاتف العمومي. كنت محظوظة بما يكفي للاتصال بجيسون، الذي قال لي إنه سيُقابلني في المطار.

دخلتُ إلى فراشي في منزلي في الصباح الباكِر، ولم أبدأ بالبكاء حتى اليوم التالي.



الفصل التاسع

كنا قد تشاجرنا من قبل، أنا وبيل، وكنت قد شعرتُ بالضجر من قبل، وسئمتُ من تلك الأمور المُتعلقة بمصّاصي الدماء التي توجّب عليّ تعلُّمها لأتكيَّف معهم، وخُفتُ من التعمُّق أكثر في هذا العالم. حتى إنني في بعض الأحيان، أردتُ فقط رؤية البشر لبعض الوقت.

لذلك، ولمدة تزيد عن ثلاثة أسابيع، كان هذا ما فعلته. لم أتَّصِل ببيل، ولم يتَّصِل بي بدوره. عرفتُ أنه عاد من دالاس لأنه ترك حقيبتي على شُرفتي الأمامية. وعندما أفرغتها، وجدتُ علبة مجوهرات مخمليَّة سوداء مُخبَّأة في جيبها الجانبي. وتمنّيتُ لو تحلَّيتُ بالقوَّة الكافية لأمتنِع عن فتحها، لكنني لم أستطع. وجدتُ بداخلها زوجًا من أقراط التوباز، ومُلاحظة تقول: "لتتماشى مع فُستانك البُني". قصد بذلك فُستاني الرمادي الداكن الذي ارتديته إلى مقر مصّاصي الدماء. أخرجتُ لساني للعلبة، وتوجَّهتُ إلى منزله بعد ظُهر ذلك اليوم لأتركها في صندوق بريده. لقد خرج أخيرًا ليشتري لي هديَّة، وها أنا أضطرّ لإعادتها.

لم أحاوِل حتى "التفكير في الأمر". افترضتُ أن عقلي سيصفو بعد فترة، ثم سأعرف ما ينبغي عليَّ فعله.

لقد قرأتُ الصُحف. وعرفتُ أن مصّاصي دماء

دالاس وأصدقاءهم من البشر يُعتبَرون الآن في مصاف الشُهداء، وهو ما يُناسِب ستان تمامًا. ورُوِّجَ لمذبحة منتصف الليل في دالاس، في جميع المجلَّات الإخبارية، كمثالٍ مثاليٍّ لجريمة الكراهية، وضُغِطَ على المجالِس التشريعيَّة لتمرير قوانين لن ترى النور أبدًا، ولكن الناس شعروا بارتياحٍ فقط لمُجرَّد التفكير في إمكانيَّة إقرارها؛ قوانين من شأنها توفير الحماية الفيدرالية للمباني المملوكة لمصَّاصي الدماء، وأخرى تسمَح لهمْ بتولِّي مناصِب معينة بالانتخاب (رغم أن أحدًا لم يقترِح بعد أن يترشَّح مصَّاص دماء لمجلِس الشيوخ الأمريكي أو لمنصِب النائِب). حتى إنه كان هناك اقتراح في مجلِس ولاية تكساس بتعيين مصَّاص دماء كمُنفِّذ قانوني لعقوبة الإعدام في الولاية. ففي نهاية المطاف، صرَّح السيناتور جارزا قائلًا: "يُفترَض بالموت بعضَّة مصَّاص دماء أن يكون غير مؤلِم، وفي نفس الوقت، سيتغذَّى مصَّاص الدماء عليه".

لديَّ أخبار للسيناتور جارزا. إن عضَّات مصَّاصي الدماء ليست مُمتِعة إلا بإرادة مصَّاص الدماء. وإن لم يفتنك مصَّاص الدماء أولًا، فإن عضَّته خطيرة، (على عكس عضَّة الحُب)، ومؤلِمة للغاية.

تساءلتُ عمَّا إن كان السيناتور جارزا قريبًا للونا، لكن سام أخبرني أن اسم "جارزا" شائِع بين الأمريكيين من أصولٍ مكسيكيَّة، بقدر شيوع اسم "سميث" بين الأمريكيين من أصولٍ إنجليزيَّة.

لم يسأل سام عن سبب اهتمامي. وجعلني ذلك أشعُر بشيءٍ من الحزن، لأنني كنت مُعتادةً على الشعور بأهميتي بالنسبة له. لكنه كان مشغولًا هذه الأيام، سواء في العمل وخارجه. قالت آرلين إنها تعتقد أنه يواعِد إحداهُن، وهي المرة الأولى، بقدر ما يتذكَّره أي منَّا. أيًا كانت هذه المرأة، لم يحظَ أحد منَّا برؤيتها، وهو أمر غريب بحدِّ ذاته. حاولت إخباره عن مُتحوِّلي دالاس، لكنه اكتفى بالابتسام، ووجد عُذرًا للانصراف للقيام بشيءٍ آخر.

جاء أخي، چيسون، إلى المنزل لتناول الغداء ذات يوم. ولم يكن الأمر مثلما كان عندما كانت جدَّتي على قيد الحياة. حيث اعتادَت جدَّتي إعداد وليمة ضخمة على الغداء، ثم نكتفي بتناول الشطائر في المساء. زارنا چيسون كثيرًا في تلك الفترة؛ لأن جدَّتي كانت طاهية مُمتازة. نجحت في تقديم شطائر كُرات اللحم وسلطة البطاطا له (رغم أنني لم أخبره أنها من المتجَر)، وأعددتُ له بعض شاي الخوخ، وكان ذلك من حُسن حظِّي.

سألني بصراحة عندما انتهى من تناول طعامه: "ما خطبكِ أنتِ وبيل؟". ولكم أجاد عندما لم يطرَح هذا السؤال في طريق عودتنا من المطار.

قلت: "لقد غضبتُ منه".

"لماذا؟".

أجبته: "لقد أخلف وعده لي". حاول چيسون

جاهزًا التصرُّف كأخٍ أكبر، وتوجَّب عليَّ محاولة تقبُّل اهتمامه بدلًا من الشعور بالغضب. خطر لي، ليس للمرة الأولى، أنني ربما أتمتَّع بمزاجٍ حادٍ إلى حدٍ ما. في ظِلِّ بعض الظروف، أغلقتُ حاسَّتي السادسة بإحكام، كيلا أسمَع إلا ما ينطِق به لسان چيسون.

"لقد شوهِد في مونرو".

أخذتُ نفسًا عميقًا، ثم سألته: "مع فتاة أخرى؟".

"نعم".

"من؟".

"لن تُصدِّقي هذا، لكن مع بورشيا بليفلور".

لم يكن بإمكان چيسون أن يُفاجئني أكثر مما فعل لو أخبرني أن بيل كان يُواعِد هيلاري كلينتون (رغم أنه كان ديمقراطيًا). حدَّقتُ في أخي وكأنه أعلن للتو أنه شيطان رجيم. إذ إن الأشياء الوحيدة المُشتركة بيني وبين بورشيا بليفلور هي مسقط الرأس والنوع والشعر الطويل فقط. قلت ببرود: "حسنًا، لا أعرف ما إن كان عليَّ أن أغضب أو أضحك. ما رأيك في هذا؟".

لأنه إن كان هناك من يعرف شيئًا عن علاقات الرجال والنساء؛ فهو چيسون. على الأقل، يعرفها من وجهة نظر الرجال.

قال بعد تفكير مُبالغ فيه: "إنها نقيضكِ تمامًا، بكل

الطُرق التي يمكنني التفكير فيها. إنها مُثقَّفة حقًا، وتنحدِر من خلفية، أعتقد أنها ما يمكن تسميتها، أرستقراطيَّة. كما إنها مُحاميَّة، وشقيقها شُرطي. ويذهبان إلى حفلات الموسيقى الكلاسيكيَّة وما إلى ذلك".

اغرورقت عيناي بالدموع. كنت سأذهب لحفل موسيقي مع بيل، لو طلب مني ذلك.

تابع حديثه قائلًا: "ومن ناحيةٍ أخرى، أنتِ ذكيَّة وجميلة ومُستعِدَّة لتحمُّل طِباعه الصغيرة". لم أكن متأكدة تمامًا مما يقصده چيسون بذلك، وفضَّلتُ عدم السؤال، ثم أضاف: "لكننا لسنا أرستقراطيين بالتأكيد، فأنتِ تعملين في حانة، وشقيقكِ يعمل في فريق صيانة الطُرق". وابتسم لي ابتسامة مُقتضبة.

قلت، محاولة عدم التجهُّم: "نحن هنا منذ فترة طويلة، تمامًا مثل عائلة بليفلور".

قال: "أعرف ذلك، وأنتِ تعرفينه كذلك، وبيل يعرفه بكل تأكيد، لأنه كان على قيد الحياة آنذاك". وهذا صحيح.

سألته: "ما مُستجدَّات قضيَّة آندي؟".

"لم توجَّه له أي تُهَم بعد، لكن الشائِعات تملأ البلدة بسرعة كبيرةٍ بشأن موضوع نادي الجنس. لقد سُرَّ لافاييت بشدَّة لأنه دُعيَ إليه؛ ومن الواضح أنه تحدَّث عن الموضوع مع عدد كبير من الناس. يقولون إنه بما أن القاعِدة الأولى للنادي هي التزام

الصمت، فقد ضُرِبَ بسبب حماسه الزائِد".

"ما رأيك أنت؟".

قال بجديَّة تامَّة: "أعتقد أنه إن كان أحد سيُشكِّل ناديًا جنسيًا في بون تيمِبس، لأخبرني بذلك".

قلت، وقد أدهشني مُجدَّدًا مدى عقلانيَّة چيسون: "أنت مُحِق، كنت ستتصدَّر تلك القائِمة". لماذا لم أفكِّر في ذلك من قبل؟ لم تقتصِر شمعة چيسون على أنه رجُل يمارس الكثير من الجنس، بل كان جذابًا للغاية وغير متزوِّج.

قلتُ ببطء: "الشيء الوحيد الذي يمكنني التفكير فيه، أن لافاييت كان مثليًا، كما تعلم جيِّدًا".

"ثم؟".

"وربما هذا النادي، إن كان موجودًا، يقبَل فقط الأشخاص الذين لا يمانعون ذلك".

قال چيسون: "قد تكونين مُحِقَّة".

"نعم، يا من تخشى المثليين".

ابتسم وهزَّ كتفيه، ثم قال: "لكل شخص نُقطة ضعف. وبالإضافة إلى ذلك، كما تعلمين، أنا أخرُج مع ليز بشكلٍ جاد. وأعتقِد أن أي شخص يتمتَّع بذرَّة عقل سيدرك أنها ليست من النوع الذي يُشارك منديلًا، ناهيك عن صديقها الحميم".

إنه مُحِق، إذ اشتهرَت عائلة ليز بأنها لا تُقرِض ولا

تقترض، إلى أبعد الحدود.

قلت، مُركِّزةً على عيوبه بدلًا من عيوب عائلة ليز: "أنت فريد من نوعك يا شقيقي العزيز، هناك أشياء كثيرة أسوأ بكثير من أن تكون مثليًا".

"مثل؟".

"لص، أو خائِن، أو قاتِل، أو مُغتصِب..".

"حسنًا، حسنًا، لقد فَهِمتُ الفكرة".

قلت له: "أتمنَّى أن تكون قد فهمتها حقًّا". ولكم آلمتني اختلافاتنا. ولكنني أحببتُ چيسون على أي حال؛ إذ كان كل ما تبقى لي.

رأيتُ بيل مع بورشيا في الليلة نفسها. لمحتهما معًا في سيارة بيل، يقطعان شارِع كليبورن. التفتَت بورشيا إلى بيل في أثناء حديثها؛ أما هو فنظر إلى الأمام مُباشرة، بلا أي تعبير، بقدر ما تمكنتُ من رؤيته. لم يرياني، كنت عائِدةً من الصرَّاف الآلي في البنك، في طريقي إلى العمل.

أن تسمَع عن شيء وأن تراه هُما أمران مُختلِفان تمامًا. استشطتُ غضبًا بشدَّة؛ وفَهِمتُ شعور بيل عندما رأى أصدقاءه يلقون حتفهم، لأنني أردتُ قتل شخص ما، لكنني لم أكن متأكدة من هوية الشخص الذي أريد قتله.

وجدتُ آندي في الحانة ذلك المساء، جالسًا في قِسم آرلين. سعدتُ برؤيته، لأنه بدا في حالةٍ سيِّئة.

لم يكن حليق الذقن، وارتدى ملابس مُجعَّدة. اقترب مني وهو يهم بالمغادرة، وشممتُ رائحة الخمر من أنفاسه. قال بصوتٍ مليءٍ بالغضب: "أعيديه إليكِ، اسمحي لمصّاصي الدماء اللعين بالعودة إليكِ حتى يترُك شقيقتي وشأنها".

لم أعرف ماذا أقول لآندي بليفلور، فحدَّقتُ فيه فقط حتى خرج مُتعثِّرًا من الحانة. خطر لي أن الناس لن يندهِشوا لوجود جُثَّة في سيارته الآن؛ مثلما اندهشوا قبل بضعة أسابيع.

كانت الليلة التالية إجازتي، وانخفضَت درجات الحرارة. كان يوم جُمعة، وفجأة سئِمتُ وحدتي. لذا قرَّرتُ الذهاب لمشاهدة مباراة كرة القدم في المدرسة الثانوية. وهذه عادة شائِعة على مستوى بلدة بون تيمبِس، وتُناقَش المُباريات باستفاضةٍ صباح يوم الاثنين في كل متاجِر البلدة. وتُعرَض المباراة مرَّتين على قناةٍ محلية، ويعامل الأولاد الذين يبدون مهارات واعِدة في كرة القدم كالملوك الصِغار، وهو شيء مُثير للشفقة.

لذا لا تظهر في المباراة بشعرٍ أشعث.

سحبتُ شعري للخلف برباطٍ مطّاطي، واستخدمتُ مكواة الشعر على بقيته، لتتدلَّى خصلات شعر كثيفة حول كتفي. اختفَت كدماتي، ووضعتُ زينةً كاملة، حتى مُحدِّد الشِفاه. وارتديتُ سروالًا أسود، وكنزة سوداء وحمراء. ثم انتعلتُ حذائي الجلدي

الأسود، وأقراطي الذهبيَّة، ووضعتُ فيونكة حمراء وسوداء لإخفاء الشريط المطّاطي في شعري. (والآن، خمِّن ما هي ألوان مدرستنا؟).

قلت وأنا أشاهِد النتيجة النهائيَّة في المرآة: "هذا جيد جدًا، بل جيد للغاية". أخذتُ معطفي الأسود، وحقيبتي، وقُدتُ سيارتي إلى وسط البلدة.

امتلأت المُدرَّجات بأشخاص أعرفهم، ونادتني عشرات الأصوات، وأخبرني عشرات الأشخاص بمدى جمالي، لكن المشكلة كانت أنني غرقتُ في بؤسٍ عميق. وما إن أدركتُ ذلك، حتى رسمتُ ابتسامة مُصطنعة على شفتيَّ، وبحثتُ عن شخصٍ أجلِس معه.

نادتني تارا ثورنتون، إحدى صديقاتي القلائِل الجيدات من أيام المدرسة الثانويَّة، من أعلى المُدرَّجات: "سوكي! يا سوكي!". أشارَت لي بإيماءةٍ مُتلهِّفة، فابتسمتُ لها، وباشرتُ بالصعود، مُتحدِّثة إلى المزيد من الناس في طريقي إليها. رأيتُ مايك سبنسر، مدير دار الجنازات، في زيِّه الغربي المُفضَّل، وصديقة جدَّتي المُقرَّبة، ماكسين فورتِنبيري، وابنها هويت، صديق چيسون. كما رأيتُ سِد مات لانكستر، المُحامي العجوز، مُتكِئًا بجانب زوجته.

جلست تارا مع خطيبها، بنديكت تالي، الذي كان يُدعى حتمًا، وبكل أسف، بلقب "إيجز". وجلس معهُما صديقه المُفضَّل، چي بي دي رون، الذي

بدأت معنوياتي ترتفِع عندما رأيته، وكذلك أشواقي المكبوتة. إذ يليق به الظهور على أغلِفة الروايات الرومانسيَّة، بسبب وسامته المُذهِلة. لسوء الحظ، كان غبيًا للغايةِ، كما اكتشفتُ خلال مواعيدنا الغراميَّة القليلة. وفكَّرتُ في كثيرٍ من الأحيان أنني بالكاد أحتاج لرفع أسوار حصوني العقليَّة عندما أكون معه، لأنه لا يُفكِّر في شيء لأقرأه.

"مرحبًا، كيف حالكُم جميعًا؟".

قالت تارا بمرح: "نحن بخيرا ماذا عنكِ؟ لم أركِ منذ زمن بعيد". كانت قد قصَّت شعرها الداكن قصيرًا، ووضعت أحمر شفاه أحمر ناريًا. وارتدَت اللونين الأبيض العاجي والأسود مع وشاحٍ أحمر لإظهار روح الفريق، وتشارَكت مع إيجز مشروبًا في أحد الأكواب الورقيَّة التي تُباع في الملعب. امتلأ الكوب بالخمر، إذ استطعتُ شم رائحة البوربون من مكاني.

قلت بابتسامة واسعة: "تحرَّك يا چي بي، ودعني أجلِس بجانبك".

قال، وقد بدا سعيدًا للغاية برؤيتي: "بالتأكيد يا سوكي". كانت تلك إحدى مفاتِنه، أما بقيتها فكانت أسنانه البيضاء المثاليَّة، وأنفه المُستقيم تمامًا، ووجهه الذكوري الوسيم في الوقت نفسه؛ والذي يجعلك ترغب في مدِّ يدك للمس وجنتيه، وصدره العريض، وخصره المشدود. ربما لم يكن مشدودًا كما كان، ولكن في النهاية، كان إنسانًا، وهذا شيء جيد.

جلستُ بين إيجز وچي بي، ورمقني الأول بابتسامةٍ مُترنِّحة.

"أتريدين شرابًا يا سوكي؟".

لم أكن ممن يُفضِّلون الشرب، لأنني أرى عواقِب ذلك كل يوم. لذا قلت: "لا، شكرًا جزيلًا. كيف حالك يا إيجز؟".

قال بعد قليلٍ من التفكير: "بخير". لقد شَرِب أكثر من تارا، أي أنه قد أفرَط فيّ الشرب.

تحدَّثنا عن الأصدقاء والمعارِف المُشتركين حتى بداية المباراة ، وبعد ذلك سيطَرَت المباراة على دفَّة الحديث الوحيدة. بشكلٍ عام، لأن كل مباراة على مدار الخمسين عامًا الماضية عاشَت في الذاكِرة الجماعية لبون تيمبِس، وقورِنت ببقية المُباريات الأخرى، وباللاعبين الذي خاضوها. استطعتُ في الواقع الاستمتاع بهذه المُناسبة قليلًا، بفضل تطويري لأسوار حصوني العقليَّة إلى حدٍ كبير. واستطعتُ التظاهُر بأن الناس قالوا ما نطقوا به بالضبط، بما أنني لم أكن أقرأ أفكارهم على الإطلاق.

اقترب مني چي بي أكثر فأكثر، بعد أن أمطرني بوابلٍ من الإطراءات على شعري وقوامي، إذ كانت والدته قد علَّمته منذ صغره أن المرأة التي تشعر بالتقدير هي امرأة سعيدة، وكانت فلسفة بسيطة ساعدته على النجاة لفترةٍ طويلة.

سألني فجأة، خلال الربع الثاني من المباراة : "هل

تذكُرين تلك الطبيبة من تلك المُستشفى يا سوكي؟".

أجبته: "نعم، الدكتورة سونتاج، الأرملة". والتي كانت أصغَر من أن تكون أرملة، ومن أن تكون طبيبة، والتي كنت أيضًا قد عرَّفتها على چي بي.

قال بدهشة: "لقد تواعدنا لفترة. أنا وطبيبة".

قلت: "هذا رائِع". وتمنَّيتُ ذلك حقًّا، إذ بدا لي أنه يمكن للدكتورة سونتاج الاستفادة مما يُقدِّمه چي بي، كما كان چي بي بحاجةٍ إلى.. حسنًا، كان بحاجةٍ إلى شخصٍ يعتني به.

قال، وقد بدا حزينًا بعض الشيء: "ولكنهم نقلوها بعد ذلك إلى باتون روج، وأعتقِد أنني أفتقِدها". كان نظام الرعاية الصحيَّة قد اشترى مُستشفانا الصغير، وتناوَب أطِبّاء الطوارئ لأربعة أشهُر في كل مرة. شدَّ ذراعه حول كتفي، وطمأنني قائلًا: "لكن من الجيد رؤيتكِ".

ليُبارك الله قلبه. اقترحتُ عليه: "يمكنك الذهاب إلى باتون روج لرؤيتها يا چي بي، لماذا لا تفعل ذلك؟".

"إنها طبيبة، ولا تأخُذ الكثير من الإجازات".

"ستأخُذ إجازة من أجلك".

"هل تعتقدين ذلك؟".

قلت له: "ما لم تكن حمقاء للغاية".

"قد أفعل ذلك. لقد تحدّثت معها هاتفيًا الليلة الماضية، وقالت إنها تتمنّى لو كنت هناك".

"إن ذلك تلميحٌ كبيرٌ يا چي بي".

"هل تعتقدين ذلك؟".

"بكل تأكيد".

بدا أكثر مرحًا، ثم قال مرة أخرى: "إذن، سأذهب إلى باتون روج غدًا". قبّلني في خدي، قبل أن يُضيف: "أنتِ تجعلينني أشعُر بشعورٍ جيد يا سوكي".

قلت: "وأنت أيضًا يا چي بي". وقبّلته قُبلة سريعة على شفتيه.

ثم رأيث بيل يُحدّق في وجهي بشدّة.

إذ جلس هو وبورشيا في الصف المُجاوِر، بالقرب من الأسفل. وكان قد استدار لينظر إليّ.

لو كنت قد خطّطت للأمر، لما كان بهذه المثالية. كانت هذه لحظة رائعة لتعذيبه.

وقد أفسدتها.

لأنني لم أرِد سواه.

أشحث بنظري بعيدًا وابتسمث لچي بي، وكل ما أردته طوال الوقت هو لقاء بيل تحت المُدرّجات لنُمارِس الجنس معًا في الحال. أردته أن يسحَب سروالي، ويعتليني من الخلف. أردته أن يجعلني

أتأوَّه من شدَّة المتعة.

وصُدِمتُ من نفسي حتى إنني لم أعرف ماذا أفعل. وشعرتُ بوجهي يتحوَّل إلى اللون الأحمر الباهِت. لم أستطع حتى التظاهُر بالابتسام.

بعد لحظة، استطعتُ تقدير أن هذا كان شبه مُضحِك. إذ نشأتُ بشكلٍ تقليديٍّ قدر الإمكان، نظرًا لإعاقتي غير الاعتياديَّة. وبطبيعة الحال، كنت قد تعلَّمتُ حقائِق الحياة في وقتٍ مُبكِّرٍ للغاية بما أنني أستطيع قراءة الأفكار، (ولم يكن لديَّ أي سيطرة على الأفكار التي قرأتها في طفولتي). ولطالما اعتقدتُ أن الجنس فكرة مُثيرة للاهتمام، رغم أن نفس الإعاقة التي جعلتني أتعلَّم الكثير عنه نظريًا؛ منعتني من وضع تلك النظريَّة قيد التنفيذ. ففي نهاية المطاف، من الصعب الاستمتاع حقًّا بمُمارسة الجنس عندما تعلم أن شريكك يتمنى لو كنت تارا ثورنتون (على سبيل المثال)، أو عندما يتمنى لو أنه تذكَّر إحضار واقٍ ذكري، أو عندما ينتقِد أجزاء جسدك. فمِن أجل الاستمتاع بمُمارسةٍ جنسيَّةٍ ناجحة، يجب الحفاظ على تركيزك على ما يفعله شريكك، كيلا يتشتَّت انتباهك بما يُفكِّر فيه.

مع بيل، لم أستطع سماع أي شيء على الإطلاق. ناهيك عن خبرته الكبيرة، وسلاسته المُذهِلة، وتفانيه التام لإنجاز الأمر بشكلٍ صحيح. بدا لي أنني كنت مُدمِنة، مثل هوجو.

جلستُ مُبتسِمة خلال بقية المباراة ، وأومأتُ برأسي عندما تطلَّب الأمر ذلك، وحاولتُ تجنُّب النظر إلى الأسفل وإلى اليسار، واكتشفتُ بعد انتهاء عرض ما بين الشوطين أنني لم أسمَع أغنية واحدة عزفتها الفرقة، كما أنني لم ألاحِظ العرض الفردي لابنة عم تارا. وبينما تحرَّك الحشد ببطءٍ إلى موقف السيارات، بعد فوز فريق بون تيمبِس بنتيجة (٢٨/ ١٨)، وافقتُ على توصيل چي بي إلى منزله. أفاق إيجز قليلًا في ذلك الوقت، لذا كنت متأكدة من أنه وتارا سيكونان بخير؛ لكنني شعرتُ بالارتياح لرؤية تارا تتولَّى القيادة.

يعيش چي بي بالقرب من وسط البلدة، في نصف دوبِلكس. وطلب مني الدخول بلطف شديد، لكنني أخبرته بضرورة عودتي إلى المنزل. عانقته عناقًا كبيرًا، ونصحته بالاتصال بالدكتورة سونتاج، التي لم أكن أعرف حتى اسمها الأول.

قال إنه سيفعل، ولكن، وعندما يتعلَّق الأمر بچي بي، لا يمكن للمرء التأكُّد تمامًا.

ثم اضطُررتُ للتوقُّف للتزوُّد بالوقود في المحطَّة الوحيدة التي تعمل في مثل هذا الوقت المُتأخِّر من الليل، حيث أجريتُ مُحادثة طويلة مع ديريك ابن عم آرلين، (والذي كان شُجاعًا بما يكفي للعمل في المُناوبة الليليَّة)، لذا تأخَّرتُ قليلًا في العودة إلى المنزل عمَّا كنت قد خطَّطتُ له.

وعندما فتحتُ الباب الأمامي، خرج بيل من قلب الظلام. ودون أن ينبس ببنت شفة، أمسَك بذراعي وجذبني نحوه، ثم قبّلني. وفي لحظة، كنا مضغوطين على الباب، وجسده يتحرَّك بإيقاعٍ مُنتظمٍ مع جسدي. مددتُ يدي خلفي لأتحسَّس القفل، وأخيرًا استدار المفتاح. اندفعنا إلى الداخل، وأدارني لمواجهة الأريكة. تشبّثتُ بها بيدي، وكما تخيَّلتُ تمامًا، خلع عني سروالي، وضاجعني.

أصدرتُ صوتًا أجش لم أسمعه من حنجرتي من قبل، بينما أصدَر بيل أصواتًا بدائيَّة بنفس القدر. لم أكن أعتقد أن بإمكاني نُطق كلِمة. دسَّ يديه تحت كنزتي، ومزَّق حمالة صدري إلى نصفين. كان قاسيًا، حتى إنني كدتُ أسقط بعد وصولي للذروة. حاولتُ التراجُع، لكنه زأر: "لا". واستمرَّ في مُضاجعتي. ثم زاد من وتيرته حتى كدتُ أجهش بالبكاء، ثم تمزَّقَت سُترتي، ووجدَت أسنانه كتفي. أصدَر صوتًا عميقًا مروِّعًا، ثم انتهى كل شيء بعد ثوانٍ طويلة.

لهثتُ وكأنني قد ركضتُ ميلًا لتوِّي، وارتجف بيل بدوره. ودون أن يُكلِّف نفسه عناء ترتيب ملابسه، أدارني لمواجهته، وانحنى برأسه إلى كتفي مرة أخرى ليلعَق الجرح الصغير. وعندما توقَّف النزيف، وبدأ يلتئم، خلع عني كل ما ارتديته ببطءٍ شديد، ونظَّفني من الأسفل، وقبَّلني من الأعلى.

لم يقُل شيئًا سوى: "تفوح منكِ رائحته". وهكذا شرع في محو تلك الرائحة، واستبدالها برائِحته.

ثم دخلنا إلى غرفة النوم، وحظيث بلحظةٍ لتغمُرني السعادة لأنني غيّرتُ الملاءات في ذلك الصباح قبل أن يلمس شفتيّ بشفتيه مرة أخرى.

إن راودتني الشكوك قبل ذلك، فقد تلاشت الآن. لم يُضاجِع بيل بورشيا بليفلور. ولم أكن أعرف ما كان يُخطّط له، لكنه لم يكن على علاقةٍ حقيقيّةٍ معها. مرّر ذراعيه تحتي، وضمّني إليه بأقصى قوّة؛ داعب عُنقي، واعتصر وركي، ومرّر أصابعه على فخذي، وقبّل مؤخّرة رُكبتي. غمرنيّ بجسده، وهمس بصوته العميق البارد: "باعدي بين ساقيكِ من أجلي يا سوكي". ففعلتْ دون نِقاش. كان مُستعِدًا مرة أخرى، وكان قاسيًا في ذلك، وكأنه يحاول إثبات شيء ما.

قلتُ له: "كُن لطيفًا". وهي المرة الأولى التي تحدّثتُ فيها.

قال وهو يُمرّر لسانه على خطّ فكّي: "لا أستطيع. لقد مرّ وقت طويل للغاية، سأكون لطيفًا في المرة القادمة، أقسِم لكِ". ثم لامسَت أنيابه عنقي. أنيابه، ولسانه، وفمه، وأصابعه، وقضيبه؛ بدا الأمر أشبه بمُمارسة الجنس مع شيطان تسماني. كان في كل مكان، ومرّ على كل شيءٍ في عجل.

وعندما انهار فوقي، كنت مُرهقة تمامًا. تحرّك ليستلقي بجانبي، وإحدى ساقيه مُلتفّة على ساقي، وذراعه فوق صدري. كان بإمكانه أيضًا وسمي بختمه الخاص، لكن ذلك لم يكن ليمنحني مثل هذا

القدر من المتعة.

تمتم: "هل أنتِ بخير؟".

قلت بصوتٍ غير واضح: "باستثناء شعوري بأنني اصطدمتُ بجدارٍ من الطوب عدّة مرّات".

غفونا قليلًا، رغم أن بيل استيقظ أولًا، كما يفعل دائمًا في آناء الليل. وقال بهدوء: "سوكي، عزيزتي، استيقظي".

عُدتُ إلى وعيي تدريجيًا، وللمرة الأولى منذ أسابيع، استيقظتُ وأنا أشعُر بإحساسٍ ضبابيٍّ بأن كل شيء على ما يرام في هذا العالم. لكنني شرعان ما أدركتُ ببطءٍ أن الأمور بعيدة كل البعد عن أن تكون على ما يرام. فتحتُ عينيَّ، ورأيتُ عينيه قريبتين مني.

مسّد شعري عن وجهي، وقال: "علينا التحدُّث".

قلت: "تحدَّث إذن". كنت مُستيقِظة الآن. ولم يكن الجنس هو ما ندمتُ عليه، بل ضرورة مُناقشة مشاكلنا.

قال على الفور: "لقد جرفتني الأحداث في دالاس، وهي عادة لدى مصّاصي الدماء، كلما سنحَت لهم الفرصة للصيد بشكلٍ واضح. لقد تعرَّضنا للهجوم، وامتلكنا الحق في مُطاردة أولئك الذين أرادوا قتلنا".

قلت: "هذه عودة إلى زمن الفوضى وغياب

القانون".

أجابني بجديّة شديدة: "لكن مصّاصي الدماء يصطادون يا سوكي، إنها طبيعتنا، تمامًا مثل الفهود والذئاب. نحن لسنا بشرًا. يمكننا التظاهُر بذلك، عندما نُحاوِل العيش بينكم.. في مجتمعاتكم. ويمكننا أحيانًا تذكُّر كيف كان الأمر عندما عشنا بينكُم، وكنا منكُم. لكننا لسنا من نفس الجنس، ولم نعد من نفس الطين".

فكّرت في هذا الأمر. لطالما أخبرني بذلك، مرارًا وتكرارًا، بصيغ مُختلِفة، منذ أن بدأنا في رؤية بعضنا بعضًا.

أو ربما.. ربما كان يرى حقيقتي، لكنني لم أكن أراه؛ بوضوح، وبصدق. ومهما تكرَّرت مُحاولاتي للتصالُح مع "اختلافه"، أدركتُ أنني ما زلتُ أتوقَّع منه التصرُّف وكأنه چي بي دي رون أو چيسون أو قسّ كنيستي.

قلت: "أعتقد أنني بدأت أفهَم هذا أخيرًا، لكن عليك أن تُدرِك أن هذا الاختلاف لن يعجبني في بعض الأحيان. وأحيانًا أخرى سأحتاج إلى الابتعاد قليلًا لأهدأ. وسأبذل قصارى جهدي، لأنني أحبُّك حقًّا". بذلْت قصارى جهدي لأعِده بالمحاولة، وتذكَّرتُ مُشكِلتي الخاصّة. أمسكتُ بشعره، وأدرته لأكون فوقه، ونظرتُ في عينيه مُباشرة.

"والآن، أخبرني بما تفعله مع بورشيا".

وضع بيل يديه الكبيرتين على فخذيَّ، وبدأ يشرَح.

"جاءت إليَّ بعد عودتي من دالاس، في الليلة الأولى. بعدما قرأت عمَّا حدث هناك، وأرادت معرِفة ما إن كنت أعرف أي شخص كان هناك في ذلك اليوم. وعندما أخبرتها إنني تواجدتُ هناك بنفسي، دون أن أذكركِ، قالت بورشيا إن لديها معلومات تُفيد بأن بعض الأسلِحة المُستخدمة في الهجوم جاءت من مكانٍ في بون تيمبِس، وتحديدًا متجر شيريدان الرياضي. سألتها كيف عرفِت بذلك، فأخبرتني أنها كمُحاميَّة لا يمكنها إخباري بذلك. وسألتها عن سبب اهتمامها الشديد بالأمر، طالما لم يكن هناك أي شيء آخر لتُخبرني به؛ فقالت إنها مواطِنة صالِحة، وتكره رؤية المواطنين الآخرين يتعرَّضون للاضطهاد. ثم سألتها عن سبب قدومها إليَّ؛ فأخبرتني أنني مصَّاص الدماء الوحيد الذي تعرفه".

حسنًا، سأصدق ذلك عندما أصدق أن بورشيا ترقُص في الملاهي سرًا.

ضيَّقتُ عيني، وفكَّرتُ في ذلك للحظة، قبل أن أقول: "لا تكترِث بورشيا بحقوق مصَّاصي الدماء، ربما تريد مُضاجعتك، لكنها بالتأكيد لا تهتم بأموركم القانونيَّة".

"مُضاجعتي؟ يا لكِ من فصيحة اللِسان".

قلت بخجل: "لقد سمعت تلك الكلِمة من قبل".

هزَّ رأسه، وهو يبتسِم في استمتاع.

كرَّرها ببطء: "تُضاجعني.. سأضاجعكِ أنتِ كلما أتيحَت لي الفرصة". وفرك يديه لأعلى وأسفل للتدليل على قصده.

قلت له: "توقَّف عن ذلك، فأنا أحاوِل التفكير".

ضغطَت يداه على فخذيَّ، ثم تركتاهما، وتحرَّكتا ذهابًا وإيابًا عليهما. حتى بدأت أواجِه صعوبة في تكوين الأفكار.

قلت: "توقَّف عن ذلك يا بيل، واسمعني. أعتقد أن بورشيا تريدهم أن يرونها معك، كي تُدعى للانضمام إلى نادي الجنس، هنا في بون تيمبِس".

قال باهتمام، دون أن يتوقَّف ولو للحظة: "نادي الجنس؟".

أجبته: "نعم، ألم أخبرك.. عجبًا، لا يا بيل، ما زلتُ مُنهكة من ليلة أمس.. عجبًا، يا إلهي". أمسكتني يداه بقوة شديدة، وجذبني بشدَّة، وبدأ يهزُّني مُجدَّدًا، ذهابًا وإيابًا. قلت، وأنا غارِقة في بحرٍ من المتعة: "عجبًا". وبدأتُ أرى ألوانًا تطفو أمام عيني، ثم بدأ يهزُّني بسرعة كبيرة، حتى إنني لم أستطع تتبُّع حركتي. وصلنا لذروتنا في الوقت نفسه، وتشبَّثنا بعضنا ببعض، ولهثنا بصعوبةٍ لعدَّة دقائق.

قال بيل: "يجب ألا ننفصِل مُجدَّدًا".

"لا أعرف، أعتقد أن هذا يجعل الأمر يستحِق العناء تقريبًا".

سرت ارتعاشة خفيفة في جسده، قبل أن يقول: "لا، هذا رائع، لكنني أفضّل مغادرة المدينة لبضعة أيام على أن أتشاجَر معكِ مُجدّدًا". فتح عينيه على اتّساعهما، وقال: "هل أخرجتِ رُصاصة من كتف إريك بأسنانكِ حقًّا؟".

"نعم، قال يجب إخراجها قبل التئام الجرح".

"هل أخبركِ أن لديه سكّينًا صغيرًا في جيبه؟".

أجبته بدهشة: "لا، حقًّا؟ لماذا يفعل ذلك؟".

رفع بيل حاجبيه، وكأنني قلتُ لتوّي شيئًا سخيفًا.

قال: "خمني؟".

"لكي أمُص كتفه؟ لا يمكنك أن تعني ذلك".

اكتفى بيل بنظرته المليئة بالشك.

"عجبًا يا بيل! لقد وقعتُ في فخّه! لحظة.. لقد أُصيب برُصاصة! كان من الممكن أن تُصيبني تلك الرُصاصة، ولكنها أصابته هو بدلًا مني.. لقد كان يحميني".

"كيف؟".

"حسنًا، باستلقائه فوقي..".

قال: "حسنًا، لقد وضّحتُ وجهة نظري". لم يكن هناك شيء تقليدي في ملامِح بيل في تلك اللحظة. وعلى النقيض، احتلّت عينيه نظرة تقليديّة للغاية.

"لكن.. هل تعني أنه بهذا القدر من الدهاء يا بيل؟".

رفع حاجبيه في وجهي مرّة أخرى.

اعترضتُ قائلة: "إن الاستلقاء فوقي ليس بالأمر المُمتِع إلى هذه الدرجة، حتى يتلقّى شخص رُصاصة من أجلي. يا إلهي، هذا ضرب من الجنون!".

"لقد امتصصتِ بعض دمائه".

قلت: "مُجرَّد قطرة أو اثنتين فقط، وبصقتُ الباقي".

"قطرة أو اثنتين تكفي عندما يكون المرء في سنّ إريك".

"تكفي لماذا؟".

"ليعرف بعض الأشياء عنكِ".

"مثل ماذا؟ مقاس فُستاني؟".

ابتسم بيل، وهو ما لم يكن شيئًا مُريحًا، وقال: "لا، مثل كيف تشعُرين بالغضب، والشهوة، والحُب".

هززتُ كتفيّ وقلت: "لن يُفيده ذلك بشيءٍ".

حذّرني بيل قائلًا بمُنتهى الجديّة: "ربما لا يكون الأمر مُهِمًا للغاية، لكن توخّي الحذر من الآن فصاعدًا".

قلت بسرعة، بعد أن نظرتُ إلى وجه بيل: "ما زلتُ لا أستطيع تصديق أن أحدًا قد يضع نفسه في موقف ليتلقّى رُصاصة عني فقط على أمل أن ينتهي بي الأمر بابتلاع قطرة دم لأستخرِج

الزصاصة. هذا سخيف. أتعلم، يبدو لي أنك أثرت هذا الموضوع لكي أتوقَّف عن إزعاجك بشأن بورشيا، ولكنني لن أفعل. إذ أعتقد أنها تعتقد أنهم سيطلبون منها الانضمام إلى نادي الجنس، طالما أنها تواعدك. لأنهم سيعتقِدون أن استعدادها لمواعدة مصّاص دماء، يعني أنها مُستعِدة لفعل أي شيء. تعتقد بورشيا أنها ستذهب، وستعرف بعض الأمور، وستكتشِف هوية قاتِل لافاييت، لتُبرِّئ آندي".

"هذه مؤامرة مُعقَّدة للغاية".

سألته: "هل يمكنك دحضها؟". وشعرتُ بالفخر لاستخدامي كلمة "دحض" التي تعلَّمتها اليوم.

قال: "في واقِع الأمر، لا". ثبت في مكانه، وتوقَّفت عيناه عن الحركة، واسترخَت يداه. بدا أنه لا يتنفَّس على الإطلاق، وفي حالة سكون.

أخيرًا رمش بعينيه، وقال: "كنت أفضِّل لو أخبرَتني الحقيقة من البداية".

قلت: "من الأفضل أن تكون لم تُمارِس الجنس معها". واعترفتُ لنفسي أخيرًا أن مُجرَّد احتمال بسيط جعلني عمياء تقريبًا من شدَّة الغيرة.

قال بهدوء: "كنت أتساءَل متى ستسأليني. وكأنني سأرغب بمُضاجعة إحدى نِساء عائلة بليفلور! لا، ليس لديها أدنى رغبة في مُمارسة الجنس معي. حتى إنها تجِد صعوبة في التظاهُر برغبتها في ذلك في وقتٍ لاحق. إنها ليست مُمثِّلة بارعة حقًّا. فمعظم

الوقت الذي نقضيه معًا، تأخُذني في مُطاردات عشوائيَّة للعثور على مخبأ أسلِحة الزمالة هنا، قائلة إن كل المُتعاطفين مع الزمالة يخفونه".

"إذن، لماذا تماشيتَ مع كل هذا؟".

"هناك شيء شريف فيها، وأردتُ رؤية إن كنت ستشعُرين بالغيرة".

"فَهِمت. حسنًا، وما رأيك؟".

قال: "أعتقد أنه من الأفضل ألا أراكِ بالقرب من ذلك الأحمق الوسيم مرة أخرى".

سألته: "چي بي؟ أنا مثل أخته!".

قال بيل: "تنسين أنكِ شربتِ بعضًا من دمائي، لذا يمكنني معرِفة ما تشعُرين به، ولا أعتقد أنكِ مثل أخته أبدًا".

"وهذا يُفسِّر سبب وجودي هنا في الفراش معك، أليس كذلك؟".

"أنتِ تُحبِّينني".

ضَحِكت، ودفنتُ وجهي في عُنقه.

قال: "لقد اقترب الفجر، يجب أن أذهب".

ابتسمتُ له وهو يجمع ملابسه، وقلت: "حسنًا يا حبيبي. مهلًا. أنت مدين لي بكنزة، وحمَّالة صدر. لا.. بل حمالتي صدر. فقد مزَّق جيب واحدة، لذا فهي إصابة في ملابس العمل الرسميَّة، ومزَّقت أنت

واحدة ليلة أمس، بالإضافة إلى كنزتي".

قال بسلاسة: "ولهذا السبب اشتريث متجر ملابس نسائيَّة، حتى يمكنني تمزيق ما أريد عندما أريد".

ضَحِكتُ، واستلقيت. استطعتُ النوم لبضع ساعات أخرى. كنت لا أزال أبتسِم عندما غادر منزلي، واستيقظتُ في منتصف الصباح بخفَّةٍ في قلبي لم أشعُر بها منذ زمن طويل. (حسنًا، بدا لي وكأنه زمن طويل). ومشيتُ، بحذرٍ شديد، إلى الحمَّام، لأغمُر نفسي في حوضٍ مليء بالماء الساخِن. وعندما بدأتُ في الاغتسال، شعرتُ بشيءٍ في شحمتي أذني. وقفتُ في الحوض، ونظرتُ إلى المرآة. لقد وضع أقراط التوباز في أذنيَّ في أثناء نومي.

إنه رجُل يحب أن يقول الكلِمة الأخيرة.

***

بما أن لمّ شملنا كان سريًا، فقد كنت أنا من دُعيتُ إلى النادي أولًا. لم يخطُر ببالي قط أن هذا قد يحدث؛ ولكن بعد حدوثه، أدركتُ أنه إن ظنَّت بورشيا أنها قد تُدعى إليه لمواعدتها مصَّاص دماء، فسأدعى لأنني صيد ثمين بالنسبة لهم.

ولدهشتي واشمئزازي، كان مايك سبنسر هو من أثار الموضوع. إن مايك هو مدير دار الجنازات والطبيب الشرعي في بون تيمبِس، ولم تكن علاقتنا وديَّة تمامًا. ومع ذلك، فقد عرفته طوال حياتي، واعتدتُ احترامه، وهي عادة يصعُب التخلُّص منها.

ارتدى مايك ملابس عمله في دار الجنازات عندما دخل إلى حانة ميرلوت تلك الليلة، لأنه جاء من عزاء السيدة كاسيدي. جعلت البدلة الداكنة، والقميص الأبيض، وربطة العُنق المُخطَّطة الهادِئة، والحذاء اللامِع مايك سبنسر يبدو مُختلِفًا عن الرجُل الذي فضَّل ربطات العُنق الغربيَّة وأحذية رُعاة البقر المُدبَّبة.

وبما أنه كان يكبرني بعشرين عامًا على الأقل، فلطالما تعاملتُ معه كشيخٍ عجوز، وكان صادمًا للغاية بالنسبة لي عندما اقترب مني. إذ جلس بمُفرده، وهو أمر غير مُعتاد بما يكفي ليلفت انتباهي. أحضرتُ له شطيرة هامبرجر وزجاجة جعة. وأثناء دفعه، قال بشكلٍ عابر: "سيجتمِع بعضنا في منزل جان فاولر المُطِل على البُحيرة ليلة الغد، ونتساءل إن كان بإمكاننا إقناعكِ بالحضور يا سوكي".

لحُسن حظِّي، أنني أمتلِك وجهًا مُنضبِطًا. إذ شعرتُ وكأن حُفرة انفتحت تحت قدمي، وشعرتُ ببعض الغثيان. فَهِمتُ الدعوة فورًا، لكنني لم أستطع تصديقه تمامًا. خفضتُ أسوار حصوني، وأنا أقول: "قلت بعضنا.. من تقصد بهذه الكلِمة يا سيِّد سبنسر؟".

قال: "لماذا لا تُناديني بمايك يا سوكي؟". أومأتُ برأسي، وأنا أسترِق السمع إلى أفكاره. يا إلهي، هذا مُقرِف. تابع حديثه قائلًا: "حسنًا، سيكون بعض

أصدقائِك هناك، إيجز وبورشيا وتارا، وآل هاردواي".

تارا وإيجز.. لقد صدمني هذا حقًّا.

سألته: "إذن، ماذا يحدث في هذه الحفلات؟ هل هي حفلات للشرب والرقص فقط؟". لم يكن هذا سؤالًا غير منطقي. فبغضِّ النظر عن عدد الأشخاص الذين يعرفون أنني أستطيع قراءة الأفكار، إلا أنهم نادرًا ما يُصدِّقون ذلك، مهما كانت الأدلة واضحة. لم يستطع مايك ببساطةٍ تصديق أنني أستطيع التقاط الصور والأفكار التي تدور في ذهنه.

"حسنًا، تُصبِح الأمور جامِحة قليلًا. وظننا أنكِ قد ترغبين في المجيء للاستمتاع قليلًا، بما أنكِ انفصلتِ عن صديقكِ الحميم".

قلت دون حماس: "ربما سآتي". لم يكن من الجيد إظهار حماستي، وأنا أسأله: "متى؟".

"في العاشرة من مساء الغد".

قلت، وكأنني تذكَّرتُ حُسن خُلقي فجأة: "شكرًا على الدعوة". ثم غادرت بابتسامةٍ وأنا أحمِل إكراميَتي. فكَّرتُ بغضبٍ شديد، في اللحظات القليلة التي أتيحَت لي خلال ما تبقى من مناوبتي.

كيف يمكن لذهابي أن يفيدني؟ هل يمكنني فعلًا معرفة أي شيء قد يحل لُغز مقتل لافاييت؟ أنا لا أحب آندي بليفلور كثيرًا، والآن أصبحتُ أحب بورشيا أقل، لكن لم يكن من العدل أن يُحاكَم

آندي وتُدمِّر سُمعته بسبب شيء لم يقترِفه. ومن ناحيةٍ أخرى، كان من المنطقي ألا يثِق بي أي من الحاضرين في حفلةٍ في منزل البحيرة بأي أسرار مُظلِمة عميقة حتى أصبِح ضيفة مُعتادة، ولن أستطيع تحمُّل ذلك. لم أكن متأكدة حتى من قدرتي على تحمُّل حضور تجمُّع واحد. فآخر ما أردتُ رؤيته في العالَم هو أصدقائي وجيراني يتحرَّرون أو أي شيء آخر.

سألني سام، الذي كان قريبًا جدًا مني حتى إنني قفزتُ من مكاني فزعًا: "ما الأمر يا سوكي؟".

نظرتُ إليه، مُتمنية لو أن بإمكاني سؤاله عن رأيه. إذ كان سام قويًا ونحيفًا، كما كان ذكيًا أيضًا. ولم يكن يبدو مُثقلًا اليوم بإدارة الحسابات، والطلبات، والصيانة، والتخطيط. كان سام رجُلًا مُكتفيًا بذاته، وكنت أحبُّه وأثِق به.

قلت: "أنا في مأزقٍ بسيط فحسب، ماذا عنك يا سام؟".

"لقد تلقيتُ مُكالمة هاتفيَّة مُثيرة للاهتمام ليلة أمس يا سوكي".

"ممَن؟".

"امرأة حادَّة الصوت من دالاس".

سألته: "حقًا؟". ووجدتُ نفسي أبتسِم ابتسامة عريضة، بصدقٍ هذه المرة، وليس الابتسامة التي

اعتدتُ إخفاء توتُّري بها، وسألته: "هل هي سيِّدة من أصول مكسيكيَّة؟".

"أعتقد ذلك، لقد تحدَّثت عنكِ".

قلت: "إنها عدوانيَّة".

"لديها الكثير من الأصدقاء".

"من نوع الأصدقاء الذين قد ترغب في وجودهم حولك؟".

اعتصر سام يدي للحظة، ثم قال: "لدي بالفعل بعض الأصدقاء الجيدين، لكن لطالما كان من الجيد معرِفة أشخاص يُشارِكونك اهتماماتك".

"إذن، هل ستُسافِر إلى دالاس؟".

"ربما. وفي هذه الأثناء، لقد عرَّفتني على بعض الأشخاص في روستون، والذين أيضًا..".

أكملتُ جُملته في سرِّي: يُغيِّرون مظهرهم ويتحوَّلون عندما يكتمِل القمر.

"كيف تمكنت من الوصول إليك؟ لم أعطِها اسمك، عمدًا، لأنني لم أكن أعرف ما إن كنت تود ذلك".

قال سام: "لقد تعقَّبتكِ، واكتشفَت هويَّة مديركِ من خلال بعض الأشخاص المحليين".

"كيف يُعقل أنك لم تتواصَل معهم من قبل من تلقاء نفسك؟".

قال سام: "لم أدرِك أن هناك الكثير من الأمور التي

يجب عليَّ تعلُّمها، حتى أخبرتني بشأن الميناد".

"لم تكن تتسكَّع معها يا سام، أليس كذلك؟".

"نعم، لقد قضيتُ بعض الأمسيَات في الغابة معها، بصفتي سام، وفي هيئتي الأخرى".

قلت دون تفكير: "لكنها شريرة للغاية".

تشنَّج سام، قبل أن يقول بهدوء: "إنها كائِن خارِق للطبيعة، مثلي. ليست شريرة ولا طيِّبة، هذه.. طبيعتها فحسب".

قلت، وأنا لا أصدق أنني أسمَع هذا من سام: "هذا هراء. إن كانت تُطرِب أذنيك بهذا الكلام، فلأنها تريد شيئًا منك". تذكَّرتُ مدى جمال الميناد، طالما أنه ليس لديك مشاكل مع بقع الدماء. أما سام، كمُتحوِّل، لم يكن ليفعل ذلك. تابعت حديثي، بعد أن ضربتني صاعِقة الفهم: "عجبًا". لم أكن أستطيع قراءة أفكار سام بوضوح، لأنه كائِن خارق للطبيعة، لكنني استطعتُ الشعور بحالته العاطفيَّة، والتي كانت.. مُحرِجة، وشهوانيَّة، ومُستاءة، ومُمتعِضة، وهائِجة.

قلت مرة أخرى، بتوتُّر قليلًا: "عجبًا، عذرًا يا سام. لم أقصد التحدُّث بسوءٍ عن شخص أنت.. أنت..". بالكاد يمكنني قول "تُضاجِعه"، بغضِّ النظر عن مدى مُلاءمة ذلك. تابعتُ بضعف: "تتسكَّع معه. أنا متأكدة من أنها جميلة، إن تعرَّف عليها المرء عن قُرب. بالطبع، قد يكون لحقيقة أنها قد قطَّعت ظهري

وتركته مليئًا بجروح دامية علاقة بتحيُّزي ضدها. سأحاوِل أن أكون أكثر انفتاحًا". وانطلقتُ لتلقي طلب، تاركةً سام خلفي، فاغرًا فمه.

تركتُ رسالة على جهاز الرد الآلي الخاص ببيل. لم أكن أعرف ما يُخطِّط بيل لفعله بشأن بورشيا، وخمَّنتُ أن هناك احتمالًا لوجود شخص آخر عندما يستمِع إلى رسائِله، لذا قلت: "لقد دُعيتُ إلى تلك الحفلة ليلة الغد يا بيل. أخبرني إن كنت تعتقد أنه ينبغي عليَّ الذهاب". لم أذكُر اسمي، لأنه سيتعرَّف على صوتي. وقد تكون بورشيا قد تركت له رسالة مُماثِلة، وهي فكرة أغضبتني بشدَّة.

وعندما عُدتُ إلى المنزل تلك الليلة، تمنَّيتُ أن أجِد بيل في انتظاري، ليُباغتني مُجدَّدًا بطريقةٍ حميمة، لكن المنزل وفناءه سقطا في قبضة هدوء تام. شعرتُ ببعض الحماس عندما لاحظتُ أن ضوء جهاز الرد الآلي يومِض.

قال بيل بصوت خافِت: "ابتعدي عن الغابة يا سوكي، لم ترضَ الميناد عن جزيتنا. سيأتي إريك إلى بون تيمبِس ليلة الغد للتفاوُض معها، وقد يتَّصِل بكِ. أما الأشخاص الآخرون في دالاس، هؤلاء الذين ساعدوكِ، يطلبون تعويضًا باهظًا من مصَّاصي دماء دالاس، لذا سأذهب إلى هناك على متن أنوبيس لمقابلتهم مع ستان، تعرفين أين سأمكث".

يا إلهي، لن يكون بيل في بون تيمبِس لمُساعدتي،

وسيكون بعيدًا عن مُتناوَل يدي. أم أنه كذلك بالفعل؟ كانت الساعة الواحدة صباحًا. اتَّصلتُ بالرقم الذي وضعته في دفتر عناويني، رقم فندق "سايلنت شور". لم يكن بيل قد وصل بعد، رغم أن تابوته (الذي أشار إليه موظَّف الاستقبال بلقب "أمتِعته") قد وضع في غُرفته. تركتُ له رسالة، اضطُررتُ إلى صياغتها بحذرٍ شديد، حتى إنها قد تكون غير مفهومة.

كنت مُتعبة حقًا، لأنني لم أنم جيدا ليلة أمس، لكنني لم أكن أنوي الذهاب إلى حفلة ليلة غد بمُفردي. تنهَّدتُ بعُمق، واتَّصلت بحانة "فانجتازيا"، حانة مصَّاصي الدماء في شرِفبورت.

أجابني تسجيل صوتي لبام، الشريكة في الحانة: "لقد اتَّصلتُ بفانجتازيا، حيث يعود الموتى الأحياء للحياة كل ليلة. لمعرفة ساعات عمل الحانة، اضغط واحد. لحجز حفلة، اضغط اثنين. للتحدُّث مع شخص حي أو مصَّاص دماء ميِّت، اضغط ثلاثة. وإن كنت تنوي ترك رسالة فكاهيَّة كمزحة على جهازنا للرد الآلي، فاعلم أننا سنجدك".

ضغطتُ على رقم ثلاثة.

قالت بام، وكأنها تشعر بالملل أكثر من أي شخص آخر في العالم: "حانة فانجتازيا".

قلت، بنبرةٍ حيويَّةٍ لتعويض جمودها: "مرحبًا، أنا سوكي. هل إريك موجود يا بام؟".

أجابتني: "إنه يفتِن الحثالة". فَهِمتُ ذلك على أنه كان يجلِس في مقعدٍ في الطابِق الرئيسي للحانة، يبدو وسيمًا وخطيرًا. كان بيل قد أخبرني أن بعض مصّاصي الدماء تعاقدوا مع فانجتازيا، ليظهروا مرة أو مرّتين في الأسبوع لمدة مُحدَّدةٍ حتى يستمِر تدفُّق السيَّاح. تواجَد إريك، بصفته أحد مُلَّاك الحانة، هناك بشكلٍ يوميٍّ تقريبًا. كانت هناك حانة أخرى يذهب إليها مصّاصو الدماء بمحضِ إرادتهم، حانة لا يدخُلها السيَّاح أبدًا. ولم أدخُلها بدوري، لأنني بصراحة، رأيتُ ما يكفي من الحانات في أثناء عملي.

"هل يمكنك أن تأخُذي له الهاتف يا سيِّدتي، من فضلك؟".

قالت على مضض: "حسنًا. لقد سمعتُ أنكِ قضيتِ وقتًا مُمتعًا في دالاس". بدأت تمشي، لم أتمكن من سماع خطواتها، لكن الضوضاء في الخلفيَّة خفتت وتلاشَت.

"لا يُنسى".

"ما رأيكِ في ستان ديفيس؟".

"هممم، إنه فريد من نوعه".

"أنا شخصيًا أحب مظهره المهووس الذكي".

كنت سعيدة لأنها لم تكن هناك لترى نظرة الدهشة التي رمقتها للهاتِف. لم أدرِك أبدًا أن بام تُحِب الرجال كذلك. قلت، محاولة التظاهُر بالعفوية:

"بالتأكيد لم يبدُ أنه يواعِد أحدًا".

"حسنًا، ربما سأذهب في عُطلةٍ إلى دالاس قريبًا".

كان من الجديد بالنسبة لي رؤية أن مصّاصي الدماء قد يهتمون بعضهم ببعض. ولم يسبق لي رؤية اثنين من مصّاصي الدماء معًا.

قال إريك: "أنا هنا".

استمتعتُ قليلًا بأسلوب إريك في الرد على الهاتف، لذا قلت: "وأنا أيضًا هنا".

قال بنبرةٍ دافئة وودودة: "سوكي.. مصّاصة الرُصاصات الصغيرة".

"إريك.. مصّاص الهراء الكبير".

"ماذا تريدين يا عزيزتي؟".

"أنا لستُ عزيزتك، وتعرف ذلك، هذا أولًا. أما ثانيًا، أخبرني بيل أنك ستأتي إلى هنا ليلة الغد؟".

"نعم، لأتجوَّل في الغابة بحثًا عن الميناد. إذ يبدو أنها لم ترضَ عن جزيتنا من النبيذ المعتَّق والثور الصغير".

سألته: "هل أخذتَ لها ثورًا حيًا؟". وتشتَّت تركيزي للحظات بصورة إريك وهو يقود ثورًا إلى مقطورة، ويقودها إلى جانب الطريق السريع، ثم يدفعها نحو الأشجار.

"نعم، بالفعل. أنا وبام وإنديرا".

"هل كان الأمر مُمتِعًا؟".

قال بنبرةٍ تحمِل بعض الدهشة: "نعم، لقد مرَّت عدَّة قرون منذ أن تعاملتُ مع الماشية. لكن بام فتاة مدينة، أما إنديرا فخافَت من الثور بشدَّةٍ حتى إنها لم تُقدِّم مُساعدة كبيرة، ولكن إن أردتِ، سأتصِل بكِ في المرة القادمة التي سأضطر فيها إلى نقل الحيوانات، ويمكنك الذهاب معي".

قلت، وأنا واثِقة تمامًا من أنني لن أتلقَّى هذا الاتصال أبدًا: "شكرًا، سيكون ذلك لطيفًا. أنا أتَّصِل بك لأنني أريدك أن تذهب معي إلى حفلةٍ ليلة الغد".

سادَت لحظة طويلة من الصمت.

"ألم يعد بيل رفيقكِ في الفراش؟ وهل أصبحت الاختلافات التي نشأت بينكُما في دالاس دائِمة؟".

ضربتُ نفسي على جبهتي وقلت: "إن ما قصدتُ قوله إنني بحاجةٍ إلى حارِس شخصي لليلة غد، لأن بيل في دالاس. اسمعني، هناك تفسير طويل، لكن الوضع هو أنني بحاجةٍ للذهاب إلى حفلةٍ ليلة غد، وهي في الواقع مُجرَّد.. حسنًا، إنه حفل عربدة من نوعٍ ما.. وأنا بحاجةٍ إلى شخصٍ معي، تحسُّبًا لأي شيء".

قال إريك، وقد بدا مفتونًا: "هذا مُثير للاهتمام. وبما أنني سأكون في الجوار، ظننتِ أنني مُرافِق مُناسِب؟ إلى حفلة عربدة؟".

قلت: "يمكنك أن تبدو بشريًا للغاية".

"هل هو حفل عربدة بشرية؟ دون أي مصّاص دماء؟".

"إنه حفل عربدة بشرية لا تعرف بقدوم مصّاص دماء".

"إذن، فكلما بدوتُ بشريًا، كلما بدوتُ أقل رُعبًا؟".

قلت: "نعم، أحتاج لقراءة أفكارهم، واستخلاص بعض المعلومات منهم. وإن جعلتهم يُفكّرون في موضوعٍ مُعيَّن، يمكننا الخروج من هناك". خطرَت لي للتو فكرة رائعة حول كيفيّة جعلهم يُفكّرون في لافاييت، لكن إخبار إريك بها هو المشكلة الحقيقيّة.

"إذن، تريدينني أن أذهب إلى حفل عربدة بشرية، حيث لن أكون موضع ترحيب، ثم نُغادِر قبل أن أتمكن من الاستمتاع؟".

قلت، بصوتٍ مُرتعدٍ من القلق: "نعم، وهل.. هل تعتقد أنه يمكنك التظاهُر بأنك مثلي الجنس؟". إن ضربت.. فأوجع!

سادَت لحظة من الصمت الطويل، ثم سألني إريك بهدوء: "في أي وقت يجب أن أكون هناك؟".

"التاسعة والنِصف؟ حتى أتمكن من تزويدك بالتفاصيل؟".

"التاسعة والنصف، في منزلك".

قالت بام: "أنا هنا مُجددًا. ماذا قلت لإريك؟ لأنه يهز رأسه جيئةً وذهابًا، وعيناه مُغلقتان".

سألتها: "هل يضحك؟ حتى ولو قليلًا؟".

أجابتني: "لا أظن ذلك".



الفصل العاشر

لم يتّصِل بيل مُجدّدًا تلك الليلة، وغادرتُ إلى العمل قبل غروب شمس اليوم التالي. وعندما عُدتُ لارتداء ملابسي استعدادًا "للحفل"، وجدتُ أنه قد ترك لي رسالة على جهاز الرد الآلي.

قال: "لقد واجهتُ صعوبةً في فهم الوضع من رسالتكِ شديدة الحذر". حمل صوته الهادئ نبرة انزعاج، تابع حديثه مُستاءً: "إن كنت ستذهبين إلى هذا الحفل، فلا تذهبي وحدكِ، مهما حدث. إن الأمر لا يستحِق ذلك، خُذي أخاكِ أو سام معكِ".

حسنًا، لقد وجدتُ شخصًا أقوى منهُما للذهاب معي، لذا يجب أن أشعُر بشيءٍ من الفضيلة. ولكن لسببٍ ما، لم أعتقد أن وجود إريك معي سيُطمئِن بيل.

"يُرسِل ستان ديفيس، وجوزيف فيلاسكيز تحيّاتهما، وكذلك باري".

ابتسمت. جلستُ مُتربّعةً على فراشي مُرتدِيَة روب حمّام قديم من قماش الشنيل، ومشّطتُ شعري في أثناء استِماعي إلى رسائِلي.

قال بيل، بصوته الذي لطالما جعل جسدي يرتجِف: "لم أنسَ ما حدث ليلة الجمعة، ولن أنساه قط".

سألني إريك: "إذن، ماذا حدث ليلة الجمعة؟".

صرخت بصوتٍ عالٍ. وعندما شعرتُ أن قلبي لن يفر من قفصي الصدري، هرعتُ من فوق الفراش، واندفعتُ نحوه، بقبضتين مضمومتين.

قلت: "أنتِ كبير بما يكفي لتعرف أنه لا يمكنك الدخول إلى منزل أحد دون طرق الباب، وانتظار الرد. بالمُناسبة، متى دعوتك للدخول أصلًا؟". كان لا بد أنني قد دعوته للدخول في وقتٍ سابق، وإلا ما استطاع عبور عتبة المنزل.

قال إريك، وهو يحاول جاهدًا أن يبدو مجروحًا: "عندما مررتُ الشهر الماضي لرؤية بيل، طرقتُ الباب، ولم تُجيبيه، وظننتُ أنني سمعتُ أصواتًا من الداخل، فدخلت. حتى إنني ناديتكِ باسمك".

قلت، وأنا لا أزال أستشيط غضبًا: "ربما تكون قد همستَ باسمي، لكنك تصرَّفتَ بشكلٍ سيئ، وتعلم ذلك جيدًا!".

سألني إريك، وهو يُغيِّر الموضوع: "ماذا سترتدين في الحفلة؟ ماذا سترتدي فتاة جيدة مثلك في حفلة عربدة؟".

قلت، وأنا مُحبطة من التذكير: "أنا فقط.. لا أعرف. أنا متأكدة من أنه يُفترَض بي أن أبدو مثل تلك الفتياتُ التي يذهبن إلى حفلات العربدة، لكنني لم أذهب إلى واحدةٍ من قبل، وليس لديَّ أي فكرة عن كيفيَّة البداية، رغم أن لديَّ فكرة واضحة للغاية عن كيف يُفترَض بي أن أبدو في النهاية".

قال: "لقد ذهبتُ إلى حفلات عربدة من قبل".

"لماذا لا يُفاجئني ذلك؟ وماذا ارتديت؟".

قال: "في المرة الأخيرة، ارتديتُ جلد حيوان؛ لكنني اخترتُ هذا اليوم". ارتدى إريك معطفًا طويلًا، خلعه الآن بشكلٍ مُثير، ولم يكن بوسعي سوى الوقوف والتحديق. عادةً ما كان إريك من النوع الذي يرتدي الجينز الأزرق والقُمصان. أما الليلة، فقد ارتدى قميصًا وردي اللون دون أكمام، وسروالًا ضيّقًا من الليكرا. لا أعرف من أين حصل عليه؛ إذ لم أكن أعرف بوجود شرِكات تصنع سراويل ليكرا بمقاس "إكس لارج" للرجال. كان لونه ورديًا يشوبه بعض الأزرق الفاتِح، مثل تلك الدوّامات التي تُزيِّن جوانِب شاحنة جيسون.

كل ما استطعتُ التفكير في قوله هو: "عجبًا، يا له من زيٍّ رائِع". عندما يرتدي رجُل ضخم مثل إريك ملابس من الليكرا، لا يترُك ذلك الكثير للخيال. قاومتُ إغراء أن أطلب من إريك الدوران.

قال إريك: "لا أعتقد أنني أستطيع أن أكون مُقنِعًا كملِكة، لكنني قرّرتُ أن هذا المظهَر يُرسِل إشارات مختلطة إلى حدٍ ما، تجعل أي شيء ممكنا". ثم حرَّك رموشه في وجهي. من الواضح أنه يستمتِع بذلك.

قلت، محاولة جاهدةً العثور على مكانٍ آخر لأنظر فيه: "نعم".

قال إريك: "هل أبحث في أدراجِك لأعثر لكِ على

شيءٍ لترتديه؟".

كان قد فتح بالفعل الدُرج العلوي من خزانتي قبل أن أقول: "لا، لا! سأجِد شيئًا ما!". لكنني لم أجِد أي شيء أكثر إثارة وبساطة من سروال وقميص قصيرين. ومع ذلك، كان السروال القصير قديمًا من أيام المدرسة الإعداديّة، وضمّني "كما تحتضِن القشرة موزتها"، كما قال إريك بمُنتهى الشاعرية.

تمتمت: "أبدو مثل ديزي دوكيس". وتساءلتُ عمَّا إذا كانت نقشة الدانتيل في ملابسي الداخلية ستظل مطبوعةً على مؤخّرتي لبقيّة حياتي. ارتديتُ حمّالة صدر زرقاء، مُتناسِقة مع قميص أبيض بدون أكمام، يكشِف الكثير من زخرفة حمّالة الصدر. كانت هذه واحدة من حمّالات صدري الاحتياطيّة، التي لم يتسنَّ لبيل حتى رؤيتها بعد، لذا تمنّيتُ بشدَّةٍ ألا يحدث لها شيء. كانت سُمرتي لا تزال جليّة، وتركتُ شعري ينسدِل على كتفيّ.

قلتُ وأنا أنظر إلينا جنبًا إلى جنبٍ في المرآة: "مهلًا، إن لون شعرنا مُتشابِه".

ابتسم إريك، وقال: "بالتأكيد يا صديقتي، ولكن هل شعر جسدكِ كله أشقر؟".

"يبدو أنك تتحرَّق شوقًا لمعرفة ذلك".

قال ببساطة: "نعم".

"حسنًا، سيتسنَّى عليَّ تركك تتساءَل".

قال: "لعلمك، أنا كذلك، وشعر جسدي كله أشقر".

"يمكنني معرِفة ذلك من شعر صدرك".

رفع ذراعي ليتفقَّد إبطي، قبل أن يقول وهو يتركه: "أيتها السخيفة الحمقاء، تحلقين شعر جسدك".

فتحتُ فمي لأعقِّب على ذلك، ثم أدركتُ فجأة أن ذلك سيؤدِّي إلى كارثة، لذا اكتفيتُ بقول: "علينا الذهاب".

سألني: "ألن تضعي عطرًا؟". بدأ يشم جميع الزجاجات على طاوِلة زينتي، ثم قال: "ضعي هذا!". ألقى لي بزجاجة، فأمسكتها دون تفكير. ارتفع حاجباه بدهشة، وعلَّق قائلًا: "لقد شربتِ من دم مصَّاصي الدماء أكثر مما ظننتُ يا آنسة سوكي".

قلت: "عطر أوبسِشَن، حسنًا، سأضع القليل". ثم نظرتُ إلى الزجاجة، مُتجنِّبة الرد على مُلاحظته، ووضعتُ القليل من العطر بين ثدييَّ وخلف رُكبتيَّ. ظننتُ أنني بذلك غرقتُ في العطر من رأسي حتى أخمص قدمي.

سألني إريك، وهو يُراقِبني باهتمام: "ما هي خطَّتنا يا سوكي؟".

"ما سنفعله هو الذهاب إلى هذا الحفل السخيف المُسمى بحفل الجنس، والقيام بأقل قدرٍ ممكن في هذا النوع من الأنشِطة، بينما أجمَع المعلومات من

عقول الموجودين هناك".

"بخصوص؟".

"بخصوص مقتل لافاييت رينولد، الطبّاخ في حانة ميرلوت".

"ولماذا نفعل ذلك؟".

"لأنني أحببتُ لافاييت، ولتبرئة آندي بليفلور من تُهمة قتله".

"هل يعلم بيل أنكِ تُحاولين تبرئة أحد أفراد آل بليفلور؟".

"لماذا تسأل عن ذلك؟".

أجابني إريك: "تعرفين أنه يكره آل بليفلور". قالها وكأنه أمر معروف للجميع في لويزيانا.

قلت: "لا، لم أكن أعرف ذلك على الإطلاق". جلستُ على الكرسي بجانب فراشي، وعيناي مُثبّتتان على وجه إريك، قبل أن أسأله: "لماذا؟".

"ستضطرّين إلى سؤال بيل عن ذلك يا سوكي. وهل هذا هو السبب الوحيد لذهابنا؟ أي أنكِ لا تستخدمين هذا بمكرٍ كعذرٍ للتقرُّب مني؟".

"أنا لستُ بذلك الذكاء يا إريك".

قال بابتسامة رائعة: "أعتقد أنكِ تخدعين نفسك يا سوكي".

تذكَّرتُ أنه يستطيع الآن الإحساس بمزاجي،

حسبما قال بيل. تساءلتُ عمَّا يعرفه إريك عني، ولا أعرفه أنا.

قلت، ونحن نخرُج من الباب ونعبُر الشرفة: "اسمعني يا إريك". ثم توجَّب عليَّ التوقُّف للحظة، والبحث في ذهني عن أفضل طريقة لقول ما أريد قوله.

انتظرني. كان المساء غائمًا، وبدت الغابة أقرَب إلى المنزل. وعرفتُ أن الليل بدا كئيبًا فقط لأنني كنت ذاهبةً إلى حدثٍ يُزعِجني بشكلٍ شخصي. فسأعرف أشياء عن أشخاص لم أكن أعرفها ولم أرغب في معرفتها. وبدا لي من الغباء السعي للحصول على هذا النوع من المعلومات التي قضيتُ حياتي في تعلُّم كيفيَّة تجاهلها. لكنني شعرتُ بنوعٍ من الالتزام تجاه آندي بليفلور لاكتشاف الحقيقة؛ واحترمتُ بورشيا، بطريقةٍ غريبة، لاستعدادها لتعريض نفسها لشيءٍ غير سار من أجل إنقاذ شقيقها. أما كيف يمكن لها الشعور بنفورٍ حقيقيٍّ تِجاه بيل؛ فقد كان أمرًا غير مفهوم بالنسبة لي، ولكن إن قال بيل إنها تخشاه، فهذا صحيح. أما بالنسبة لي، فقد بدت فكرة رؤية الوجه الحقيقي السري لأشخاص لطالما عرفتهم منذ زمن طويل مُخيفة للغاية.

قلت لإريك مُباشرة: "لا تدع شيئًا يحدث لي، حسنًا؟ ليس لديَّ أي نيَّة لإقامة علاقة مع أي من هؤلاء الأشخاص. أعتقد أنني خائِفة من حدوث شيء ما، أو التمادي مع أحدهم. لن أمارِس الجنس

بمحض إرادتي مع أي من هؤلاء الأشخاص، حتى من أجل الانتقام لمقتل لافاييت". كان هذا خوفي الحقيقي، خوفًا لم أعترِف به لنفسي حتى هذه اللحظة؛ أن ينفلِت شيء ما، أو تفشَل بعض الاحتياطات، أو أكون أنا ضحيَّة. إذ حدث لي شيء ما في طفولتي، شيء لم أستطع منعه أو السيطرة عليه، شيء مريع للغاية. وفضَّلتُ الموت تقريبًا على التعرُّض لإساءةٍ كهذه مُجدَّدًا. ولهذا السبب قاومتُ جيب بشدَّة، وشعرتُ بالارتياح الشديد عندما قتله جودفري.

بدا إريك مُتفاجئًا، وهو يسألني: "هل تثقين بي؟".

"نعم".

"هذا.. جنون يا سوكي".

أجبته: "لا أعتقد ذلك". لم أعرف من أين أتت هذه الثِقة، لكنها كانت موجودة. ارتديتُ سترة ثقيلة بطول الفخذ كنت قد أحضرتها معي.

هزَّ إريك رأسه الأشقر، الذي أغلق معطفه الواقي من المطر حوله، ثم فتح باب سيارته الكورڤيت الحمراء. سأصِل إلى حفل العربدة بكامل أناقتي.

أعطيتُ إريك توجيهات للوصول إلى بُحيرة ميموزا، وأطلعته بقدر ما استطعتُ على خلفيَّة هذه السلسلة من الأحداث بينما قُدنا (أو طِرنا) في الطريق الضيِّق ذو المسارين. قاد إريك السيارة بحماسةٍ واندفاع كبيرين.. وتهوُّر شخص يُدرِك أنه

من الصعب قتله.

قلت له: "تذكَّر أنني فانية". بعد أخذه مُنعطفًا سريعًا جعلني أتمنى لو كانت أظافري طويلة بما يكفي لأتمكن من قضمها.

قال إريك، وعيناه مُثبَّتتان على الطريق أمامه: "أفكِّر في ذلك كثيرًا".

لم أعرف ماذا أفعل بشأن بيل، لذا تركتُ عقلي ينجرِف إلى أفكار مُريحة. مثل حوض استحمام بيل الساخِن، أو الشيك السمين الذي سأحصُل عليه من إريك عندما يُحصِّل شيك مصّاصي دماء دالاس، أو حقيقة مواعدة چيسون لنفس المرأة لعدَّة أشهُر مُتتالية، مما قد يعني أنه جاد في علاقته بها، أو قد يعني أنه استنفذ جميع النساء المُتاحات (وبعض من لم يكن ينبغي أن يكن) في منطقة رينارد. كانت ليلة جميلة وباردة، وكنت أركب في سيارة رائعة.

قال إريك: "أنتِ سعيدة".

"نعم، أنا سعيدة".

"ستكونين بأمان".

"شكرًا، أعلم أنني سأكون بأمان".

أشرتُ إلى اللافِتة الصغيرة التي تحمِل اسم "فاولر"، والتي تُشير إلى ممرٍ مخفي تقريبًا بين أشجار الآس والزعرور. انعطفنا إلى طريقٍ قصيرٍ مرصوف بالحصى، ومليء بالحُفر، ومُحاط

بالأشجار، ومُنحدِر بشكلٍ حادٍ إلى الأسفل. عبس إريك والسيارة تتخبّط في الحُفر العميقة. وبحلول الوقت الذي استوى فيه الطريق إلى الساحة المفتوحة حيث يقِف الكوخ، أصبح السقف أدنى من ارتفاع الطريق حول البُحيرة. توقّفت أربع سيارات على الأرض التُرابيّة أمام الكوخ. الذي فتحت نوافِذه لتسمَح بدخول هواء المساء البارد، وأسدِلَت ستائِرها. سمعتُ أصواتًا تنبعِث من الداخل، رغم أنني لم أتمكن من تمييز الكلمات. وتردّدتُ فجأة، وبشدّة، في دخول مقصورة جان فاولر.

سألني إريك: "هل يمكنني أن أكون مزدوج الميول؟". لم يبدُ مُنزعِجًا؛ بل بدا مُستمتِعًا للغاية. وقفنا بجانب سيارته، متواجهين، ويداي مُخبّأتان في جيوب سُترتي.

هززتُ كتفيّ قائلة: "حسنًا". من يهتم؟ فهذا كله تمثيل. لاحظتُ حركة بطرف عيني، كان هناك من يُراقِبنا من خلال ستارة نصف مرفوعة، قلت: "نحن مُراقبان".

"سأتصرّف بودٍ إذن".

كنا خارج السيارة في ذلك الوقت. انحنى إريك، ودون أن يجذِبني إليه، وَضَع شفتيه على شفتيّ. لم يضمني إليه بقوة، لذا شعرتُ بالاسترخاء إلى حدٍ ما. وعرفتُ أنني على الأقل سأضطر إلى تقبيل الآخرين، لذا ركّزتُ على قبول الأمر.

ربما كنت أتمتّع بموهبةٍ فطريّة، صقلها مُعلِّم عظيم. كان بيل قد صرّح بأنني مُقبِّلة مُمتازة، وأردتُ أن أجعله فخورًا بي.

وبالنظر إلى حالة سروال إريك الليكرا، فقد نجحتُ في ذلك.

سألته، وأنا أبذل قصارى جهدي لإبقاء عينيّ فوق مستوى صدره: "هل أنت مُستعِد للدخول؟".

قال أريك: "ليس حقًّا، لكن أعتقد أن علينا القيام بذلك. على الأقل أبدو في الحالة المناسبة".

رغم أن فكرة تقبيل إريك للمرّة الثانية، واستمتاعي بذلك أكثر مما ينبغي كانت مُزعِجة، إلا أنني شعرتُ بابتسامةٍ تُخالِج زوايا شفتيّ ونحن نعبُر الأرض الوعِرة نحو الكوخ. صعدنا الدرج إلى شرفة خشبيّةٍ كبيرةٍ، مليئة بالكراسي القابلة للطي المصنوعة من الألومنيوم، وشوّاية غاز كبيرة. أنّ الباب الزُجاجي عندما فتحه إريك، وطرقتُ برفقٍ على الباب الداخلي، فأتاني صوت جان تتساءَل: "من الطارِق؟".

أجبته: "إنها سوكي، ومعها صديق".

قالت: "هذا رائِع! تفضّلا بالدخول!".

وعندما فتحت الباب، التفتَت جميع الوجوه في الغرفة نحونا. وتحوّلت الابتسامات المُرحِّبة إلى نظراتٍ مذهولة عندما دخل إريك خلفي.

تقدَّم إريك ليقِف بجانبي، مُعلقا معطفه على ذراعه، وكدتُ أضحك من تنوُّع التعبيرات التي ارتسمَت على وجوههم. بعد صدمة إدراك أن إريك مصّاص دماء، وهو ما استغرق منهم دقيقة أو نحو ذلك، انتقلَت العيون على جسد إريك صعودًا ونزولًا مُستعرِضة مظهره.

سألتني جان فاولر، المطلق ة عدّة مرّات، في الثلاثينات من عمرها، والتي ارتدت ما يشبه قميصًا من الدانتيل: "مرحبًا يا سوكي، من هو صديقكِ؟". انسدل شعرها وصُفِّفَ بشكلٍ احترافي، وبدت زينتها مُناسِبة للحدث، رغم أن المظهر بدا مُبالغًا فيه بعض الشيء بالنسبة لكوخ بجوار بُحيرة ميموزا. لكن بصفتها المُضيفة، أعتقد أنها شعرَت أن بإمكانها ارتداء ما يحلو لها في حفل العربدة التي تُنظِّمه. خلعتُ سُترتي، وتحمَّلتُ الإحراج من تلقّي نفس النظرات المُتفحِّصة التي تلقّاها إريك.

قلت: "هذا إريك، آمُل ألا تُمانعي إحضاري لصديق؟".

قالت بصدقٍ واضح: "كلما زاد العدد، زاد المرح". دون أن ترتفِع عيناها قط إلى وجه إريك، قبل أن تسأله: "ماذا تريد أن تشرَب يا إريك؟".

قال بقليلٍ من الأمل: "بعض الدماء؟".

قالت، وهي غير قادِرة على إبعاد نظرها عن الليكرا: "أجل، أعتقد أن لديَّ بعضًا منه من فصيلة

"أوه" هنا، إذ نتظاهر أحيانًا..". ثم رفعَت حاجبيها بشكلٍ مُعبِّر، ونظرَت إلى إريك نظرةً ذات مغزى.

قال: "لا داعي للتظاهُر بعد الآن". ورمقها بنظرةٍ مُماثِلة. وفي طريقه للانضمام إليها عند الثلاجة، مرَّر يده على كتف إيجز، الذي أشرَق وجهه بابتسامةٍ واسعة.

عجبًا، لقد عرفتُ أنني سأتعلَّم بعض الأشياء. وقفَت تار بجانبه عابِسة، وحاجباها الداكنان مُسدِلان فوق عينيها الداكنتين. ارتدَت حمَّالة صدر وسروالًا داخليًا باللون الأحمر الناري، وبدت جميلة للغاية. طُلِيَت أظافر يديها وقدميها بنفس اللون، وكذلك أحمر شفاهها. لقد جاءت مُستعِدة لهذا الحدث. نظرتُ في عينيها، ثم أشاحت بنظرها بعيدًا. لم يتطلَّب الأمر قارئًا للأفكار ليُدرِك شعورها بالخجل.

جلس مايك سبنسر وكليو هاردواي على أريكةٍ قديمةٍ مقابل الجدار الأيسَر. أُثِّثَ الكوخ بأكمله، وهو في الأساس غرفة كبيرةٍ واحدةٍ مع مغسلة وموقِد مقابل الجدار الأيمَن، وحمَّام في الزاوية البعيدة، بأثاثٍ قديم، لأن هذا ما يفعله الناس في بون تيمبِس بالأثاث المُتهالِك. ومع ذلك، فإن معظم أكواخ البُحيرة لا تحتوي على مثل هذه السجادة السميكة الناعِمة، والكثير من الوسائِد المُلقاة بشكلٍ عشوائي، كما أن النوافِذ لم تكن مُغطَّاة بمثل هذه الستائِر السميكة. بالإضافة إلى ذلك، كانت الزخارِف

المرسومة على تلك السجادة الناعِمة مُقزِّزة بكل بساطة. ولم أكن أعرف حتى ماهيَّة بعضها.

لكنني ابتسمتُ ابتسامة مرحة، وعانقتُ كليو هاردواي، كما أفعل عادةً كلما رأيتها. ومن المؤكَّد أنها ارتدت ملابس أكثر عندما أدارَت كافتيريا المدرسة الثانويَّة. لكن الملابس الداخلية كانت أكثر مما ارتداه مايك، الذي لم يرتدِ شيئًا.

حسنًا، لقد عرفتُ أن الأمر سيكون سيئًا، لكن أعتقد أنه لا يمكنك حقًّا تهيئة نفسك لبعض المناظِر. لمع ثديا كليو الضخمين البُنِّيين بلون الحليب بالشوكولاتة بنوعٍ من الزيت، ولمع عضو مايك بنفس القدر. ولم أرغب حتى في التفكير في ذلك.

حاول مايك الإمساك بيدي، ربما ليطلب مُساعدتي في وضع الزيت، لكنني تحرَّكتُ بعيدًا، واندفعتُ نحو إيجز وتارا. التي قالت: "لم أكن أتوقَّع أبدًا قدومكِ". وابتسمَت بدورها، لكن ليس بسعادةٍ حقيقيَّة. في الواقع، بدت بائِسة للغاية. ربما لركوع توم هاردواي أمامها، مُقبلًا الجزء الداخلي من ساقها علاقة بذلك. وربما لاهتمام إيجز الواضح يإريك دورًا في ذلك. حاولت النظر في عيني تارا، لكنني شعرتُ بالغثيان.

لم أمضِ هنا سوى خمس دقائق، لكنني كنت مُستعِدَّة للمُراهنة أن هذه كانت أطول خمس دقائق في حياتي.

سألتني تارا بسذاجة: "هل تفعلين هذا كثيرًا؟". بدأ إيجز، وعيناه على مؤخّرة إريك، الذي وقف بجوار الثلاجة يتحدّث مع جان، يتخبّط مُحاولًا فتح زر سروالي القصير. لقد شَرِب إيجز مُجدّدًا، حتى إنني استطعتُ شم رائحة الكحول في أنفاسه. كانت عيناه زُجاجيتان، وفكه مُرتخيًا. قال، وكأن لُعابه يسيل، أو ربما كان كذلك: "إن صديقكِ ضخم للغاية".

همستُ: "أضخم بكثيرٍ من لافاييت". فنظر إليّ بسرعة، قبل أن أضيف: "ظننتُ أنه سيكون موضع ترحيب".

قال إيجز، مُتجنّبًا التعقيب على ما قُلته: "نعم، إريك ضخم للغاية. من الجيد أن نحظى ببعض التنوُّع".

قلت: "هذا أقصى تنوُّع يمكننا الحصول عليه في بون تيمبِس". وحاولتُ جاهدةً ألا أبدو سعيدة بهذا الوضع. تحمّلتُ صراع إيجز المستمر مع الزر. كان هذا خطأً كبيرًا. لم يُفكّر إيجز سوى في مؤخّرة إريك، وبعض الأمور الأخرى المُتعلقة به.

وبالحديث عن الشيطان، احتضنني إريك من خلفي، ولفَّ ذراعيه حولي، وسحبني إليه، وأبعدني عن أصابِع إيجز الخرقاء. استندتُ إلى إريك، سعيدةً حقًّا بوجوده. وأدركتُ أن السبب في ذلك هو أنني توقعتُ منه إساءة التصرُّف، لكن رؤية أشخاص

عرفتهم طوال حياتي يتصرَّفون بهذه الطريقة، حسنًا.. كان هذا مُقزِّزًا للغاية. لم أكن متأكدة تمامًا من قدرتي على إخفاء مشاعري هذه عن وجهي، لذا تحرَّكتُ برفقٍ في حُضن إريك، وعندما أصدَر صوتًا سعيدًا، استدرتُ بين ذراعيه لأواجهه، ووضعت ذراعيَّ حول عنقه، ورفعتُ وجهي. تجاوب بسعادةٍ مع اقتراحي الصامت. ومع إخفاء وجهي، امتلك دماغي الحُرية في البحث. أخفضت أسوار حصوني، تمامًا عندما فتح إريك شفتيَّ بلسانه، وشعرتُ أنني بلا أي دفاعات. كان هناك بعض الأشخاص في تلك الغرفة يمتلكون قوَّة عقليَّة رهيبة في إرسال مشاعرهم، ولم أعُد أشعُر بنفسي، بل بأنني قناة لتدفُّق احتياجات الآخرين الجارِفة.

استطعتُ تذوُّق نكهة أفكار إيجز. لقد تذكَّر لافاييت، بجسده البُني النحيل، وأصابعه الماهرة، وعينية المُزيَّنتين بزينةٍ ثقيلة. تذكَّر همساته واقتراحاته المُغرية، ثم خنق تلك الذكريات السعيدة بذكريات أخرى حزينة، احتجاجات لافاييت العنيفة، والصاخِبة...

همس إريك في أذني، بصوتٍ مُنخفِض للغاية، حتى إنني لا أعتقد أن أحدًا آخر في الغرفة استطاع سماعه: "استرخي يا سوكي، أنتِ بين يديَّ..".

داعبتُ عُنقه بيديَّ. وشعرتُ بوجود شخصٍ آخر خلف إريك، وكأنه يُغازِله من الخلف.

امتدَّت يد جان حول إريك، وبدأت تفرُك مؤخرتي. وبما أنها تلمسني، كانت أفكارها واضحة تمامًا؛ إذ كانت "مُرسِلة" قويَّة للغاية. تصفَّحتُ عقلها وكأنني أقرأ كِتاب، لكنني لم أجد شيئًا مُثيرًا للاهتمام. لم تكن تُفكِّر إلا في جسد إريك، ولم تشعر بشيءٍ إلا بالانبهار بصدر كليو. لا شيء هنا يمكنني الاستفادة منه.

ذهبتُ إلى اتجاهٍ آخر، وتسلَّلتُ إلى رأس مايك سبنسر، فوجدتُ الفوضى التي توقَّعتها، ووجدته، وهو يُداعِب ثديي كليو، يُفكِّر في جسدِ بُنيٍّ آخر، رخوٍ لا حياة فيه. شعرتُ بزيادة رغبته وهو يتذكَّر ذلك. ومن خلال ذكرياته، رأيت جان نائِمة على الأريكة المُهترئة، واحتجاج لافاييت بأنهم إن لم يتوقَّفوا عن إيذائه، فسيخبر الجميع بما فعلوه، ومع من، ثم قبضات مايك تهوي عليه، وتوم هاردواي جاثيًا على صدره النحيل الداكن...

يجب عليَّ الخروج من هنا. لم أستطع تحمُّل ذلك، حتى لو لم أكن قد عرفتُ للتو ما أحتاج لمعرفته. لم أفهم كيف تحمَّلت لبورشيا ذلك أيضًا، خاصَّةً وأنها كانت ستضطر للبقاء لمعرفة أي شيء. إذ أنها لم تكن تملك "موهبة" كموهبتي.

شعرتُ بيد جان تُدلِّك مؤخرتي. كان هذا أسوأ دافِع لمُمارسة الجنس رأيته في حياتي: جنس مُنفصِل عن العقل والروح، عن الحُب أو المودَّة، أو حتى الإعجاب البسيط.

وفقًا لصديقتي آرلين، التي تزوَّجت أربع مرَّات، لم يُواجِه الرجال أي مشكلة في ذلك. ويبدو أن بعض النساء لا يمانعن ذلك أيضًا.

همستُ في فم إريك: "يجب أن أخرُج". وعرفتُ أنه يسمعني.

أجابني: "تماشي معي". وبدا الأمر وكأنني أسمعه في رأسي.

رفعني وحملني على كتفه. انسدل شعري حتى منتصف فخذه تقريبًا.

قال لجان: "سنخرُج للحظة". وسمعتُ صوت فرقعة كبيرة، عندما قبَّلها.

سألتني بصوتٍ خافِتٍ يشبه صوت مارلين ديتريش(11): "هل يمكنني القدوم أيضًا؟". ولحُسن حظِّي، لم يكن وجهي ظاهرًا.

قال إريك بصوتٍ مُفعَم بالوعود كصندوقٍ من نكهةٍ جديدةٍ من المُثلجات: "امنحينا دقيقة، لا تزال سوكي تشعر ببعض الخجل".

قال مايك سبنسر بصوتٍ مكتوم: "سخِّنها جيدا، نُريد جميعًا رؤية سوكي مُشتعِلة".

وعده إريك قائلًا: "ستكون مُثيرة".

قال توم هاردواي من بين ساقي تارا: "اللعنة على ذلك".

ثم، ليُبارك الله في إريك، خرجنا من الباب، ووضعني على غطاء مُحرِّك سيّارته الكورڤيت. واستلقى فوقي، لكن معظم وزنه استند على يديه على جانبي كتفي.

نظر إليّ، ووجهه مشدود مثل سطح سفينة في أثناء العاصِفة. برزَت أنيابه، واتَّسعت عيناه. وكان بياضهما ناصعًا، بحيث استطعتُ رؤيتهما. كان الظلام حالكًا للغاية لأتمكن من رؤية زُرقة عينيه، حتى لو رغبتُ في ذلك.

لكنني لم أرِد ذلك. قلت: "كان ذلك..". واضطُرِرتُ للتوقُّف. وأخذتُ نفسًا عميقًا، قبل أن أضيف: "يمكنك أن تعتبرني فتاة مثاليّة إن أردت، ولن ألومك، ففي نهاية المطاف، كانت هذه فكرتي. لكن أتعرف رأيي؟ أعتقد أن ذلك مُقزِّز! هل يستمتِع الرجال بهذا حقًّا؟ أو النساء؟ هل من المُمتِع مُمارسة الجنس مع شخص لا تُحبّه حتى؟".

سألني إريك، بعد أن ضغط عليّ أكثر، وتحرَّك قليلًا: "هل تُحبينني يا سوكي؟".

تبًا. أجبته: "هل تذكُر سبب وجودنا هنا يا إريك؟".

"إنهم يُراقِبوننا".

"حتى لو كانوا كذلك، أتتذكُر؟".

"نعم، أتذكّر هذا".

"إذن، علينا الذهاب".

"هل لديكِ أي دليل؟ هل عرفتِ ما أردتِ معرفته؟".

أجبته: "ليس لديّ أي دليل أكثر مما كان لديّ قبل الليلة، ليس دليلًا مادي يمكن تقديمه في المحكمة". أجبرتُ نفسي على لفِّ ذراعيّ حول خصره، ثم أضفت: "لكنني أعرف من فعلها. إنهم مايك، وتوم، وربما كليو كذلك".

قال إريك بافتقارٍ تام للصدق: "هذا مُثير للاهتمام". ثم دسَّ لسانه في أذني، وتصادَف أنني أحببتُ ذلك بشكلٍ خاص، حيث شعرتُ بأنفاسي تتسارَع. ربما لستُ مُحصَّنة ضد الجنس غير المُتَّصِل بالعاطِفة كما ظننت. لكن في الواقع، لطالما أحببتُ إريك، عندما لم أخشاه.

قلت، مُدركةً شيئًا ما بداخلي: "لا، أنا أكره ذلك تمامًا. لا أحب أي جُزء في هذا". دفعتُ إريك بقوَّة، رغم أن ذلك لم يُحدِث أي فرق، وأضفت: "اسمعني يا إريك. لقد فعلتُ كل ما بوسعي من أجل لافاييت وآندي بليفلور، رغم أنه قليل للغاية. عليهم فقط التعامل مع الأمور التي استطعتُ كشفها. إنه شُرطي، ويمكنه العثور على أدِلَّة تصلُح للمحكمة. أنا لستُ غيريَّة بما يكفي للمضي قدمًا في هذا".

قال إريك، الذي أعتقد أنه لم يسمَع كلمة مما قلت: "استسلمي لي يا سوكي".

حسنًا، كان ذلك مُباشرًا للغاية.

قلت، بأكثر صوت حازِم استطعتُ التحدُّث به: "لا، لا!".

"سأحميكِ من بيل".

قلت: "أنت من سيحتاج إلى حماية!". وعندما فكّرتُ في هذه الجملة، لم أفخر بها كثيرًا.

"هل تعتقدين أنه أقوى مني؟".

قلت: "لن أخوض هذا النقاش". ثم شرعتُ في خوضها رغمًا عني: "أقدِّر عرضك لمُساعدتي يا إريك، وأقدِّر استعدادك للمجيء إلى مكانٍ فظيعٍ كهذا".

"صدِّقيني يا سوكي، لا يُساوي هذا التجمُّع الحقير شيئًا يُذكر، مُقارنةً ببعض الأماكن التي زُرتها".

وصدَّقته فورًا. قلت: "حسنًا، لكنه بشع بالنسبة لي. الآن، أدرِك أنه كان يجب عليَّ معرِفة أن هذا سيرفع سقف توقُّعاتك، لكنك تعرف أنني لم آتِ إلى هنا لمُمارسة الجنس مع أي شخص. إن بيل صديقي الحميم". رغم أن كلِمتي صديق حميم وبيل بدتا سخيفتين في نفس الجملة، إلا أن كلِمة "صديق حميم" كانت تُمثِّل دور بيل في عالمي على أي حال.

قال بصوت بارد مألوف: "يُسعِدني سماع ذلك، لأنه لولا ذلك، لبدأتُ أشعُر بالشك".

يا للعجب.

نهض إريك عني، فاندفعتُ من فوق غطاء مُحرِّك

السيارة ، وتعثّرتُ باتجاه صوت بيل.

قال عندما اقتربت: "سوكي، لقد وصل الأمر إلى الحد الذي لا يمكنني تركك تذهبين إلى أي مكان بمفُردك".

بقدر ما استطعتُ رؤيته في الإضاءة الخافِتة، لم يكن يبدو سعيدًا لرؤيتي. لكنني لم أستطع لومه على ذلك. قلت بصدق، من أعماق قلبي: "لقد ارتكبتُ خطأً كبيرًا حقًّا". ثم عانقته.

قال في شعري: "تفوح منكِ رائحة إريك". حسنًا، اللعنة، بدأت رائِحتي تُشبِه رائحة رجال آخرين في أنف بيل. شعرتُ بموجةٍ من الحزن والخجل، وأدركتُ أن الأمور على وشك التغيُّر.

لكن ما حدث لم يكن ما توقعته قط.

خرج آندي بليفلور من بين الشُجيرات، مُشهِرًا مُسدَّسه. بدت ملابسه مُمزَّقة وملطخة، وبدا المُسدَّس ضخمًا بشكلٍ مُرعب.

قال: "ابتعدي عن مصّاصي الدماء يا سوكي".

تشبّثتُ ببيل، وقلت: "لا". لم أكن أعرف ما إن كنت أحميه أم كان هو من يحميني. لكن إن أرادنا آندي أن يُفرِّقنا، فقد أبيتُ ذلك.

سمعتُ فجأة جلبة من الأصوات على شرفة الكوخ. بدا من الواضح أن هناك من يُراقِب من النافذة، وتساءلتُ عمّا إن كان إريك قد اختلق هذا الأمر،

لأنه رغم عدم ارتفاع أي أصوات، إلا أن المواجهة في الخلاء جذبَت انتباه المُحتفلين بالداخل. وبينما وقفتُ أنا وإريك في الفناء، تقدّمت العربدة بالداخل. كان توم هاردواي عاريًا، وجان كذلك. وبدا إيجز تالي أكثر ثمالةً.

كرَّر بيل، بصوتٍ هامس: "تفوح منكِ رائحة إريك". ابتعدتُ عنه فجأة، مُتناسيةً تمامًا أمر آندي ومُسدَّسه. وفقدتُ أعصابي.

هذه لحظة نادِرة، لكنها ليست نادرة كما كانت من قبل. كان الأمر مُثيرًا بعض الشيء، قلت: "حقًّا؟ ومع ذلك، لا يمكنني حتى معرفة كيف تبدو رائحتك! ربما كنت مع ست نِساء! وهذا ليس عدلًا، أليس كذلك؟".

حدَّق بيل في وجهي بذهول. ومن خلفي، بدأ إريك يضحَك. أما الحشد على الشرفة الأمامية فقد أسِرَ بصمت. لم يكن آندي سعيدًا بتجاهلنا جميعًا للرجُل الذي يحمِل السلاح.

صرخ قائلًا: "اصطفُّوا في مجموعة واحدة". كان آندي قد شَرِب الكثير.

هزَّ إريك كتفيه مُتسائلًا: "هل سبق لك التعامل مع مصَّاصي الدماء يا بليفلور؟".

أجابه آندي: "لا، لكن يمكنني إطلاق النار عليك وقتلك، فلديَّ رصاصات فضيَّة".

بدأت أقول: "هذا..". لكن يد بيل غطَّت فمي. كانت

الرّصاصات الفضيّة قادِرة على قتل المُستذئبين فقط، لكن مصّاصي الدماء أيضًا يتفاعلون بشكلٍ رهيب مع الفضّة، ومصّاص الدماء الذي سيُصاب في مكانٍ حيوي، سيُعاني بكل تأكيد.

رفع إريك حاجبًا، وتوجّه بخطواتٍ مُتهادية إلى المُحتفِلين على الشرفة. أمسَك بيل بيدي وانضممنا إليهم. وللمرة الأولى، وددتُ لو أعرف ما كان بيل يُفكّر فيه.

صرخ آندي: "أيكم فعلها؟ أم تُراكم جميعًا؟".

التزمنا جميعًا الصمت. وقفتُ بجانب تارا، التي ارتجفَت في ملابسها الداخلية الحمراء. إذ شعرت بالخوف، ولم تكن تلك مُفاجأة كبيرة. تساءلتُ عمّا إن كانت قراءة أفكار آندي ستُساعِد بأي شكل، وبدأت أصُب جام تركيزي عليه. يمكنني إخبارك أن السكارى لا يصلحون للقراءة الجيدة؛ لأنهم لا يُفكّرون إلا في أمور غبيّة، ولا يمكن الاعتماد على أفكارهم. كما أن ذكرياتهم غير مُستقرّة كذلك. لم يدُر في خلد آندي الكثير من الأفكار في تلك اللحظة. لم يكن يحب أحد من الموجودين هنا، ولا حتى نفسه، وكان مُصمّمًا على انتزاع الحقيقة من أحدهم.

صرخ: "تعالي هنا يا سوكي".

قال بيل بحزم: "لا".

قال آندي وهو يُصوِّب مُسدّسه نحوي: "يجب أن

تكون بجانبي هنا خلال ثلاثين ثانية، وإلا أطلقتُ النار عليها!".

قال بيل: "لن تعيش أكثر من ثلاثين ثانية لو فعلتها".

وصدَّقته، ويبدو أن آندي صدَّقه كذلك.

قال آندي: "لا يهمني، لن تكون خسارة كبيرة للعالم".

حسنًا، لقد جعلني هذا أستشيط غضبًا من جديد. كانت نيران غضبي قد بدأت تخمُد، لكن هذا جعلها تتأجَّج، وبشكلٍ كبير.

انتزعتُ يدي من يد بيل، ونزلتُ الدرج بخطوات ثقيلة نحو الفناء. لم يعمِني الغضب لدرجة تجاهل المُسدَّس، رغم أنني تُقتُ بشدَّة للإمساك بخصيتي آندي واعتصارهما. كان سيُطلق النار عليَّ على أي حال، لكن بعد أن أؤذيه أولًا. ومع ذلك، كان ذلك تصرُّفًا سيِّئًا مثل الإفراط في الشرب. هل كانت لحظة الرضا تستحِق ذلك العناء؟

أمرني آندي قائلًا: "والآن يا سوكي، أريدكِ أن تقرأي أفكار هؤلاء الأشخاص، وتُخبرينني أيهم فعلها". وأمسَك بمؤخِّرة عنقي بيديه الكبيرتين، وكأنني جروٌ غير مُدرَّب، وأدارني لمواجهة الشرفة.

"ماذا تعتقد أنني كنت أفعل هنا بحق الجحيم أيها الغبي؟ هل تظن أنني أحب قضاء وقتي مع أوغاد

كهؤلاء؟".

هزّني آندي من عُنقي. أنا قويّة للغاية، وكانت هناك فرصة جيدة لأتحرّر من قبضته وأُمسِك المُسدّس، ولكنها لم تكن الفرصة مضمونة بما يكفي لأشعُر بالارتياح. قرّرتُ الانتظار لدقيقة. حاول بيل إخباري بشيءٍ ما بوجهه، لكنني لم أكن متأكدة من ماهيته. وحاول إريك أن يتحسّس تارا، أو ربما إيجز. كان من الصعب معرِفة ذلك.

وعند حافّة الغابة، سمعتُ نباح كلب. أدرتُ عيني في ذلك الاتجاه، إذ أنني لم أستطع تحريك رأسي. حسنًا، مُمتاز.. هذا ما كنت أحتاجه.

قلت لآندي: "هذا كلبي الكولي، دين، هل تتذكّره؟". كان بإمكاني الاستفادة من بعض المُساعدة بهيئته البشرية، ولكن بما أن سام وصل إلى المكان بهيئته ككلب كولي، فعليه أن يبقى كذلك وإلا خاطَر بفضح أمره.

"حقًّا؟ وما الذي يفعله كلبكِ هنا؟".

"لا أعلم، لكن لا تُطلق عليه النار، اتفقنا؟".

قال بدهشةٍ حقيقيّة: "لن أُطلق النار على كلبٍ قط".

قلتُ بمرارة: "حقًّا؟ لكن عليّ أنا، فلا بأس".

هرول الكلب الكولي إلى حيث وقفنا. وتساءلتُ عمّا يدور في ذهن سام. تساءلتُ؛ هل يحتفِظ

بقدرته على التفكير البشري بعدما يتحوَّل إلى هيئته المُفضَّلة؟ أدرتُ عينيَّ نحو المُسدَّس، وتبعَت عينا سام/ دين عينيَّ، لكنني لم أستطع تقدير مدى فهمه للموقِف.

بدأ الكلب يُزمجِر، مُكشِّرًا عن أنيابه، ومُحدِّقًا في المُسدَّس.

قال آندي مُنزعجًا: "تراجَع أيها الكلب".

لو تمكنتُ من تثبيت آندي للحظة، لتمكن مصّاصو الدماء من النيل منه. حاولتُ التفكير في جميع الحركات اللازِمة في ذهني. كان عليَّ إمساك يده التي تحمِل المُسدَّس بكلتا يدي، وإجباره على رفعها بالقوَّة. لكن بما أن آندي أمسكني بعيدًا عنه هكذا، لم يكن ذلك سهلًا.

قال بيل: "لا يا عزيزتي".

درتُ بعينيَّ إليه، وشعرتُ بالدهشة الشديدة. انتقلَت عينا بيل من وجهي إلى خلف آندي، واستطعتُ فهم التلميح.

استفسر صوت من خلف آندي: "من ذا الذي يُحتجَز مثل الشبل الصغير؟".

حسنًا، كان هذا مُمتاز للغاية.

قالت: "إنها رسولتي". تبخترت الميناد حول آندي في دائِرةٍ واسعة، وتوقَّفت على يمينه، على بعد بضعة أقدام أمامه. لم تكن بين آندي وبين

المجموعة على الشرفة. كانت نظيفة للغاية، ولم ترتدِ شيئًا على الإطلاق. خمَّنتُ أنها كانت تقضي وقتًا مُمتعًا مع سام في الغابة قبل أن يسمعا الحشد. انسدل شعرها الأسود المُتشابِك حتى خصرها. لم تكن تبدو وكأنها تشعر بالبرد. أما بقيتنا (باستثناء مصّاصي الدماء) فقد شعرنا بالبرد في الخلاء بكل تأكيد. إذ جئنا مُرتدين ملابس تصلُح لحفل عربدة، لا حفلٍ في الهواء الطلق.

قالت لي الميناد: "مرحبًا أيتها الرسول، لقد نسيتُ تقديم نفسي في المرة السابقة، كمًا ذكرني صديقي الكلب، أنا كاليستو".

قلت: "مرحبًا يا آنِسة كاليستو". لأنني لم أكن أعلم كيف يجب أن أخاطِبها. كنت لأومئ برأسي، لكن آندي أمسَك بعُنقي، وبدأتُ أشعُر بالألم حقًّا.

اقتربَت كاليستو قليلًا مُتسائِلة: "ومن هذا الشُجاع الجسور الذي يُمسِك بكِ؟".

لم يكن لديّ أدنى فكرة عن شكل آندي، لكن الجميع على الشرفة كانوا مفتونين ومرعوبين، باستثناء إريك وبيل. اللذين تراجعا ببطء، بعيدًا عن البشر. لم يكن هذا مؤشّرًا جيدا.

قلت: "هذا آندي بليفلور، ولديه مشكلة".

ومن الطريقة التي اقشعرَّ بها بدني، عرفتُ أن الميناد قد اقتربَت خطوة.

قالت لآندي: "لم ترَ شيئًا مثلي من قبل، أليس كذلك؟".

اعترف آندي، الذي بدا مذهولًا: "لا".

"هل أنا جميلة؟".

قال دون تردُّد: "نعم".

"هل أستحِق الجزية؟".

قال: "نعم".

قالت كاليستو بسعادة: "أعشق الثمالة، وأنت ثمِل للغاية. وأعشق ملذّات الجسد، وهؤلاء الناس ينضحون بالشهوة. هذا هو نوعي المُفضَّل من الأماكن".

قال آندي بارتباك: "حسنًا، هذا جيد. لكن أحدهم قاتِل، وأريد معرِفة هويته".

تمتمت: "ليس واحدًا فقط". وتذكّرتُ أنه ما زال يُمسِك بي، هزَّني آندي مُجدّدًا. لقد سئمتُ حقًّا من هذا.

اقتربَت مني الميناد الآن بما يكفي لتلمسني. مرَّرَت يدها على وجهي بلطف، وشممتُ رائحة الثراب والنبيذ على أصابعها.

قالت: "أنتِ لستِ ثمِلة".

"لا يا سيّدتي".

"ولم تحظي بملذات الجسد هذا المساء".

قلت: "أمهليني بعض الوقت فحسب".

ضَحِكَت. ضحكة عالية، وصاخِبة، استمرَّت بلا انقطاع.

استرخَت قبضة آندي تدريجيًا، مع ازدياد اضطرابه بسبب قُرب الميناد منه. لا أعرف ما الذي ظنَّ الناس على الشرفة أنهم يرونه. لكن آندي عرف أنه يرى مخلوقًا من مخلوقات الليل. لذا أطلق سراحي.. فجأة.

ناداها مايك سبنسر: "تعالى هنا أيتها الفتاة الجديدة، دعينا نُلقي نظرة عليكِ".

تكوَّمتُ أرضًا بجوار دين، الذي أخذ يلعق وجهي بحماس. ومن موقعي هذا، رأيتُ ذراع الميناد تلتف حول خصر آندي. الذي نقل مُسدَّسه إلى يُسراه ليتمكن من الرد على هذه الحركة.

سألَت آندي بصوتٍ هادئ وعقلاني: "والآن، ما الذي تريد معرفته؟". ولوَّحَت بهدوءٍ بالعصا الطويلة التي تنتهي بخُصلة. والتي تُسمى ثيرسيس؛ لقد بحثتُ عن الميناد في الموسوعة. والآن، يمكنني الموت كمُثقَّفة.

قال آندي الثمِل بحدَّة: "لقد قتل أحد هؤلاء الأشخاص رجلًا يُدعى لافاييت، وأريد معرِفة أيهم القاتِل".

قالت الميناد: "بالطبع يا عزيزي، هل تريدني أن

أكتشِف هويته من أجلك؟".

توسَّل إليها قائلًا: "أرجوكِ".

قالت: "حسنًا". نظرَت إليهم، قبل أن تُشير بإصبعها إلى إيجز. أمسَكَت تارا بذراعه في محاولة لإبقائه معها، لكنه اندفع نحو الميناد وهو يبتسِم بحماقةٍ طوال الوقت.

سألها إيجز: "هل أنتِ فتاة؟".

قالت كاليستو: "ليس بأي شكلٍ من الأشكال. لقد شرِبتُ الكثير من النبيذ". ثم لمسته بعصاها.

قال: "نعم". وتوقَّف عن الابتسام.

نظر في عيني كاليستو، وارتجف بشدَّة. توهَّجَت عيناها. نظرتُ إلى بيل، ورأيتُ أن عينيه ركَّزتا على الأرض. بينما نظر إريك إلى غطاء مُحرِّك سيارته. تجاهلني الجميع، وبدأتُ أزحف باتجاه بيل.

يا له من وضعٍ فوضوي.

سار الكلب بجانبي، ودفعني بأنفه بقلق. شعرتُ أنه يريدني أن أتحرَّك بسرعة أكبر. وصلتُ إلى ساقي بيل وتشبَّثتُ بهما. شعرتُ بيده على شعري. وخشيتُ القيام بالخطوة الكُبرى للنهوض على قدميَّ.

لفَّت كاليستو ذراعيها النحيلتين حول إيجز وبدأت تهمِس له. أومأ برأسه وهمس لها بالمثل. قبَّلته، فتيبَّس جسده. وعندما تركته وتقدَّمَت نحو الشرفة،

وقف ساكنًا تمامًا، مُحدِّقًا في الغابة.

وقفَت بجوار إريك، الذي كان أقرَب إلى الشرفة منَّا. نظرَت إليه من أعلى إلى أسفل، وابتسمَت تلك الابتسامة المُرعِبة مرة أخرى. نظر إريك إلى صدرها بتركيز، مُتجنِّبًا النظر في عينيها بحذر. قالت: "جميل، جميل للغاية. ولكنك لا تُناسبني، أيها الوسيم الميِّت".

ثم صعدَت بين الأشخاص على الشرفة. أخذت نفسًا عميقًا واستنشقَت روائِح الشراب والجنس. تشمَّمَت الهواء وكأنها تتبع أثرًا، ثم التفتَت نحو مايك سبنسر. لم يتحمَّل جسده، الذي كان في منتصف العمر، الهواء البارد، لكن كاليستو بدت مسرورة به.

قالت بسعادة، وكأنها قد تلقَّت هدية لِتوِّها: "عجبًا، أنت فخور للغاية! هل أنت ملِك؟ هل أنت جُندي عظيم؟".

قال مايك: "لا، أنا صاحِب دار جنازات". ثم سألها بشكٍ عظيم: "وماذا تكونين يا سيِّدتي؟".

"هل رأيتَ شيئًا مثلي من قبل؟".

قال: "لا". وهزَّ الآخرون رؤوسهم أيضًا.

"ألا تتذكَّرون زيارتي الأولى؟".

"لا يا سيِّدتي".

"لكنكم قدَّمتم لي قُربانًا من قبل".

"حقًا؟ أي قُربان؟".

"نعم، عندما قتلتُم الرجُل الأسود الشاب الوسيم. لقد كان من أبنائي الصِغار، وكان قُربانًا مُناسبًا لي. أشكُركُم على تركته خارج مكان الشرب؛ فالحانات هي بهجتي الخاصّة. ألم تتمكنوا من إيجادي في الغابة؟".

قال توم هاردواي وقد اقشعرّ بدنه الأسود، واختفى قضيبه بفعل الخوف: "نحن لم نُقدّم لكِ أي قُربان يا سيّدتي".

قالت: "لقد رأيتكُم".

ثم خيّم الصمت على كل شيء. وصمتت الغابة المُحيطة بالبُحيرة، التي لطالما عجّت بالأصوات الصغيرة والحركات الطفيفة. وقفتُ بحذرٍ شديدٍ على قدميّ بجانب بيل.

قالت بشكلٍ حالم: "أعشق عُنف الجنس، ورائحة الشراب. ويمكنني الركض لأميال لأكون حاضِرة في النهاية".

بدأ الخوف يتدفّق من عقولهم ليملأ دماغي ويطغى عليه. غطّيتُ وجهي بيديّ. وحاولتُ بأقصى ما أستطيع رفع أقوى أسوار حصوني، لكنني بالكاد استطعتُ احتواء الرُعب. تقوّس ظهري، وعضضتُ لساني لأمنع نفسي من إصدار أي صوت. شعرتُ بحركة بيل عندما استدار نحوي، ثم جاء إريك

بجانبه، وهرساني فيما بينهما. لم يكن هناك شيء مُثير في الضغط بين اثنين من مصّاصي الدماء في تلك الظروف. غذَّت رغبتهما المُلِحّة في إبقائي صامِتة الخوف، لأنه ما الذي قد يُخيف مصّاصي الدماء؟ وضغط الكلب على أرجُلنا وكأنه يوفِّر لنا الحماية اللازِمة.

قالت الميناد لتوم: "لقد ضربته في أثناء مُمارسة الجنس، ضربته لأنك فخور بنفسك، ولأن خضوعه أثار اشمئزازك وإثارتك في نفس الوقت". مدّت يدها النحيلة لتُداعِب وجهه، واستطعتُ رؤية بياض عينيه، قبل أن تربُت بيدها الأخرى على مايك، وتُضيف: "وأنت.. ضربته بدورك لأن الجنون سلب لُبّك. ثم هددكُما بإخبار الجميع". تركت توم ومرِّرت يدها على زوجته كليو، التي كانت قد ارتدت سترة قبل خروجها، لكن لم يتسنَّ لها الوقت لإغلاق أزرارها.

وبما أنها تجنَّبَت الانتباه، بدأت تارا تتراجَع إلى الخلف. كانت الوحيدة التي لم يشلها الخوف. استطعتُ الشعور بشرارةٍ صغيرةٍ من الأمل فيها، برغبةٍ قويّةٍ في النجاة. انكمشَت تارا تحت طاوِلة حديديَّة على الشرفة، وكوَّرت نفسها بشدَّة، وأغمضَت عينيها بقوة. وقدَّمت الكثير من الوعود لله بشأن سلوكها المُستقبلي، إذا ما أنقذها من هذا الموقِف. تدفَّق ذلك إلى ذهني أيضًا. بلغ الخوف الكريه المُتصاعِد من الآخرين ذروته، وشعرتُ

بجسدي يرتجف مع ازدياد الضغط على ذهني لدرجةٍ اخترقَت كل أسوار حصوني. لم يتبقَّ لديَّ شيء من نفسي، ولم يكن في جُعبتي سوى الخوف. تشابك إريك وبيل بأذرعهما من حولي، ليُساعِداني على الوقوف بثباتٍ فيما بينهما.

تجاهلَت الميناد جان في عُريِها الفاضِح. ولم يسعَني إلا افتراض أنها لم تكن تستهوي تلك المخلوقة؛ إذ لم تكن مُتكبِّرة، بل بائِسة، ولم تكن قد شربَت أي شيء تلك الليلة. لقد أقبلَت على الجنس لأسباب أخرى غير حاجتها لفُقدان الذات، أسباب لا علاقة لها بترك عقلها وجسدها من أجل لحظة جنون رائعة. حاولَت جان، كعادتها، أن تكون مركز الاهتمام، فمدَّت يدها بابتسامةٍ مغازلة زائِفة وأمسَكَت بيد الميناد. وفجأة، بدأت تتشنَّج، وكانت الأصوات الصادرة من حلقها رهيبة. وتدفَّق الزبد من فمها ودارَت عيناها إلى الأعلى. وانهارَت على أرضيَّة الشرفة، وسمعتُ صوت كعبيها يضربان الخشب.

ثم ساد الصمت مرَّة أخرى. لكن شيئًا كان يتخمَّر على بعد بضع ياردات من المجموعة الصغيرة على الشرفة؛ شيء رهيب ورائِع، ونقي ومروِّع.

بدأ خوفهم ينحسِر، وبدأ جسدي يهدأ مُجدَّدًا. خفَّ الضغط الرهيب في رأسي. ولكن مع انحساره، بدأت قوَّة جديدة تتشكَّل، قوَّة جميلة بشكلٍ لا يوصَف، وشريرة تمامًا.

كان جنونًا خالِصًا، جنونًا بلا ذرة عقل. انسكبَت من الميناد نوبة جنون غاضب، وشهوة السلب والنهب، وغطرسة الكبرياء. وغُمِرتُ عندما غرق الناس على الشرفة، وارتجفتُ وارتعدتُ مع انبعاث الجنون من كاليستو إلى أدمِغتهم، ولم يمنعني من الصراخ مثلهم سوى يد إريك التي غطَّت فمي. عضضته وتذوَّقتُ دمه، وسمعته يئِن من شدَّة الألم.

استمرَّ الصراخ والجنون لأمدٍ طويل، ثم دوت أصوات رطِبة مروِّعة. وبدأ الكلب، المُلتصِق بأرجلنا، يئن بخوف.

وفجأة.. انتهى الأمر.

شعرتُ وكأنني دُمية انقطعَت خيوطها فجأة. استرخى جسدي تمامًا. وضعني بيل برفقٍ على غطاء سيارة إريك مُجدَّدًا. فتحتُ عينيَّ. ونظرَت الميناد إليَّ. وابتسمَت مرة أخرى، وهي غارِقة في الدماء. بدا الأمر وكأن أحدهم قد سكب دلوًا من الطلاء الأحمر فوق رأسها؛ حتى تبلَّل شعرها، وكذلك كل جُزء من جسدها العاري، وفاحَت منها رائحة النحاس، بما يكفي لإثارة قشعريرة في جسدك.

قالت لي بصوتٍ ناعمٍ وعذبٍ كصوت الناي: "لقد كنت قريبة". تحرَّكت بتأنٍ، وكأنها قد تناولَت وجبة ثقيلة، قبل أن تُضيف: "لقد كنت قريبة للغاية، ربما لأقرَب قدر ستصلين إليه يومًا، وربما لا. لم يسبِق لي رؤية أحدٍ يُصاب بالجنون بسبب الآخرين. يا لها من

فكرةِ مُثيرة".

تنهَّدتُ، وقلت: "ربما تكون فكرة مُثيرة بالنسبة لكِ". عضَّني الكلب في ساقيّ ليُعيدني إلى رُشدي. فنظرَت إليه الميناد.

تمتمت: "صديقي العزيز سام، يجب أن أترُكك".

نظر الكلب إليها والذكاء يلتمِع في عينيه.

تابعت حديثها وهي تربُت على رأسه: "لقد قضينا بعض الليالي المُمتِعة ونحن نركُض في الغابة، ونصطاد الأرانِب الصغيرة وصِغار الراكون".

هزَّ الكلب ذيله.

أضافت: "ونقوم بأشياء أخرى".

ابتسم الكلب وبدأ يلهث.

قالت بصوتٍ مُشبَع بالرضا: "ولكن حان وقت رحيلي يا عزيزي. إن العالم مليء بالغابات، والناس الذين يحتاجون إلى تعلُّم الدرس. يجب أن تُقدَّم لي القرابين، وألا ينسوني، فأنا أستحِق ذلك.. أستحِق الجنون والموت". وبدأت تنجرِف نحو حافَّة الغابة.

استدارَت لتُلقي نظرة أخيرة، وقالت: "ففي نهاية المطاف، لا يدوم موسِم الصيد إلى الأبد"



الفصل الحادي عشر

حتى لو أردتُ ذلك، لما استطعتُ الذهاب لرؤية ما حدث على الشرفة الأمامية. بدا بيل وإريك هادئين بما يكفي، وعندما يُسيطِر الهدوء على مصّاصي الدماء، فهذا يعني أنك لا تريد حقًّا الذهاب للتحقُّق مما حدث.

قال إريك من على بعد أمتار قليلة: "سيتعيَّن علينا حرق الكوخ، أتمنى لو اهتمَّت كاليستو بفوضاها".

قال بيل: "لم تفعل ذلك قط، على حد علمي. إنه الجنون. لماذا يهتم الجنون الحقيقي بالاكتشاف؟".

قال إريك بلامُبالاة، وبدا وكأنه يرفَع شيئًا ما، إذ دوى صوت ارتطام ثقيل: "لا أدري. لقد رأيتُ بعض الأشخاص المجانين حقًّا، ولكنهم تمتَّعوا بمهارةٍ شديدةٍ في ذلك".

قال بيل: "هذا صحيح. ألا ينبغي علينا ترك اثنين منهُم على الشرفة؟".

"كيف تعرف ذلك؟".

"هذا صحيح أيضًا. يا لها من ليلةٍ نادرة، تلك التي يمكنني الاتفاق معك فيها بهذا القدر".

أجابه إريك ردًا على المعنى الضمني، لا الكلمات: "لقد اتَّصَلت بي، وطلبَت مُساعدتي".

"حسنًا إذن، لكنك تتذكَّر اتفاقنا".

"كيف لي أن أنسى؟".

"أنت تعلَم أن سوكي تستطيع سماعنا".

قال إريك ضاحكًا: "لا بأس بذلك بالنسبة لي". نظرتُ إلى فضاء الليل وتساءلت، دون فضول حقيقي، عمَّا كانا يتحدَّثان بحق الجحيم. ليس الأمر وكأنني روسيا، كي أقسَّم بين الديكتاتورين الأقوى. استلقى سام بجانبه، وقد عاد إلى هيئته البشرية، وعاريًا تمامًا. في تلك اللحظة، لم أكن لأبالي إطلاقًا. لم يُزعِج البرد سام لأنه كان متحوِّلًا.

قال إريك: "تبًا، لدينا واحدة على قيد الحياة هنا".

نادى سام: "تارا".

اندفعَت تارا على درجات السلم متوجِّهة إلينا. احتضنتني وبدأت تبكي. وبشعورٍ هائِلٍ من الإرهاق، ضممتها وتركتها تنتحِب. كنت لا أزال أرتدي ملابس دايزي ديوك(12)، بينما ارتدَت هي ملابسها الداخلية الحمراء. بدينا مثل زنابِق الماء البيضاء الكبيرة في بركةٍ باردة، وهكذا أجبرتُ نفسي على الوقوف بشكلٍ مُستقيم واحتضنتُ تارا.

سألت سام: "هل تعتقد أنه يوجد بطَّانية في المقصورة؟". هروَل نحو الدرج، ولاحظتُ أن المنظَر من الخلف كان مُثيرًا للاهتمام. وبعد دقيقة، عاد ببطءٍ – وعجبًا، كان هذا المنظر أكثر إثارةً للاهتمام – ولفَّ بطَّانية حولنا نحن الاثنتين.

تمتمت: "لا بد أنني سأعيش".

سألني سام بفضول، ولم يبدُ مُتفاجِئًا من أحداث الليلة: "لماذا تقولين ذلك؟".

لم أستطع إخباره أن السبب في ذلك هو أنني شاهدته وهو يتحرَّك في الأرجاء، لذا قلت له: "كيف حال إيجز وآندي؟".

قالت تارا فجأة: "يبدو كأنه اسم برنامِج إذاعي". ثم ضَحِكَت، ولم يعجبني وقع ذلك.

قال سام مُجدَّدًا: "ما زالا واقفين حيث تركتهما، مازالا ذاهلين".

غنَّت تارا على لحن أغنية إلتون جون "ما زلتُ واقفًا": "ما.. زلتُ.. ذاهلًا".

ضَحِك إريك.

كان هو وبيل على وشك إشعال النيران، وسارا نحونا لتفقُّدنا قبل البدء.

سأل بيل تارا: "في أي سيارة جئتما؟".

قالت: "عجبًا، إنه مصَّاص دماء. أنت حبيب سوكي، أليس كذلك؟ لماذا حضرتَ المباراة ليلة أمس مع عاهرة مثل بورشيا بليفلور؟".

قال إريك: "إنها طيِّبة أيضًا". ونظر إلى تارا بابتسامةٍ لطيفة، ولكن خائِبة الأمل، مثلما ينظر مُربِّي الكِلاب إلى جرو لطيف، ولكنه من فصيلة

رديئة.

سألها بيل مرّة أخرى: "في أي سيارة جئتما؟ إن كان هناك أي جانب عاقِل فيكِ، فأريد رؤيته الآن".

قالت، بجديّة تامّة: "جئتُ بالكامارو البيضاء، وسأقودها إلى المنزل. أو ربما من الأفضل ألا أفعل. ما رأيك يا سام؟".

"بالتأكيد، سأوصلكِ للمنزل. هل تحتاج إلى مُساعدتي هنا يا بيل؟".

"أعتقد أن بإمكاني أنا وإريك التعامل مع ذلك. هل يمكنك أخذ الشاب النحيل؟".

"إيجز؟ سأرى".

قبّلتني تارا على خدّي، وبدأت تخطو بحذرٍ عبر الفناء نحو سيارتها. وقالت: "لقد تركتُ مفاتيحي فيها".

سألتها: "وماذا عن حقيبتكِ؟". ستتساءل الشرطة بكل تأكيد إن وجدوا حقيبة تارا في كوخٍ مليء بالجُثث.

"إنها هناك".

نظرتُ إلى بيل بصمت، فذهب لإحضار الحقيبة. ثم عاد بحقيبة كتف ضخمة، كبيرة بما يكفي لاحتواء ليس فقط الزينة، والأشياء اليوميّة، ولكن أيضًا لبعض الملابس.

"أهذه حقيبتكِ؟".

قالت تارا: "نعم، شكرًا". وأخذت الحقيبة منه وكأنها تخشى أن تلمِس أصابعه أصابعها. قلتُ لنفسي: لم تكن بهذه الحساسيَّة في وقتٍ سابقٍ من المساء.

حمل إريك إيجز إلى سيارتها. قال إريك لتارا وسام يفتح باب الكامارو، ويدفَع المقعد الأمامي للأمام حتى يتمكن إريك من وضع إيجز في المقعد الخلفي: "لن يتذكَّر أيًا من هذا".

قالت بوجهٍ مُتعبٍ، وكأن عظامه تئِن تحت وطأة ما حدث الليلة: "ليتني أستطيع قول الشيء نفسه. أتمنى لو لم أرَ ذلك الشيء، ولو لم آتِ إلى هنا قط، كبداية. لقد كرهتُ فعل هذا، كنت أظن أن إيجز يستحِق العناء". نظرَت إلى الرجُل الخامِل في المقعد الخلفي لسيارتها، وأضافَت: "إنه ليس كذلك، لا أحد يستحِق".

قال إريك بلامُبالاة: "يمكنني محو ذاكرتكِ أيضًا".

قالت: "لا، أحتاج لتذكُّر بعضٍ من هذا، وأستحِق تحمُّل عبء الباقي". بدا صوت تارا وكأنها أكبر بعشرين عامًا. في بعض الأحيان، يمكننا أن ننضج في لحظة؛ لقد فعلتُ ذلك عندما كنت في السابعة من عمري وتوفيَّ والداي. وفعلَت تارا ذلك هذه الليلة.

"لكنهم ماتوا جميعًا، ما عدايَ أنا وإيجز وآندي. ألا

تخشُون أن نتحدَّث؟ هل ستُلاحقوننا؟".

تبادَل إريك وبيل النظرات. اقترَب إريك قليلًا من تارا، وقال بصوتٍ هادئ للغاية: "انظري إليّ يا تارا". فأخطأت هي ونظرَت إليه. ثم، وبمجرد أن ثبتَت نظراتها، بدأ إريك في محو ذكرى تلك الليلة. كنت مُرهقةً للغاية لأتمكن من الاعتراض، وكأن ذلك سيُجدي نفعًا. إن كان بإمكان تارا طرح السؤال، فلا ينبغي للمعرفة أن تُثقِلها. تمنَّيتُ ألا تُكرِّر أخطاءها، بعد فصلها عن معرِفة ما كلَّفها ذلك؛ لكن لا يمكن السماح لها بروي الحكايات.

انطلق تارا وإيجز، بقيادة سام (الذي استعار سروال إيجز)، في طريقهم للعودة إلى البلدة عندما بدأ بيل يُرتِّب النار لتبدو طبيعيَّة بحيث تلتهِم الكوخ. بينما عدَّ إريك، على ما يبدو، العظام على الشرفة، ليتأكَّد من اكتمال الجُثث هناك بما يكفي لطمأنة المُحقِّقين. ثم سار عبر الفناء للاطمئنان على آندي.

سألته مرَّة أخرى: "لماذا يكره بيل عائلة بليفلور لهذه الدرجة؟".

أجابني إريك: "عجبًا، إنها قصَّة قديمة، تعود إلى ما قبل تحوُّل بيل". بدا راضيًا عن حالة آندي، وعاد إلى العمل.

سمعتُ صوت سيارة تقترِب، وظهر كل من بيل وإريك فوزًا في الفِناء. استطعتُ سماع صوت

طقطقة خافِتة من الجانب البعيد للكوخ. قال بيل لإريك: "لا يمكننا إشعال النار من أكثر من مكان، وإلا قد يتمكنون من معرِفة أنه لم يكن حريقًا طبيعيًا. أكره هذه التطوُّرات في علوم الشرطة".

قال إريك: "لو لم نُقرِّر الظهور للعلن، لتعيَّن عليهم إلقاء اللوم على أحدهم. ولكن كما هو الحال، نحن كبش فداء جذَّاب.. إنه أمر مُزعِج، عندما تُفكِّر في مدى قوَّتنا".

قلتُ: "مهلًا يا رِفاق، أنا لستُ مريخيَّة، بل بشريَّة، وأستطيع سماعكُم جيدا". نظرتُ إليهما بغضب، فبديا مُحرجين بعض الشيء.

خرجَت بورشيا بليفلور من سيارتها وركضَت إلى شقيقها، وصرخت بصوتٍ قاسٍ مُتصدِّع: "ماذا فعلتما بآندي يا مصَّاصي الدماء الملاعين؟". سحبَت ياقة قميص آندي من هنا وهناك بحثًا عن آثار أنياب.

قلت لها: "لقد أنقذا حياته".

نظر إريك إلى بورشيا للحظةٍ طويلة، وهو يُقيِّمها، ثم بدأ يُفتِّش سيارات المُحتفلين الموتى. بعد حصوله على مفاتيح سياراتهم، وهو ما لم أكن أريد تخيُّله.

اقترَب بيل من آندي، وقال بصوتٍ هادئ للغاية، حتى إنه بالكاد يمكن سماعه على بعد أقدام قليلة: "استيقظ".

رمش آندي بعينيه. ونظر إليّ، مُرتبكًا، لأنني لم أغد في قبضته، على ما أعتقد. ثم رأى بيل يقِف بجانبه، وجفل، متوقِّعًا انتقامًا عنيفًا. قبل أن يُدرِك أن بورشيا تقف إلى جانبه، وينظر إلى ما وراء بيل نحو الكوخ.

قال ببطء: "إنه يحترِق".

أجابه بيل: "نعم، لقد ماتوا جميعًا، باستثناء الاثنين اللذين عادا إلى البلدة، لم يعرفا شيئًا".

"إذن.. فهؤلاء هُم قتلة لافاييت؟".

أجبته: "نعم، مايك وآل هاردواي، وأعتقِد أن جان ربما كانت على علمٍ بالأمر".

"لكن ليس لديَّ أي دليل".

قال إريك، وهو يفحَص صندوق سيارة مايك سبنسر: "أعتقد أن هناك دليلًا".

انتقلنا جميعًا إلى السيارة لنرى. جعلَت رؤية بيل وإريك الفائِقة من السهل عليهما اكتشاف الدماء في صندوق السيارة ، دماء وبعض الملابس الملطخة ومحفظة. مدَّ إريك يده إلى الأسفل، وفتح المحفظة بعناية.

سأله آندي: "هل يمكنك معرفة صاحِب هذه المحفظة؟".

أجابه إريك: "لافاييت رينولد".

"إن تركنا السيارات هكذا، وغادرنا، ستجِد الشرطة ما في صندوق السيارة ، وسينتهي كل شيء. سأكون بريئًا".

قالت بورشيا وقد أطلقت تنهيدة اختلطَت بالبكاء: "حمدًا لله". انعكس بريق أشعة القمر المُتسلِّلة من بين الأشجار على وجهها البسيط وشعرها الكستنائي الكثيف، قبل أن تقول: "لنعد إلى المنزل يا آندي".

قال بيل: "انظري إليَّ يا بورشيا".

نظرَت إليه للحظة، ثم أشاحَت بنظرها بعيدًا. وقالت بسرعة: "آسفة لأنني خدعتك بهذه الطريقة". وكان واضحا أنها تشعر بالخجل من الاعتذار لمصّاص دماء، أضافَت: "كنت أحاوِل فقط أن يدعني أحد الأشخاص هنا لأدخُل، لأكتشِف بنفسي ما الذي حدث".

قال بيل بهدوء: "لقد فعلَت سوكي ذلك من أجلك".

رمقتني بورشيا بنظراتها، وقالت: "آمل ألا يكون الأمر سيئًا للغاية يا سوكي". مما فاجأني حقًّا.

قلت: "لقد كان مروّعًا حقًّا، لكن الأمر انتهى". وبدا عليها الضيق.

أجابتني بشجاعة: "شكرًا لكِ على مُساعدة آندي".

صرخت بانفعال: "لم أكن أساعِد آندي، بل كنت أساعِد لافاييت".

أخذت نفسًا عميقًا، ثم قالت بشيءٍ من الوقار: "بالطبع، فقد كان زميلكِ في العمل".

صححتُ لها قولها: "بل صديقي".

استقامَت في وقفتها، وقالت: "صديقكِ".

اشتعلَت النيران في الكوخ الآن، وسُرعان ما سيصِل رجال الشرطة والإطفاء. كان الوقت قد حان للمغادرة بالتأكيد.

لاحظتُ أن أيًا من إريك ولا بيل لم يعرِض محو أي ذكريات من عقل آندي.

قلت له: "من الأفضل أن تُغادِر، وأن تعود إلى منزلك مع بورشيا، وتطلُب من جدَّتك أن تُقسِم أنك كنت هناك طوال الليل".

ودون كلِمة أخرى، استقل الأخ والأخت سيارة بورشيا الأودي وغادرا. جلس إريك في السيارة الكورڤيت للعودة إلى شرِفبورت، بينما ذهبتُ أنا وبيل عبر الغابة، إلى سيارته المخفيَّة بين الأشجار على الجانب الآخر من الطريق. حملني، وكأنه يستمتِع بذلك. يجب أن أقول، إنني استمتعتُ بذلك أيضًا أحيانًا. كانت هذه بالتأكيد إحدى تلك المُناسبات.

لم يبقَ سوى القليل على بزوغ الفجر. كانت إحدى أطول ليالي حياتي على وشك الانتهاء. استلقيتُ على مقعد السيارة ، مُرهقةً بشكلٍ لا يوصَف.

سألتُ بيل: "أين ذهبَت كاليستو؟".

"ليس لديَّ أي فكرة. إنها تنتقِل من مكانٍ لآخر. لم تنجُ الكثير من الميِنادات بعد فُقدان باخوس، ومن نجت منهنّ وجدت الغابات، وتجوَّلت فيها. ينتقِلن قبل اكتشاف وجودهن. إنهن ماكِرات، يُحببن الحرب وجنونها. ولن تجديها أبدًا بعيدًا عن ساحات المعارك. أعتقد إنهن كُن سينتقِلن جميعًا إلى الشرق الأوسط، لو كان هناك غابات أكثر".

"ما سبب وجودها هنا؟".

"إنها مُجرَّد عابرة سبيل، مكثت شهرين أو يزيد. والآن، ستذهب إلى.. من يدري؟ إلى إيفرجليدز، أو بداية النهر نحو أوزاركس".

"لا يمكنني فهم كيف يستطيع سام أن.. يتسكَّع معها".

"أهذا ما تُسمينه؟ هل هذا ما نفعله؟ نتسكَّع في الأرجاء؟".

مددتُ يدي ولكزته في ذراعه، وبدا ذلك أشبه بلكز لوحٍ من الخشب، وقلت: "بحقك".

قال بيل: "ربما أراد فقط اختبار الجانب الوحشي، ففي نهاية المطاف، من الصعب على سام العثور على شخصٍ يتقبَّل طبيعته الحقيقيَّة". ثم توقَّف بنبرةٍ ذات مغزى.

قلت: "حسنًا، قد يكون ذلك صعبًا". تذكَّرتُ عودة

بيل إلى قصر دالاس، متوزدًا، وابتلعتُ ريقي بصعوبة، قبل أن أضيف: "لكن من الصعب تفريق شخصين عاشقين". فكّرتُ في شعوري عندما سمعتُ أنه كان يُقابِل بورشيا، وفي ردّة فعلي عندما رأيته في مباراة كرة القدم. ومددتُ يدي إلى فخذه، وضغطتُ عليه برفق.

ابتسم وعيناه على الطريق، مُكشّرًا عن أنيابه قليلًا.

سألته بعد لحظة: "هل انتهيتَ من تسوية الأمور مع متحوّلي دالاس؟".

"لقد سوّيتُ الأمر خلال ساعة، أو بالأحرى قام ستان بذلك. لقد عرض عليهم مزرعته في ليالي اكتمال القمر، للأشهُر الأربعة القادمة".

"كان ذلك لطفا منه".

"حسنًا، لم يُكلِّفه الأمر شيئًا في الواقع. إذ إنه لا يصطاد، لذا فأعداد الغزلان بحاجةٍ إلى تقليص، كما أشار".

قلت: "حسنًا". ثم أضفت بعد لحظة: "تبًا".

"إنهم يصطادون".

"صحيح، لقد فَهِمت".

عندما عُدنا إلى منزلي، لم يبقَ الكثير حتى مطلع الفجر. وتوقّعتُ أن إريك بالكاد سيصِل إلى شرِفبورت في الوقت المناسب.

استحمَّ بيل، وأكلتُ أنا بعض المُربَّى وزبدة الفول السوداني، لأنني لم أتناوَل أي شيء منذ ساعات طويلة. ثم ذهبتُ لتنظيف أسناني.

على الأقل، لم يكن عليه المغادرة على عجل. فقد أمضى عدَّة ليالٍ في الشهر الماضي لتهيئة مكان لنفسه في منزلي. قطع قاع خزانة الملابِس في غُرفتي القديمة، تلك التي استخدمتها لسنواتٍ قبل وفاة جدَّتي، وانتقالي لغُرفتها. وحوَّل أرضيَّة الخزانة إلى باب سري يمكن فتحه، والنزول إلى أسفل الأرضية، ثم إغلاقه دون أن يعلم أحد سواي. إذا كنت لا أزال مُستيقِظة عندما ينزِل تحت الأرض، كنت أضع حقيبة قديمة في الخزانة وزوجين من الأحذية لتبدو طبيعية أكثر. احتفظ بيل بصندوقٍ ينام فيه بالأسفل، لأن المكان هناك قذر للغاية. لم يكن ينام هناك في كثير من الأحيان، لكن الأمر كان مُفيدًا من وقتٍ لآخر.

ناداني من الحمَّام: "تعالي يا سوكي، لديَّ وقت لتحميمكِ".

"ولكن إن حممتني، سأجِد صعوبة في النوم".

"لماذا؟".

"لأنني سأشعُر بالإحباط".

"الإحباط؟".

"لأنني سأكون نظيفة، ولكن.. غير محبوبة".

قال وهو يطل برأسه من خلف ستارة الحمّام: "لقد اقترب الفجر، لكن سيكون لدينا ما يكفي من الوقت ليلة الغد".

تمتمت عندما دسَّ رأسه تحت تيار الماء: "إن لم يُجبرنا إريك على الذهاب إلى مكانٍ آخر". كعادته، استهلك معظم الماء الساخِن. خلعتُ سروالي القصير بعناء، وعزمتُ على التخلُّص منه غدًا. سحبتُ القميص من فوق رأسي، وتمددتُ على سريري في انتظار بيل. على الأقل، كانت حمالة صدري الجديدة سليمة. انقلبتُ على أحد جانبيَّ، وأغمضتُ عينيَّ لأحجُب الضوء القادِم من باب الحمّام نصف المُغلق.

"حبيبتي؟".

سألته بكسل: "هل خرجتَ من الحمّام؟".

"نعم، قبل اثنتي عشرة ساعة".

فتحتُ عينيَّ بسرعة، ونظرتُ إلى النوافِذ مُتسائِلة: "ماذا؟".

لم تكن حالِكة السواد، لكنها كانت مُعتِمة للغاية.

"لقد غططتِ في نومٍ عميق".

وجدتُ نفسي مُغطّاة ببطانيَّة، وما زلتُ أرتدي حمّالة الصدر الزرقاء وسروالي الداخلي. شعرتُ وكأنني رغيف خُبز قديم. نظرتُ إلى بيل، الذي لم يكن يرتدي شيئًا على الإطلاق.

قلت: "لا ترتدي شيئًا". واتجهتُ إلى الحمّام.

وعندما عُدتُ، وجدته ينتظرني على السرير مُستنِدًا على أحد مرفقيه.

سألته: "هل لاحظت الزي الذي اخترته لي؟". ثم دُرت ليرى كل شيء.

"إنه جميل، لكنكِ ربما تكونين قد بالغتِ قليلًا بالنسبة للمُناسَبة".

"وما هي المُناسَبة؟".

"أفضل جنس في حياتكِ".

شعرتُ بشهوةٍ عارمةٍ تعتريني، لكنني حافظتُ على هدوء وجهي، وسألته: "وهل أنت متأكد أنها ستكون الأفضل؟".

قال بصوتٍ سلِسٍ وباردٍ للغاية، كتيار ماءٍ ينساب فوق الحجارة: "نعم، أنا واثِق من ذلك، وكذلك أنتِ".

قلتُ بابتسامةٍ خفيفة: "أثبِت لي ذلك".

ورغم أن عينيه اختبأتا في الظل، إلا أنني استطعتُ رؤية انحناء شفتيه، وهو يُبادلني الابتسامة. قال: "بكل سرور".

بعد مرور بعض الوقت، حاولت استعادة قوَّتي، بينما تمدَّد هو فوقي، مُسنِدًا ذراعًا على بطني، وساقًا فوق ساقي. كان فمي مُتعبًا للغاية حتى إنه بالكاد استطعتُ تقبيل كتفه. لعق لسان بيل بلطف علامات الثقب الصغيرة التي زيَّنَت كتفي.

قلتُ، وأنا أشعُر بكسلٍ شديدٍ بحيث لا أريد التحرُّك مُجدَّدًا: "أتعرف ما الذي علينا فعله؟".

"ماذا؟".

"علينا إحضار الجريدة".

بعد لحظة صمت طويلة، تركني بيل ببطءٍ وتوجَّه إلى الباب الأمامي. تأتي موزِّعة الصُحف إلى مدخل منزلي، وترميها باتجاه الشرفة لأنني أمنحها إكراميَّة سخيَّة على هذا الأساس.

قال بيل: "أنظري". ففتحتُ عيني، ورأيته يحمل طبقًا ملفوفًا بورق القصدير، والجريدة تحت ذراعه.

خرجتُ من السرير، وتوجَّهنا تلقائيًا إلى المطبخ. ارتديتُ ردائي الوردي، وتبعتُ بيل. الذي كان لا يزال عاريًا، وقد أعجبني المنظر.

قلت، بينما أعِد القهوة: "هناك رسالة على جهاز الرد الآلي". وبعد أن أنجزتُ الأهم، فتحتُ ورق القصدير، ورأيتُ كعكة من طبقتين بكريمة الشوكولاتة، مُزيَّنة بجوز البيكان على شكل نجمة في الأعلى.

قلت بدهشة: "هذه كعكة الشوكولاتة الخاصَّة بالسيدة بليفلور العجوز".

"هل يمكنكِ معرفة صاحِب الكعكة بمُجرَّد النظر إليها؟".

"إنها كعكة مشهورة، لا، إنها أسطورة. لا شيء يُضاهي كعكة السيدة بليفلور. إن شاركت بها في

معرض المقاطعة، فستفوز بكل تأكيد. وهي تُحضِرها فقط عندما يموت أحدهم. يقول چيسون إنها تستحِق أن يموت أحدهم فقط للحصول على قطعةٍ من كعكة السيدة بليفلور".

قال بيل: "يا لها من رائحة رائعة". وما أثار دهشتي، أنه انحنى ليتشمَّمها. إنه لا يتنفَّس، لذلك لم أفهم تمامًا كيف يشم، لكنه يفعل، قال: "لو كان بإمكانكِ وضع هذه الرائحة كعطر، لالتهمتكِ".

"لقد فعلت ذلك بالفعل".

"وسأفعلها مرة ثانية".

سكبتُ لنفسي كوبًا من القهوة، وقلت: "لا أعتقد أنني أستطيع تحمُّل ذلك". وحدَّقتُ في الكعكة بذهول، قبل أن أقول: "لم أكن أعرف حتى أنها تعرف مكان منزلي".

ضغط بيل على زر الرسائل في جهاز الرد الآلي، فسُمع صوت سيِّدة عجوز بنبرةٍ جنوبيَّة أرستقراطيَّة للغاية: "لقد طرقتُ بابكِ يا آنِسة ستاكهاوس، لكن يبدو أنكِ كنت مشغولة. لذا تركتُ لكِ كعكة شوكولاتة، لأنني لم أعرف ماذا أفعل غير ذلك لأشكُركِ على ما أخبرتني بورشيا أنكِ فعلته من أجل حفيدي آندرو. لقد تحلَّى بعض الناس باللطف الكافي ليخبروني أن الكعكة جيدة. أتمنى أن تستمتعي بها. إن استطعتُ يومًا أن أخدمكِ، فقط اتصلي بي".

"لم تذكُر اسمها".

"تتوقَّع كارولين هوليداي بليفلور أن يعرف الجميع من هي".

"ومن هي؟".

نظرتُ إلى بيل، الذي وقف بجانب النافذة. جلستُ على طاوِلة المطبخ، أرتشِف القهوة من أحد فناجين جدَّتي المُزيَّنة بالزهور.

"كارولين هوليداي بليفلور".

لم يبدُ بيل أكثر شحوبًا من قبل، لكنه بدا مذهولًا بلا شك. جلس فجأة على الكرسي المقابل لي، وقال: "أسدني معروفًا يا سوكي".

"بالتأكيد يا حبيبي، ما الأمر؟".

"اذهبي إلى منزلي وأحضري الإنجيل الموجود في الخزانة الزُجاجيَّة في الرُدهة".

بدا عليه الاضطراب الشديد، فأخذتُ مفاتيحي وانطلقتُ إلى هناك مُرتديَّة رداء الحمَّام، على أمل ألا أقابِل أحدًا في طريقي. لا يعيش الكثير من الناس في طريقنا الريفي، ولم يكن هناك أحد في الخارج في الساعة الرابعة صباحًا.

دخلتُ إلى منزل بيل، ووجدتُ الكتاب المُقدَّس في المكان الذي وصفه تمامًا. أخرجته من الخزانة بحذرٍ شديد. كان من الواضح أنه قديم للغاية. شعرتُ بالتوتُّر الشديد وأنا أحمِله عائِدةً إلى منزلي، حتى

إنني كدتُ أتعثّر. جلس بيل حيث تركته. وعندما وضعتُ الكتاب المُقدّس أمامه، حدّق فيه للحظةٍ طويلة. حتى إنني بدأتُ أتساءل عمّا إن كان بإمكانه لمسه. لكنه لم يطلب المُساعدة، لذا انتظرت. مدّ يده، ولمسَت أصابعه البيضاء الغُلاف الجلدي المُهترئ برفق. كان الكتاب ضخمًا، والحروف الذهبيّة التي تُزيّن الغُلاف مُزخرفة بشكلٍ فاخر.

فتح بيل الكتاب بأصابع رقيقة، وقلب إحدى الصفحات. نظر إلى صفحة العائلة، التي ضمّت أسماء كُتِبَت بحبرٍ باهت، وبخطوط يدويّة مُختلِفة.

قال بصوتٍ هامس: "أنا كتبتُ هذه". وأشار إلى بضعة أسطُر مكتوبة.

خفق قلبي بشدّة وأنا ألتف حول الطاولة لأنظر من فوق كتفه. وضعتُ يدي على كتفه، لأثبّته في مكانه.

وبالكاد استطعتُ تبيُّن الكتابة.

كُتِبَ، ربما بخطّ والده أو ربما والدته: "ويليام توماس كومبتون، وُلِد في التاسع من أبريل (١٨٤٠)". ثم كُتِبَ بخطٍّ آخر: "وتوفيَ في الخامس والعشرين من نوفمبر (١٨٧٠)".

قلت، من بين كل الأشياء الغبيّة التي يمكن أن تُقال: "لديك تاريخ ميلاد". لم أكن قد فكّرتُ يومًا أن لبيل تاريخ ميلاد.

قال بيل: "كنت الابن الثاني، الابن الوحيد الذي

عاش حتى كبر".

تذكّرتُ أن روبرت، شقيق بيل الأكبر، قد توفي عندما كان في الثانية عشرة من عمره أو نحو ذلك، بينما توفي شقيقان آخران في سنّ الطفولة. هناك، سُجِّلَت جميع هذه الولادات والوفيّات على الصفحة تحت أصابِع بيل.

قال: "توفِّيَت سارة، شقيقتي، قبل أن تُنجِب". تذكَّرتُ ذلك، تابع حديثه قائلًا: "مات خطيبها في الحرب. مات كل الشباب في الحرب، لكنني نجوت، فقط لأموت لاحقًا. هذا هو تاريخ وفاتي بالنسبة لعائِلتي. لقد كتبته سارة بخطّ يدها".

حبستُ أنفاسي كيلا أصدِر صوتًا. شعرتُ بشيءٍ ما في صوت بيل، وفي الطريقة التي لمس بها الكتاب المُقدَّس، كان لا يحتمل تقريبًا. شعرتُ بعينيَ تغرورقان بالدموع.

قال بصوتٍ أهدأ: "وهذا اسم زوجتي".

انحنيتُ مرَّة أخرى لأقرأ الاسم؛ "كارولين إيزابيل هوليداي". وللحظة، شعرتُ بالغرفة تدور من حولي، حتى أدركتُ أن ذلك لا يمكن أن يكون.

قال: "وكان لدينا أطفال، ثلاثة أطفال".

دُوِّنَت أسماؤهُم هناك أيضًا: "توماس تشارلز كومبتون، وُلِد في عام (١٨٥٩)". إذن، فقد حملت فور زواجهما مُباشرة.

لن أُنجِب طفلًا من بيل أبدًا.

"سارة إيزابيل كومبتون، وُلِدَت في عام (١٨٦١)". سُمِّيَت على اسم عمَّتها (شقيقة بيل) ووالدتها. وكانت قد وُلِدَت في الوقت الذي غادَر فيه بيل للحرب. و"لي ديفيس كومبتون، وُلِدَ عام (١٨٦٦)". الطِفل الذي حملت به بعدما عاد للوطن. ثم كُتِبَ بخطٍّ مُختلف: "وتُوفِّيَ عام (١٨٦٧)".

همس بيل: "مات الأطفال بكثرةٍ آنذاك، إذ كنا فُقراء للغاية بعد الحرب، ولم يكن هناك أي دواء".

كنت على وشك مغادرة المطبخ بعد أن أثقلني الحزن والرغبة في البكاء، لكنني أدركتُ بعد ذلك أنه إن استطاع بيل تحمُّل ذلك، فأنا مُضطرَّة لذلك.

سألته: "ماذا عن الطِفلين الآخرين؟".

قال بيل، وقد خفَّ التوتُّر في وجهه قليلًا: "لقد عاشا. كنت قد رحلتُ حينها بالطبع. كان توم في الحادية عشرة من عمره عندما توفيت، في حين كانت سارة في التاسعة. لقد كانت صهباء مثل والدتها". ابتسم ابتسامة صغيرة، لم أرها على وجهه من قبل. بدا بشريًا بحق. وكان الأمر أشبه برؤية شخص آخر يجلِس هنا في مطبخي، لا نفس الشخص الذي مارستُ معه الحُب بعُمقٍ قبل ساعة. سحبتُ منديلًا من العلبة الموجودة على الرف ومسحتُ وجهي. بكى بيل بدوره، فناولته منديلًا. نظر إليه بدهشة، وكأنه توقَّع رؤية شيء مختلف،

ربما منديل قُطني مُطرَّز. رَبَت به على وجنتيه برفق، فتحوَّل لون المنديل إلى الوردي.

قال بذهول: "لم أفكِّر أبدًا في معرِفة ما حدث لهم، لقد قطعتُ كل صلة لي بهم تمامًا. ولم أعُد مُطلقًا، بالطبع، طالما كان هناك احتمال أن يكون أي منهُم على قيد الحياة. سيكون ذلك قاسيًا للغاية". ثم قرأ المكتوب أسفل الصفحة.

قال لي بيل: "كانت سليلتي چيسي كومبتون، الذي ورثتُ منها منزلي، هي آخر سُلالتي المُباشرة. كما أن سلالة والدتي قد تلاشَت كذلك، حتى أصبح من تبقَّى من آل لودَرمِلكس لا يمثُّون لي سوى بصلة قرابة بعيدة. لكن چيسي انحدرَت من سُلالة ابني توم، ويبدو أن ابنتي سارة تزوَّجت في عام (١٨٨١). وأنجبَت طفلًا.. سارة أنجبَت طفلًا! لقد أنجبَت أربعة أطفال! لكن أحدهم وُلِد ميِّتًا".

لم أستطع حتى النظر إلى بيل. وبدلًا من ذلك، نظرتُ إلى النافذة. حيث بدأت السماء تُمطِر. لطالما أحبَّت جدَّتي سقفها الصفيحي، لذلك عندما اضطُررنا لاستبداله، اخترنا سقفًا صفيحًا جديدًا، وكان قرع قطرات المطر عادةً أكثر الأصوات التي أعرفها راحةً. لكن ليس الليلة.

قال بيل مُشيرًا بيده: "أنظري يا سوكي، أنظري! ابنة سارة، التي سُمِّيَت تيمُّنًا بجدَّتها، تزوَّجَت من ابن عمها ماثيو فيليبس هوليداي، وكانت طِفلتها

الثانية تُدعى كارولين هوليداي". وأشرق وجهه بشدَّة.

"إذن، فالسيدة العجوز بليفلور هي حفيدة حفيدتك".

قال غير مُصدِّق: "نعم".

تابعتُ، قبل أن أفكِّر في الأمر مرَّتين: "إذن، آندي هو حفيد حفيدة حفيدتك، وبورشيا كذلك".

قال بسعادةٍ أقل: "نعم".

لم يكن لديَّ أي فكرة عمَّا يجب أن أقوله، لذا قرَّرتُ التحلِّي بالصمت هذه المرة. بعد لحظة، انتابني شعور بأنه من الأفضل التواري عن الأنظار، فحاولتُ التسلُّل من أمامه للخروج من المطبخ الصغير.

سألني وهو يُمسِك بمعصمي: "ماذا يحتاجون؟".

قلت على الفور: "إنهم بحاجةٍ إلى المال. لا يمكنك مساعدتهم في مشاكلهم الشخصيَّة، لكنهم يفتقِرون بشدَّة إلى المال. لن تتخلَّى السيدة بليفلور العجوز عن ذلك المنزل، الذي يلتهم المال التهامًا".

"هل هي عزيزة النفس؟".

نظرتُ إلى بيل قائلة: "أعتقد أنك قد لاحظتَ ذلك من رسالتها الهاتفيَّة. لو لم أكن أعرف أن اسمها الأوسط هو هوليداي، لظننتُ أنه عزيزة. أعتقد أنها ورثته عن جدِّها الكبير".

بدا أن بيل قد بدأ يشعر بتحسُّنٍ كبير الآن، بعد أن عرف أن بإمكانه فعل شيء ما لأحفاده. وعرفتُ أنه سيغرق في ذكرياته لبضعة أيام، ولم أكن لألومه على ذلك. ولكن إن قرَّر تبنِّي قضيَّة بورشيا وآندي كالتزامٍ دائِم، فقد تكون هناك مشكلة.

قلت، مفاجئةً نفسي: "لماذا لم تكن تُحِب اسم بليفلور من قبل؟".

"هل تتذكَّرين عندما تحدَّثتُ إلى أعضاء جمعيَّة جدَّتكِ، جمعيَّة "أحفاد الموتى المجيدين"؟".

"نعم، بالتأكيد".

"وقصصتُ عليهم تلك القصَّة، قصَّة الجُندي الجريح في الميدان، ذلك الذي ما انفكَّ يطلب المُساعدة؟ وكيف حاول صديقي توليڤر همفريز إنقاذه؟".

أومأتُ برأسي.

قال بيل بكآبة: "لقد مات توليڤر في أثناء المحاولة، واستأنف الجُندي الجريح طلب المُساعدة بعد وفاته. تمكننا من إنقاذه خلال الليل. كان اسمه جيبدايا بليفلور، وكان في السابعة عشرة من عمره".

"يا إلهي. إذن، هذا كل ما عرفته عن آل بليفلور حتى اليوم".

أومأ بيل برأسه.

حاولتُ التفكير في شيءٍ ذي مغزى لأقوله. شيء

عن الخطط الكونيَّة. شيء عن كيف يعود الخير على أصحابه. وكيف كما تدين تُدان.

حاولتُ المغادرة مرَّة أخرى. لكن بيل أمسَك بذراعي وجذبني إليه قائلًا: "شكرًا يا سوكي".

كان ذلك آخر شيء توقَّعتُ سماعه منه، لذا سألته: "لماذا؟".

"لقد جعلتني أفعل الصواب دون أي فكرة عن المُكافأة النهائيَّة".

"لا يمكنني إجبارك على فعل أي شيء يا بيل".

"لقد جعلتني أفكِّر كإنسان، وكأنني ما زلتُ على قيد الحياة".

"الخير الذي تفعله ينبُع منك أنت، وليس مني".

"أنا مصَّاص دماء يا سوكي، ولطالما كنت مصَّاص دماء لفترةٍ أطول بكثيرٍ مما كنت إنسانًا. لقد أزعجتكِ مرَّات عديدة. ولأصدقكِ القول، أحيانًا لا يمكنني فهم لماذا تفعلين ما تفعلينه، لأنه مرَّ وقت طويل منذ أن كنت إنسانًا. ليس من السهل دائمًا تذكُّر ما كان عليه الحال عندما كنت إنسانًا، وأحيانًا لا أريد تذكُّر ذلك".

كانت هذه أمور عميقة بالنسبة لي، لذا قلت: "لا أعرف ما إن كنت على صوابٍ أم خطأ، لكنني لا أعرف كيف أكونِ مُختلِفة، وكنت سأنضح بالبؤس لولاك".

قال بيل: "إن حدث لي شيء، يجب أن تذهبي إلى إريك".

قلتُ له: "لقد قلت ذلك من قبل. إن حدث لك شيء، فليس عليَّ الذهاب إلى أي أحد. لأنني حُرَّة مُستقِلَّة، ولي الحق في اتخاذ قراري بشأن ما أريد فعله. عليك الحرص على ألا يحدث لك شيء".

قال بيل: "سنواجِه متاعِب أكثر مع الزمالة في السنوات القادمة، وسيجب علينا اتخاذ إجراءات قد تكون بغيضة بالنسبة لك كإنسانة. ناهيك عن المخاطِر المُرتبِطة بعملك". وفَهِمتُ أنه لم يكن يقصِد خدمة الطاولات.

قلت: "سنتعامل مع الأمر عندما نصِل إليه". كان الجلوس في حُضن بيل متعة حقيقيَّة، خاصَّة وأنه ما زال عاريًا. لم تكن حياتي مليئة بالمتعة حتى قابلته. والآن، أصبح كل يوم يحمِل مُفاجأة مُمتِعة أو اثنتين.

وفي المطبخ ذي الإضاءة الخافِتة، مع رائحة القهوة الجميلة (بطريقتها الخاصَّة) مثل كعكة الشوكولاتة، وقرع المطر على السطح، حظيتُ بلحظةٍ جميلةٍ مع مصَّاص الدماء الخاص بي، ما يمكن أن تُمسيه لحظة إنسانيَّة دافئة.

لكن ربما لا ينبغي لي تسميتها كذلك، كما فكَّرتُ وأنا أفرُك خدِّي بخدِّ بيل. هذا المساء، بدا بيل إنسانًا تمامًا. وأنا.. حسنًا، لقد لاحظتُ في أثناء مُمارستنا

الحب على الشراشِف النظيفة، أن بشرة بيل توهَّجَت بطريقةٍ سحريَّةٍ جميلةٍ في الظلام.

وبَشرتي كذلك.

---

(1) هي لعبة مُقامرة بالبطاقات أو أوراق الكوتشينة، وتُلعب بشكلٍ أساسي في لويزيانا بالولايات المُتحِدة الأمريكية. (المُترجِم).

(2) كلمة إنجليزية تعني الدِماء الحقيقية، وهو اسم المُسلسل المُشتق من أحداث تلك الروايات. (المُترجِم).

(3) ذُكِر مُصطلح الميناد للمرَّة الأولى في الأساطير الإغريقية القديمة، وارتبط مجموعة من النِساء، الخارِقات للطبيعة والأسطوريات، ويُعرفن بالجنون وشدّة الغضب. (المُترجم).

(4) مدينة في تكساس. (المُترجم)

(5) ممر ساحلي في اليونان. (المُترجم)

(6) هو منطاد ألماني لنقل الرُكّاب تحطَّم عام (١٩٣٧) أثناء هبوطه بمطار ليكهرست بنيوجيرسي قادمًا من فرانكفورت بسبب اشتعال الهيدروجين الذي يحمل المنطاد، وقد أسفر هذا الحادِث عن مقتل (٣٦) راكبًا من بين (٩٧) كانوا على متنه، ووضعَت هذه الكارثة النهاية لاستخدام المناطيد في خدمات النقل المُنتظِمة. (المُترجِم).

(7) استخدمَت الكاتِبة مُصطلح (Rise) وتعني ارتفاع الخُبز بعد التخمير، كما تعني أيضًا النهوض من السبات (المُترجم).

(8) الحاكِم الروماني لمقاطعة يهودا، الذي وُلِد عام عشرة قبل الميلاد، والذي وفقًا لما كُتِبَ في الأناجيل الأربعة المُعتمدة من قبل الكنيسة، قد تولّى مُحاكمة المسيح، وأصدر الحُكم بصلبه. (المُترجم).

(9) إشارة لروايات كاتِب الجريمة والغموض الأمريكي ريكس ستوت. (المُترجم).

(10) كلمة انجليزية تعني "عفن القبور". (المُترجم).

(11) مُمثّلة ومُطرِبة أمريكيّة ألمانيّة، رُشّحت لجائِزة الأوسكار. (المُترجم).

(12) هي شخصيّة خياليّة، لعبت دورها كاثرين باخ، في المُسلسل التليفزيوني الأمريكي الشهير دوقات هازارد، وقد اشتهرت بارتداء القمصان والسراويل القصيرة. (المُترجم).

